الشيخ عيسى الفاخري

حياته ومنهجه

إعداد

سالم فرج صالح

الشيخ عيسى الفاخري
حياته ومنهجه

(1904 . 1999م)

تأليف

أ. سالم فرج صالح رحيل

هذه الورقة : ظهر صفحة عنوان الكتاب الداخلية

مخصصة للرقم الدولي

من دار الكتب الوطنية

Al-Shaykh Isa al-Fakhiri

His life and Method

(1999 – 1904)

By: Salim Faraj Rahil

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

(سورة المجادلة: الآية 11)

الإهداء

إلى روح شيخنا، عيسى الفاخري، جمعنا الله

به في عليين ..

رافعين أكُفّ الضراع: أن يكون هذا العمل،

زاداً لنا وله، يوم العرض على الله تعالى،

والوقوف بين يديه، إنه بكل جميل كفيل،

وهو حسبنا ونعم الوكيل، وأن يكون كذلك

أداءً لبعض ما علينا من واجب نحو شيخنا

وأستاذنا.. رحمه الله رحمةً واسعة ..

آمين.

ورقة بيضاء

ظهر الإهداء

تصدير

بقلم الأستاذ الدكتور: شعبان عوض محمد العبيدي

عضو هيأة التدريس بقسم اللغة العربية. جامعة قاريونس

بسم الله الرحمن الرحيم

ما يساعد على إعمار الكون أشياء عديدة لا يخفى على أحدٍ كثير من هذه الأشياء، ومن أهم هذه الأشياء قصص أولئك الخيرين الذين جعلوا من حياتهم حكاية تُحكى، لا لمجرد التعلّل وتمضية الوقت، ولكن لتكونَ نموذجاً يُحتذى، وعبرةً لمن يعتبر، ومن هذه القصص أو الحكايات حكاية الشيخ عيسى بالقاسم إبراهيم الفاخري الشهير بـ"عيسى الفاخري" من قبيلة الفواخر التي يقطن الفرع الذي ينتمي إليه الشيخ بالقرب من مدينة إجدابيا "فواخر مهابات".

الشيخ عيسى الفاخري كُفَّ بصره منذ الصغر، وشاءت عناية الله أن يكون عقل والده ـ مع أمّيته ـ نيّراً، فحمله إلى الأزهر الشريف ليتلقى العلم هناك في مصر، وقد حدّثني ـ رحمه الله ـ أن والده قد اصطحبه إلى مصر عام 1918م من القرن الماضي .. درس العلم بالأزهر بعد أن أتمَّ حفظ القرآن الكريم، وأقام بمصر فترة طويلة زادت على العشرين سنة، ثم حصل على العالمية الأزهرية كما تُسمّى في ذلك الوقت، وهي الشهادة العالية التي ربما نعادلها اليوم بالليسانس، عام 1940م، وبقي سنتين بمصر

بعد حصوله على هذه الشهادة، ثم عاد إلى إجدابيا.

ولك عزيزي القارئ أن تتخيل طالباً كفيفاً وحيداً بالأزهر الشريف، لكن من أنار الله بصيرته قيض له كل شيء، وما التوفيق إلاَّ من عند الله.

في إجدابيا أخذ يدعو إلى الله على بصيرة وبينة عن وعي وإدراك، يخاطب الناس على قدر عقولهم ، دون أن يفرط في دينه ، يذهب إلى الناس في أماكن (الجلامة) حيث يلتقي البدو لِجزِّ صوف الأغنام ، فيسألونه في أمور دينهم فيجيبهم ، يمازحهم ويمازحونه، وكم من فتوى ذيلها بغناوة علم تكون معينة على فهم معنى الفتوى، فهو يعيش بين أناس يسود بينهم هذا النوع من الأدب الشعبي، وبالتأكيد لا يذكر من هذا النوع إلاَّ ما كان راقياً، ولو كان المقام يتسع لذكرتُ نماذج مما كان يذيل فتواه، سمعته منه شخصياً ، والله على ما أقول شهيد.

كان يلقي الدروس في رمضان في مدينة بنغازي حيث كان يدعوه بعض فضلائها لهذا الأمر، فانتشر صيته وذا، لا بل ضاع كما يتضوع المسك في الزوايا والأنحاء.

عندما افتتح المعهد الديني بالبيضاء كان من أوائل المدرسين الليبيين والعرب الذين درسوا بهذا المعهد، وقد كانت له سيرة محمودة، ثم عاد إلى إجدابيا؛ لأنه لم يحتمل برد الجبل القارص، وكانت الإمكانيات في ذلك الوقت متواضعة؛ لأن هذا الأمر كان في أوائل الخمسينات 1952م على سبيل التحديد.

عاد إلى إجدابيا إذن ليستأنف دوره هناك ، ومما تميز به الشيخ في نظري ثلاثة أشياء :

الشيء الأول : أنه كان يخاطب الناس على قدر عقولهم كما سبق أن ألمحتُ، وهذا الأمر لم يكن سهلاً في تلك الأيام، وفي بيئة بدوية يحتاج الداعية إلى صبر وإلى رويّة، وهذا ما امتاز به الشيخ عيسى الفاخري رحمه الله ، فقد كان الناس يفدون عليه يستفتونه وهم يشعرون أن الذي يخاطبهم منهم وإليهم، يخاطبهم بما اعتادوا أن يسمعوا من لغة الخطاب اليومي، ولكن يبين لهم دينهم في غير ما تساهم، دون إفراط أو تفريط، فليت الدعاة اليوم يحتذون حذوه، ويسيرون على نهجه.

الشيء الثاني: الذي امتاز به الشيخ عيسى ـ وهو جدير بالملاحظة ـ أنّ التصوف كان منتشراً، وأن بعضه كان يخرج عن الحدود المقبولة في الدين (الكتاب والسنة)، وكان الشيخ عيسى لا يميل إلى التصوف، بل يقال عنه: إنه وهابيّ النزعة، ومع هذا لم يتصادم مع أحد ولم يصادر على أحد، وما أعلمه أنا أنه كان يفتي على المشهور من مذهب الإمام مالك رحمه الله.

أما **الشيء الثالث**: الذي امتاز به الشيخ عيسى فهو أنه قضى على القبيلة، والقبيلة في مناطقنا البدوية طاغية، وفي مدننا شللية ، أمران أحلاهما مرٌّ، فروّاد الشيخ عيسى تذوب بينهم فكرة القبيلة، فهم مُوحَّدون بلقاء الشيخ على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

لكل هذه الأسباب مجتمعة رأى تلاميذه الغيارى أن يعدوا كتاباً عن سيرة الشيخ، فطلبوا مني طلباً ملحاً أن أكتب لهم هذا التصدير، والحق الذي لاشكَّ فيه أن الشيخ عيسى كان نموذجاً يحتذى، وهو حلقة من حلقات رجال بلادنا الذين قدموا لوطنهم ما يستطيعون.

وقد نوّه عنه أستاذ الأجيال علي مصطفى المصراتي في كتاب (نماذج في الظل)، وقد أبدع في هذا العنوان ، وفي التقاطه هذا الأنموذج.

تقديم

فضيلة الدكتور: غيث محمود الفاخري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه والتابعين .

وبعد :

فقد طلب مني الشيخ سالم رحيل أن أقدم لمؤلفه الموسوم بـ**(الشيخ عيسى الفاخري حياته ومنهجه)**، وأنا إذ أشكر له التفاتته الكريمة، الدالة على أدب العلم، وتواضع أهله، فإني سعيد أن أسطّر جملاً عن شيخنا ـ رحمه الله ـ وعن هذا الكتاب الذي أجمل سيرته الطيبة، وذكراه العطرة .

فالمترجم له في هذا الكتاب/ **الشيخ عيسى بالقاسم الفاخري**، أحد قرابتي الأدنون، ننتسب معًا إلى عائلة واحدة، وفخذ واحد، من قبيلة الفواخر، وكان صديقاً لوالدي ـ رحمه الله تعالى ـ علاوة على قرابته، وكان بينهما مودة واحترام، ومواصلة وإكبار، وهما من جيل واحد، ولا يكبره والدي إلا بحوالي ثلاث سنوات، وكان كل منهما يعتز بالآخر أيما اعتزاز .

وقد كانت لي صلة قوية **بالشيخ عيسى ـ رحمه الله ـ** وكان يمازحني إذا زرته، ويجلسني إلى جانبه، ويخصني بكثير من الحديث الذي لا يبوح

به لغيري .

وما غشوت له مجلسًا إلا وجدته في غرفة ضيافته، لا يخلوا له مجلس من سائل أو متعلم، أو صديق مؤانس، يستمتع بمجالسته، ويستأنس بحديثه، منَّ الله عليه بمنةٍ قلَّ أن تتوفر لغيره، هي علامة القبول عند الله، ألا وهي حب الناس له، وإجلالهم له، وإكبارهم لشخصه، واتفاقهم على فضله، واقتناعهم بعلمه .

وكان مع الناس صاحب طرفة ودعابة، يمتلك بها القلوب، ويستولي بها على الألباب، فلا تمل مجلسه، ولا تسأم حديثه، يأتيك كلامه كالشذرات، كأنه يلتقط من جنة فيحاء، أو حديقة غناء، تفتح وردها، وتنوع زهرها، وتعانقت أفنانها .

فيأتيك من كلامه الموعظة الحسنة، والحكمة البالغة، والمعلومة النافعة، والحكاية النادرة، والطرافة الماتعة، فتجدك تستلذ حديثه، وتسكن لنصحه وتوجيهه، ويعز عليك أن تفارقه .

اجتمعت فيه مكونات العالم لتمكنه من مجموعة من المعارف، فهو عالم بعلوم القرآن، متمكن من القراءات، علم في التفسير والفقه، ومصطلح الحديث، متمكن من السيرة وأحداثها، تجد عنده من ذلك ما لا تجده مسطوراً في كتاب .

صقلته المحن والأحداث، وكونت شخصيته الأسفار ومفارقة الأوطان، فاعتمد على نفسه، وحاز على احترام من رافقهم أو عاشرهم، فكانت له المكانة الكبرى في نفوسهم .

كانت أمنيته أن يكون معلمًا للقرآن منذ طفولته، فحقق الله له ذلك، وإنا لنرجو أن يكون ممن قال فيهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : "**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**" تلقى علومه في الأزهر، وتدرج فيه حتى حصل على العالمية من كلية الشريعة، ثم عاد إلى ليبيا ليكون معلمًا وواعظًا، وإمامًا وخطيبًا، تنقل بين البيضاء، وبنغازي، وإجدبيا وبها استقر، فقضى بها معظم عمره، وفيها كانت وفاته، قضى حياته لا يحسب للدنيا حساباً، فما فتنته بجاه، ولا مال ولا ولد، وشيخنا لم يقم لذلك وزنًا، ولا نظن أن يدًا من ذلك امتدت إلى قلبه، فلا تسمع منه كلامًا عن شيء من الدنيا ومفاتنها، بل كانت حياته لله، فيه انقطع، ولمرضاته جد وعمل.

علَّم ووعظ، وذكَّر وحذر، نصحًا لله ولدينه وللمسلمين، قام بالمعروف آمرًا، وعن المنكر ناهيًا ومحذرًا وجازرًا.

كان يرى أن خير ما يقضي فيه وقته القرآن الكريم، تعلمًا وتعليمًا، وتلاوة وتفسيرًا، لا يمل ذلك ولا يسأمه، بل لا يزداد عليه إلا حرصًا، وكان يحب أن تُقرأ عليه الكتب، فتراه مستمعا ساكتًا ساكنًا كأن على رأسه الطير.

ترى جماعة من أصفيائه يلزمون مجلسه معظم الأوقات، وترى هذا داخلاً عليه ليسأله عن مسألة، وآخر ليعرض عليه ما يحفظه من القرآن، وثالثًا يحمل بيده كتابًا ليقرأه عليه، ورابعًا جالسًا يستمع إلى تعليقه، أو شرحه أو تفسيره، فكل يفوز ببغيته، ويعود بحاجته، ومعظم الوقت حوله

فتية تعلقوا به يلوذون حوله، يتسابقون إلى خدمته، ويعلمون من علمه وأدبه.

كان نحيل الجسم، ضعيف البنية، ضرير البصر، قليل الأكل والشرب، لكنه إذا تكلم تتابع كلامه كأنه نظم عقد من لؤلؤ، عليه بصمة النصح، وسمة الإخلاص، تنشرح له النفوس، وتنفتح له القلوب .

مذ عرفته، خصوصًا بعد تقاعده لثلاثة عقود تقريبًا حتى وفاته، لا يرى إلا مفتوحًا بابه جالسًا في حجرة ضيافته، من ضحى النهار حتى ظهيرته، ومن بعد العصر حتى العشاء، أو بعده أحيانًا، إلا في آخر عمره حين دقَّ عظمه، وثقلت حركته، وصار الجلوس يؤلمه، خفَّف ظهوره للناس، لكنه لم يقطعه .

قاسى المرض سنين عدة، ولم يكن يشكوا ولا يتألم، ولم يحتجب عن الناس إلا أياماً قلائل، حين اشتد ألمه، واستفحل مرضه، فأدخل المستشفى، ولم يبق فيه إلا أربعة أيام، وفي يوم الجمعة ثالث أيام رمضان، بعد صلاة العصر، صعدت روحه إلى بارئها، يحدوها الرجاء في عفوه، ويملأها الأمل في لطفه، بعد أن قدمت من أعمال البر ما وسعت .

ذاع خبر وفاته فخرج الناس ظهر يوم السبت الرابع من رمضان للصلاة عليه، ومن إكرام الله له أن كان قد أعلن عن صلاة الاستسقاء، وحضر الصلاة جمع لا يحصى، حتى إنه نصبت مكبرات الأصوات على أسوار النادي الذي صُلي عليه في ساحته، ليسمع الناس الصلاة .

وقد قدمت لإلقاء كلمة يومها، فنعيته ببعض ما يستحقه، وشيء ممَّا يذكر به، وقد تحول مأتمه إلى ملتقى علمي، تطرح فيه مسائل

للنقاش، ويجاب فيه عن الأسئلة، وتقرر فيه قضايا علمية .

وهذا الكتاب الذي نقدم له هو من تأليف الشيخ سالم رحيل، أحد تلامذة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ وقد راجعته، ووجدته وافياً بالغرض، استعرض فيه المؤلف حياة الشيخ، بحلوها ومرها، فجاءت ترجمة له منذ صباه، وما مرَّ بمسيرته من أحداث، من شخصه إلى أسرته إلى مجتمعه وبيئته، ثم سفره وهجرته، وعلاقته وصداقته، ومراحل تعلمه تعليمه، وأدبه وسمته، ودروسه وفتاويه، ومجلسه وتأثيره في بيئته ومجتمعه، وحكمته، ودرايته بأعراف مجتمعه، وإلمامه بتاريخ بلاده، وعلى العموم فإن هذا المؤلف الذي نقدمه الآن، قد غطى معظم ما يتعلق بحياة الشيخ ومسيرته وسيرته، وأرجو أن ينفع الله به، وأن يثيب الله مؤلفه، ويرحم شيخنا رحمة واسعة، ويسكنه الفردوس الأعلى، ويرفعه المقام الأسمى، بجوار أحب خلق الله إليه، محمد المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن بهم اقتدى، وآثارهم اقتفى إلى يوم العرض واللقاء .

الدكتور: غيث محمود الفاخري

أمين قسم الشريعة الإسلامية

بكلية القانون / جامعة قاريونس

2010/3/24م

Introduction

All praise is due to Allah, Lord of the worlds, and may He shower the most complete peace and blessing on His Messenger, the mercy to all mankind, his family, Companions and those who follow him with good till the Day of Resurrection.

Praise be to Allah Who has safeguarded this nation and protected its religion and Book from alteration, distortion, and tampering in fulfillment of His statement: "*It is We Who has revealed this Qur'an and We will protect it*" (Hijr:9).

Since fourteen centuries ago Islam has distinguished itself from the other religions, because of its solid religious beliefs and pure way whilst accommodating various cultures and customs without that detracting from its roots and principles in the least. That would not have been the case if it was not for the guidance, and success from Allah as well as His support for this religion through divinely guided scholars knowledgeable about the general intent of the shari'ah and the Qur'anic and hadith texts.

During his lifetime shaykh 'Isa al ـ Fakhiri, may the Almighty Allah bestow His mercy on him, played an important role in calling people towards Allah and rectifying the religious understanding of the multitudes of Muslims in his native country Libya. One of his early

students at the Islamic University in the city of Bayda' describes him as a beacon in Libya with people consulting him regarding matters of Islamic jurisprudence (*fiqh*) and also other diverse religious questions. He was not only a scholar of the city of Ijdabiya, but also a scholar of the whole of Libya. Even though he has not gained international fame this can largely be attributed to his own dislike of fame. Various other factors, that we will mention later, have further caused that his knowledge has not been recorded. But his students and contemporaries of his town where he has exerted his influence know his true status. Nothing is more indicative of this than the widespread knowledge of his efforts to reform the heretical beliefs prevalent amongst the Bedouin community in his native city of Ijdabiya.

Discussing the religious scholars and pious persons increases faith and instills strong resolve and patience for the performance of religious duties in the soul, and brings comfort to the heart more than the investigation into issues of jurisprudence and legal theory. Regarding this, Imam Abu Hanifa has stated: "I prefer the anecdotes of the scholars to issues of jurisprudence, because that is an account of their ethics and manners. That is because when the Almighty Allah related the stories of some of his prophets to the Messenger (p.b.u.h.) he concluded with the following verse: "*They are the ones Allah has guided, so be guided by their guidance*". The poet states:

So, imitate them if you are not like them imitating the viticulturist leads to success.

Libya has attained its own status within the great Islamic world. The historians mention that the complete Arabization and Islamization of North Africa occurred in the eleventh century that was facilitated by the migrating tribes of Hilal and Sulaym and what is historically known as the migration of the Hilalis. These tribes were responsible for bringing with them the social, economic and political structure of Libya.

The scholars of the past century have played a major role to correct the wrong beliefs prevalent amongst the laity. Many innovations have started to become widespread [in society] such as building structures over graves and designating it as shrines to be visited; slaughtering sacrifices at them, and drawing closer to their occupants by means of vows and supplications. This caused the scholars of the sunnah to observe these new innovations and they clarified the truth [regarding them] with wisdom and good exhortation to the laity so they can abandon these practices. Our great teacher, shaykh ‘Isa al ـ Fakhiri played a major role in this regard and we will try to highlight this during the course of this work. We ask the Almighty Allah to grant us success May the blessings of Allah be upon our master, Muhammad, his family and Companions. And all praise is due to Him.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على المبعوث رحمة للعلمين، وعلى آل بيته وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

تبارك الله الذي حفظ هذه الأمة، وصان لها دينها، وكتابها، من التبديل والتحريف، والتغيير والعبث، وذلك تحقيقاً لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[1].

لقد حفظ الله عز وجل كتابه، وجعل العلماء سبباً في حفظه، وخصَّهم بالفضل دون سواهم، وكرمهم على سائر الناس، لصبرهم وتحملهم المشاق في سبيل العلم، كما جاء في الحديث عن كثير بن قيس قال كنت جالساً مع أبي الدرداء في مسجد دمشق فجاءه رجل فقال: يا أبا الدرداء، إني جئتك من مدينة الرسول صلى الله عليه و سلم لحديث بلغني أنك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، ما جئت لحاجة، قال: فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: **(من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن**

---

1 ـ سورة الحجر ، الآية 9 .

في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، و إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر)[1] .

وفي هذا الشأن، وتبياناً أنَّ الناس ليسوا سوى علماء أو طلبة علم، وما عداهم فهم على خطر كبير، روي أن كميل بن زياد قال: أخذ علي ابن أبي طالب بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبَّان[2]، فلما أسحرنا جلس، ثم تنفس، ثم قال: يا كميل بن زياد ـ القلوب أوعية، فخيرها أوعاها للعلم ـ احفظ ما أقول لك ـ الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم و لم يلجأوا إلى ركن وثيق)[3] .

ولقد كان الدين الإسلامي على مرِّ التاريخ ومنذ أكثر من أربعة عشر قرناً، متميزاً عن غيره من الديانات بثبات العقيدة وصفاء المنهج، مع تكيفه واحتوائه لمختلف الثقافات والأعراف، دون أن يخل ذلك بالثوابت أو ينال من أصوله وجذوره، وما كان ذلك ليكون لولا توفيق الله تعالى

---

1 ـ سنن أبي داوود كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم حديث رقم/3157، والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة حديث رقم/2606، وابن حبان في صحيحه في كتاب العلم، باب الزجر عن كتابة المرء السنن مخافة أن يتكل عليها دون الحفظ لها، حديث رقم/88 .

2 ـ الجبان، والجبانة بالتشديد الصحراء ، انظر: مختار الصحاح، باب الجيم، ص92 .

3 ـ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق ـ حامد أحمد طاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005م، من مواعظ علي رضي الله عنه، ج2 ص83.

وهدايته وتأييده لهذا الدين بعلماء ربانيين، فهموا مقاصد الشريعة ومقتضيات النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

إن علماء الإسلام قد فهموا خصوصية هذا الدين وأنه صالح لكل زمان ومكان، فلم يتعاملوا مع نصوص الشريعة على أنها نصوص جامدة لا حياة فيها ولا تجدد ـ حاشى وكلا ـ بل فهموا مقتضيات الشريعة، ولوازم الإيمان، ومكملات الدين، وحاجات الناس التي أمرت العقيدة بحفظها ومراعاتها، من باب " **لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان**"[1] فهذه القاعدة تقرر مبدأً من مبادئ الشريعة الإسلامية، يبين عقلية الفقيه والعالم المسلم، الذي يراعي ظروف الناس، وحاجة المستفتي، فالأمور الفقهية، والحكم على المسائل والقضايا على اختلافها، لابد أن يكون عن وعيٍ ودرايةٍ بأحوال الناس وحياتهم الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، وهذا لا يعني أن الفقهاء قد أخضعوا الدين للأهواء! معاذ الله، بل هذا يدلل على فهمهم العميق للدين، ومراد الله تعالى من عباده كما قال عز وجل في آية التيمم:﴿**مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[2] جاء في تفسير ابن كثير" أي لعلكم تشكرون نعمه عليكم، فيما شرعه لكم من التوسعة، والرأفة والرحمة، والتسهيل والسماحة"[3].

---

1 ـ عبد العظيم شرف الدين، تاريخ التشريع الإسلامي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثالثة، 1989م، ص339.

2 ـ سورة المائدة ، الآية 6 .

3 ـ ابن كثير، ج2 / ص31 .

لذلك كان لهؤلاء العلماء الربانيين، والأئمة العاملين دورٌ كبيرٌ في تبيين مقتضيات الشريعة الإسلامية، وكذلك في إظهار ما لهذا الدين من السموِّ والرقيِّ، بحيث لم يشذ عن القواعد العامة المسيِّرة لأحوال البشر، بل على العكس من ذلك، فقد نظم هذه القواعد، ورسم للنَّاس جميعاً أسلوب العيش الكريم، والحياة السعيدة في الدنيا والآخرة، وذلك على اختلاف الأزمنة والأمكنة، وعلى مر العصور.

ولقد كان للعلماء المعاصرين دور بارز في هذا المضمار، حيث استجدَّت على الساحة أشياءُ لم تكن في الزمان الأول، وشهد هذا القرن تطوراً مادياً مطرداً في كافة مناحي الحياة، نتجت عنه قضايا وأحداث لم يكن للفقهاء الأوائل بها عهد، ولم يذكرها الأئمة السابقون في فقههم وآرائهم، مما حمَّل العلماء المعاصرين أمانةً عظيمةً، طالبتهم بإيجاد الحلول الشرعية والفتاوى المعاصرة، ومن هنا برزت خصوصية هذا الدين وصلاحه لكل زمان، وتكيفه مع المكان، والمحافظة على الثوابت، والالتزام بالنصوص، وأيضاً من هنا ظهرت مكانة علماء الإسلام الذين فهموا روح الدين الإسلامي، ومراد الله تعالى من عباده كما قال عز وجل **(مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ)**[1].

ولقد كان للشيخ عيسى الفاخري ـ رحمه الله ـ دورٌ مهمٌّ في الدعوة إلى الله، وتصحيح الفهم عند كثيرٍ من المسلمين في بلده وطيلة أيام حياته، وصفه أحد تلامذته الأوائل في الجامعة الإسلامية في البيضاء بأنه كان

---

1 ـ سورة الحج ، آية 78 .

شمعة في البلد، وكان الناس يرجعون إليه في أمور الفقه والمسائل العلمية المختلفة، وهو عالم ليس على مستوى إجدابيا فحسب، بل على مستوى ليبيا بشكل عام[1] وإن لم يعرف الشيخ أو يشتهر لدى كثير من الناس فإن مردَّ ذلك أنه ـ رحمه الله ـ لم يكن يحب الشهرة، وكذلك ساهمت عوامل عدةٌ في عدم تدوين علمه، سنذكرها لاحقاً ـ ولكن هذا الحق قد عرفه له تلامذته ومن عاصره من أهالي مدينته التي أثَّر الشيخ فيها أيُّما تأثيرٍ، وليس أدلَّ على ذلك ما يعرفه العام والخاص من تصحيح الشيخ ـ رحمه الله ـ لكثيرٍ من المعتقدات الفاسدة التي كانت سائدةً في المجتمع البدوي الذي تميز به أهل إجدابية، كغيرهم من أهل البادية .

والحديث عن العلماء والصالحين وأهل الورع يزيد في الإيمان، ويبعث في النفس روح العزيمة والصبر على الطاعة، أكثر من البحث في مسائل الفقه والأصول، كما قال الإمام أبوحنيفة ـ رحمه الله ـ : الحكايات عن العلماء أحب إليّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم، ولذلك لما قص الله تعالىٰ على نبيه صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قصص جملة من الأنبياء قال بعد ذلك: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾[2].

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبُّه بالكرام فلاح[3]

---

1 ـ رواية شفوية، الشيخ محمد حيفان (الذي كان يلقبه الشيخ بالكفراوي نسبة إلى مدينة الكفرة) .

2 ـ سورة الأنعام ، الآية 90 .

3 ـ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، باب يحيى بن حبش السهروردي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، ج2ص500 .

ومما دعاني للكتابة في هذا الموضوع، رغبتي في التعريف بالشيخ ـ رحمه الله ـ حيث كان علماً في الظلال، ولم يعط قدره من العناية والاهتمام بتدوين علمه واجتهاداته[1]، فهذه محاولة أرجو بها أن أسلط الضوء على حياته وأخلاقه ومنهجه، للتعريف به وبما كان عليه ـ رحمه الله ـ من منهج صافٍ، وعقيدة سلف هذه الأمة، وفهم صحيح للنصوص

1 ـ يقول الدكتور سعد حماد: إنني لست على مستوى تقييم مكانة الشيخ بين نظرائه من العلماء، ولكن فيما أرى أن شيخنا كانت له مكانة عظيمة ـ مع إجلالي لكل العلماء المعاصرين ـ ولقد كان شيخنا يتمتع بمكانة عالية بين علماء عصره، وإن لم يدوَّن علمه، فهذا مردُّه لتقصيرنا نحن تلامذته في هذا الجانب، ومن التضحيات الجمَّة التي بذلها الشيخ لتحصيل العلم، أنه جاب الصحاري من أجل العلم، وقضى كل حياته في هذا المجال، دراسة وتدريساً، ولقد كانت له طريقته الخاصة في التعليم، حيث كان يحبِّب الطلاَّب ويرغبهم في العلم، ويهون عليهم من أمر الدروس، وكان يتمتع بذاكرة حادة جداً، حتى إنه ذكر لنا مرةً، أن مملكة مصر في سنة 1929م أصدرت قانوناً في الأحوال الشخصية، يحمل رقم(25) لسنة 1929م، يقضي بعدم وقوع طلاق السكران، وعندما رجعنا لهذا القانون، وجدناه يحمل نفس الرقم، ونفس التاريخ، بالرغم من أنه حدثنا بهذا ـ سنة، 1998م، والأمثلة على هذا كثيرة.

الدكتور: سعد حماد القبايلي (إجابة مكتوبة)، عن تساؤلات طرحت عليه عن منهجية الشيخ، 2008/2/7م، سعد حماد، هو: الأستاذ الدكتور سعد حماد القبائلي من مواليد إجدابيا سنة1950م، من التلامذة المترددين على الشيخ، ومن الذين نهلوا من علمه، وتزودوا من أدبه وخلقه، أستاذ بكلية القانون جامعة قاريونس، تحصل على الماجستير من كلية القانون جامعة قاريونس وعنوان الرسالة: الشهادة كدليل إثبات في المواد الجنائية (دراسة نظرية وتطبيقية)، والدكتوراه من جامعة عين شمس، مصر، سنة 1998م، وعنوان رسالة الدكتوراه: ضمانات حق المتهم في الدفاع أمام القضاء الجنائي (دراسة مقارنة)، شارك في عدة مؤتمرات وندوات ببحوث مختلفة، تزيد عن اثنين وثلاثين بحثاً، وله مجموعة من الكتب والمؤلفات.

القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، والإمساك عما أمسكوا عنه .

ظهور جيل في مدينتي لا يعرف قدر الشيخ ولا يعطيه حقه الذي ينبغي بين علماء الشريعة المعاصرين، فقد يقول عنه ما لا يعلمه حقيقةً عن منهجه وسلوكه، والشيخ ـ رحمه الله ـ كان يتميز بشخصية يعزُّ وجودها في زماننا اليوم.

رغبة بعض الإخوان ومحبي الشيخ في إصدار كتاب للتعريف به، وتدوين بعض فتاويه، ونشرها بين الناس للاستفادة منها، وإحياءً لذكرى شيخنا ـ رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً.

ولقد أكرمني الله عز وجل بصحبة الشيخ والتتلمذ على يديه زمناً بدأ من شهر 8 عام1987م إلى وفاته في: **(الجمعة 3 ـ رمضان 1420هـ، الموافق 10 ـ 12 ـ 1999م)** وكان الشيخ لي ولغيري من الطلبة والإخوان، مثال الأب الناصح والوالد العطوف، وهذه الصحبة لم تكن متصلة بل كان يتخللها الانقطاع أحياناً تبعاً لظروف الحياة، ولكنِّي مع هذا أعدُّ أن هذه الفترة التي قضيتها مع الشيخ، في حلق العلم، من فضله تعالى عليَّ ورحمته، وفرصة طيبةً لأتعرف عليه عن قرب، ولقد أفدت من ذلك كثيراً، ولقد قرأتُ عليه عدة كتبٍ ـ في العقيدة، والسيرة، والقراءات، واللغة العربية، والفقه وأصوله .

والشيخ ـ رحمه الله ـ لم يؤلف كتباً ومجلدات، ولكنه ربَّى رجالاً هم حصيلة مؤلفاته ورسائله العلمية، يقول الأستاذ الكاتب ناصر رحيل: إنه مما يحزُّ في النفس، أن الشيخ قد توفي، قبل أن يسجل لنا علمه في كتب متعددة، تتناول جميع أبواب الفقه وفروعه، لكنه ترك لنا نخبة من

تلامذته الذين درسوا على يديه الفقه وأصوله، وأخذوا عنه العلم والأدب، والأخلاق والمعاملات، واعتلوا منابر المساجد في إجدابيا وغيرها، يحاولون نشر الإسلام الوسطي الصحيح، الخالي من التطرف، مما ساهم في ازدهار الحياة العلمية في بلادنا، وخفَّف بعض مصابنا فيه[1].

وما عرفنا عن الشيخ إلا حبه للعلم وأهله، يقول الأستاذ حسن المايل: في كتابه "درة الأقصى وذكريات لا تنسى" **تحت عنوان الزاهد الذي غفلنا عنه**": لقد كان منزل الشيخ عيسى مزار عارفيه ومحبيه من أرجاء ليبيا، ومن خارجها، على اختلاف ثقافاتهم وانتماءاتهم، فمنهم من يأتيه مستوضحاً عن مسألة دينية، ومنهم من قصده لاستزادة في العلم، فوجد ضالته، ومن قدم إليه بحثاً فرأى فيه مكتبة فكرية، زاخرةً بكل العلوم: الفقه والشريعة، واللغة، والأدب[2] .

لقد كان شيخنا وقَّافًا عند الدليل لا يتجاوزه إلى ما عداه، والرجوع للحق وعدم الاستبداد بالرأي ميزةٌ فيه لا ينكرها أحدٌ من طلبته وجلسائه، ورأينا أن هذه الصفحات من حياة الشيخ لابد لها أن تبرز للعيان، مع اعتقادنا أن ما سنذكره من سيرة الشيخ وحياته ومنهجه، أقل بكثير مما سيفوتنا، وحسبنا المحاولة في هذا الشأن، سائلين الله تعالى أن يوفقنا وأن يعيننا على جمع ما تناثر من سيرته تلقفاً من أفواه تلامذته ومحبيه، ومَن

---

1 ـ الأستاذ: ناصر رحيل، مقالة في جريدة إجدابيا بعنوان: (مشاهير علماء إجدابيا) العدد 435، 24 ناصر 2007م .

2 ـ حسن محمد المايل، درة الأقصى وذكريات لا تنسى، دار الأندلس، الإسكندرية، مصر، 2004م، ص26 .

بقي مِن رفقائه وجلسائه .

وقد اعتمدت في دراستي هذه بالإضافة إلى ما تلقيته عنه، على الروايات الشفوية للتَّلامذة الأوائل والطلبة المجتهدين، سواءٌ من طلبة الجامعة الإسلامية بالبيضاء، أم الذين تتلمذوا على الشيخ قبل ذلك، أم من جاء بعدهم من تلامذة وطلبة علم، ومحبِّي الشيخ، ولم أغفل كذلك الرجوع إلى بعض الروايات الشفوية لمن عاصروا الشيخ من أبناء عمومته، أو من أصدقائه الذين لا يزالون على قيد الحياة .

كذلك ما عثرت عليه من مذكراتٍ وأشرطةٍ كانت قد سجلت للشيخ أثناء حياته، وهي تعدُّ مرجعاً مهماً في دراستنا هذه مع ندرتها.

لم أهمل بطبيعة الحال تحقيق بعض المسائل التي اجتهد فيها ـ رحمه الله ـ ومحاولة بيان الأصول التي كان يستند عليها، للمقاربة بين ثوابت الشريعة ومراعاة مصالح الناس وحاجاتهم التي دعت لها ضرورات الحياة، متجنباً قدر الإمكان الإطالات المملَّة والاختصارات المخلَّة، وذلك بالرجوع إلى أمهات الكتب، وأقوال العلماء في هذه المسائل .

أتبعت هذه الدراسة بالحديث عن بعض الشخصيات التي تميزت بصحبة الشيخ، وكان للشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ تأثيرٌ في نمط حياتهم، وقد تميزوا بمواقف حدثنا عنها الشيخ في حياته، وهذا ليس على سبيل الحصر، فهذا لم أجد إليه سبيلاً فبعضهم ليس في البلد، وبعضهم انتقل إلى رحمة الله ولم أعثر على بقايا عائلته، ولكن هي إشارة بسيطة إلى بروز هذه الشخصيات في قربها منه ـ رحمه الله ـ وتفانيها في محبته وخدمة العلم والدعوة التي أخذها على عاتقه، فرحمهم الله جميعاً، ولْيلتمس لي

العذر في تقصيري من لم أصل إليه ولم أذكره في صفحات هذا الكتيب، فكفى بذكر ربنا ذكرًا، وإنما العاقبة للمتقين، ولا أجد تعبيرًا عن هذا الموقف، أفضل من تعبير الشاطبي "القاسم بن فره" ـ رحمه الله ـ حيث يقول:

وإن كان خرق فادَّرِكْه بفضلةٍ

من الحلم وليُصلحه من جاد مقولاً[1]

المؤلف: أ. سالم رحيل

4 . 4 . 2010م

1 ـ القاسم بن فره الشاطبي الرعيني، متن الشاطبية، دار الآثار، الطبعة الأولى، 2004م، ص11.

الفصل الأول

الشيخ عيسى : حياته وعصر

المبحث الأول ـ موطنه ونشأته :

أولاً ـ القبائل العربية الليبية قديماً وحديثاً.

ثانياً ـ نبذة عن قبائل برقة قبيل الاحتلال الإيطالي.

ثالثاً ـ ذكر نسبه وقبيلته.

المبحث الثاني ـ الطفولة والشباب :

أولاً ـ مولده ونشأته.

ثانياً ـ الحياة العلمية.

ثالثاً ـ الشيوخ والتلامذة.

ورقة بيضاء

(ظهر عنوان الفصل الأول)

الفصل الأول

الشيخ عيسى حياته وعصره

المبحث الأول ـ موطنه ونشأته :

كانت ليبيا منذ القدم مهداً لكثير من الحضارات الإنسانية، كالحضارة الرومانية، وقد كان الرومان يسيطرون على ليبيا عام 155ق م، حيث كانوا يقسمون ليبيا إلى ثلاثة أقاليم ـ قوريني، وبرقة[1]، ويوسبريدس .[2] وقد كان إقليم برقة يقع إلى الغرب من إقليم قوريني، ويذكر أن مدينة برقة كانت تطل على إقليم متسع فسيح يتوسطه حوض مغلق من التربة الخصيبة[3] وعلى هذا يمكن أن نقول إن إقليم قوريني يضم مناطق الجبل الأخضر ومدينة شحات القديمة إلى الأطراف الشرقية من مصر، وزاد من أهميتها ـ الموقع الجغرافي الذي كانت تتمتع به، حيث كانت الحضارة الفرعونية في الشرق، والحضارة اليونانية في الشمال، ولقد كانت ليبيا كذلك تمثل معقلاً رئيساً من معاقل الرومان والإغريق القدامى.

---

1 ـ تقع برقة على الساحل الليبي، غرب الجبل الأخضر، وشرق طرابلس، وتمتد إلى وسط ليبيا، لتشمل أجزاءً من الواحات، وتعد من المناطق المهمة، تاريخياً وجغرافيا.

2 ـ عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة الثانية 1994م ص100 .

3 ـ المرجع السابق ص101 .

أولاً ـ القبائل العربية الليبية قديماً وحديثاً :

فتح العرب المسلمون شمال إفريقيا، بما في ذلك ليبيا الحالية في القرن الأول الهجري وتحديدا في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، وعلى يد الصحابي الفاتح عمرو بن العاص رضي الله عنه وكان ذلك سنة 22هـ أما برقة فكان فتحها بعد استسلام مدينة الإسكندرية بالكامل ووقوعها في أيدي المسلمين سنة: (21هـ الموافق 10 ـ ديسمبر 641 ـ29 نوفمبر 642)[1] ثم في عهد معاوية رضي الله عنه انطلقت الفتوحات من بعده على يد عقبة بن نافع رضي الله عنه، وكان مقيماً في برقة وازويلة قرابة عشرة آلاف جندي، فدخل عقبة أفريقيا وتمكن من فتحها على يد كثير من البربر الذين انضموا إلى الجيوش العربية والإسلامية، وبهذا انجذبوا للإسلام، وكان منهم القادة أيضاً في جيوش الفتح، وقد اتسع النفوذ الإسلامي في هذه المناطق، حتى شمل تونس والجزائر والمغرب الأقصى حتى وصل السودان[2] وبذا يكون قد تم تعريب شمال إفريقيا ودخولها في الإسلام .

وقد كانت ليبيا تحظى بمكانة في الدولة الإسلامية الكبر، ويذكر أن التعريب الكامل والدخول الكلي في الإسلام بالنسبة لشمال إفريقيا كان في القرن الحادي عشر، نتيجة الهجرات التي قامت بها قبائل بني هلال، وبني سليم، والتي سميت في التاريخ بهجرة الهلاليين، وقد

---

1 ـ إتوري روسي، ترجمة ـ خليفة محمد التليسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911، الدار العربية للكتاب، 1974م ، ص54 .

2 ـ حسن إبراهيم حسن،تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة الجيل بيروت، الطبعة التالثة عشر، 1991م ، ج1 ص230 .

حملت هذه القبائل إلى ليبيا بناءها الاجتماعي ـ والاقتصادي ـ والسياسي[1] مما كسا ليبيا طابعاً قبلياً، ظهرت فيه العصبية القبلية، وظهرت كذلك بعض الخصومات بين القبائل المتحدة من بني هلال، أفضى إلى نزوح بعض بطون القبائل والعشائر عن التراب الليبي، أما قبيلة أولاد علي فقد هاجرت بالكامل، إلى بر مصر[2]، وبهذا استقرت عدة قبائل في ليبيا منها قبائل "العواقير، والمغاربة، والعبيدات، والزوية، والفواخر، والورفلة، واولاد اسليمان، والقذاذفة، والفرجان وغيرهم من القبائل التي استوطنت ليبيا، وصار التراب الليبي موطنها الأصلي .

وتذكر بعض الروايات أن القبائل في شرق ليبيا تنحدر في غالبيتها من قبيلة بني سليم، لأن بني سليم قد أقامت في الشرق، أما بنو هلالٍ فقد ساروا إلى باقي أفريقيا [3].

ثانياً ـ القبائل التي سكنت برقة :

تقسم برقة إلى قسمين: برقة البيضاء، وبرقة الحمراء، أما برقة البيضاء فهي من الحدود الغربية لـ**(سلوق)** وحتى الحدود الشرقية لـ**(بن جواد)** أما برقة الحمراء فتشمل غرب سلوق وجميع الساحل حتى سهل المرج، وسميت برقة الحمراء بذلك لما امتازت به من تربة طينية حمراء

---

1 ـ نيكولاي ابليتش بروشن، ترجمة عماد حاتم، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م، دار الكتاب المتحدة، بيروت لبنان 2001م ص47 .

2 ـ تاريخ ليبيا ص48 .

3 ـ إتوري روسي، ترجمة خليفة محمد التليسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 191، الدار العربية للكتاب، 1974م، ص98 .

متماسكة، وأما برقة البيضاء فهي ذات تربة بيضاء رخوة، وهي أقرب إلى المناخ الصحراوي، ولكلٍّ من البرقتين ما يميزها عن غيرها من حيث المناخ، والطبيعة الاجتماعية والاقتصادية، بالرغم من أن غالبية البرقاويين كانوا يشتغلون بالرعي، إلا أنه كان منهم من اشتغل بالتجارة بين برقة والكفرة، وبرقة وفزان، وزراعة الحبوب الموسمية، ويمكن تقسيم قبائل البرقتين بحسب مواطن سكناهم كما يلي:

- **برقة الحمرا:** غالبية سكانها كانوا من العواقير، والعبيد الاحرار، وأولاد فايد، والعرفة، والبراعصة .
- **برقة البيضا:** كانت برقة البيضا تحسب على المغاربة، والفواخر، وازوية.

وكان هذا التقسيم قبل الترحيل القصري الذي قام به الاستعمار الإيطالي لمعظم القبائل الليبية، لكسر شوكة المجاهدين، لكن هذا لا يعني بالضرورة أنه لا يوجد غيرهم من القبائل الأخرى، ولكن هذا هو الغالب[1].

ذكر قبيلته ونسبه :

ينتمي الشيخ عيسى إلى قبيلة الفواخر إحدى القبائل العربية الليبية التي سكنت برقة قديماً، ويرجع أصل هذه القبيلة إلى جدهم الأول - **محمد فاخر** - وترجع بعض الروايات الموثوقة نسبه إلى أنه شريف من ذرية

---

1 - انظر: يوسف سالم البرغثي، المعتقلات الفاشية بليبيا دراسة تاريخية، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ليبيا، 1985م، ص91 .

عقوب الصخَّان الفيتوري [1]، الذي يرجع نسبه للإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ.[2] ومن الروايات المنقولة كذلك في هذا الشأن أن فروع الفواخر:

- **أبناء سيدي سعيد الطير، وهم الذين استقروا بمصر.**
- **وأولاد بوهيمة، وهم الذين سكنوا بلدة سمنو بفزان.**
- **وأولاد يحيى الملقب بأبي ماعون، وهم الذين سكنوا برقة**[3] وتذكر بعض الروايات أن الأصول التي تتفرع من محمد فاخر غصنان وهما: الطير، وبوماعون، ومن بوماعون تتفرع بوامباركة وبلقاسم[4]، تزوج بوامباركة من زوجتين وهما عليا وأم شيبه أما عليا فأنجبت: امويعين، وحبيب الله، وبوعوصه، أما أم شيبه فأنجبت لجيرب، وعباس وهذه هي فروع بوامباركة، أما بلقاسم وهو الجد الذي ينحدر منه الشيخ، ففروعه كما يلي :

وُلد لبلقاسم الجد الأول للمهابات، سليمان وهو الملقب بالعمى،

---

1 ـ سلالة نسب الفواخر نقلاً من الشجرة التي وجدت عند الشيخ محمد بشير الشامخ الملقب بالعبد، نقلها عنه الشيخ مصباح عبد القادر محمد الفايدي، ليلة الأربعاء، 1979/9/17م، وسلالة نسب قبائل الفواخر، مخطوط بإملاء الشيخ عيسى بلقاسم الفاخري، وجمعتها ابنته خديجة عيسى بلقاسم الفاخري، (بدون تاريخ) .

2 ـ سلالة نسب الفواخر نقلاً من الشجرة التي وجدت عند الشيخ محمد بشير الشامخ الملقب بالعبد، نقلها عنه الشيخ مصباح عبد القادر محمد الفايدي، وسلالة نسب قبائل الفواخر، مخطوط بإملاء الشيخ عيسى بلقاسم الفاخري، وجمعتها ابنته خديجة عيسى بلقاسم الفاخري، (بدون تاريخ).

3 ـ انظر: المصادر السابقة .

4 ـ رواية شفوية للحاج صالح محمد إبراهيم بوالعبد، بتاريخ 5 ـ 1 ـ 2009م .

وسموا بالمهابات نسبةً إلى أمهم (مهابة بنت احمودة الطير)[1].

وسليمان أبناؤه حسن، وادخيل، واحضير، وينحدر نسب الشيخ من حسن، وحسن أنجب عبد النبي، وعبد النبي والد حسن بونقزه [2]، وحسن بونقزه والد إبراهيم - الذي يعتبر جد الشيخ لوالده بلقاسم الثاني[3] [4]، وعلى هذا ممكن أن نمثل شجرة نسب الشيخ عيسى، على النحو الآتي :

1 - رُجع في ذلك إلى سلالة نسب قبائل الفواخر، مخطوطة بإملاء الشيخ عيسى بلقاسم الفاخري، وجمعتها ابنته خديجة عيسى بلقاسم الفاخري، (بدون تاريخ) .

2 - سليمان قنفود، حسب رواية للحاج محمود خطاب عن الشيخ عيسى الفاخري مباشرة، وقال الحاج محمود خطب أن النسب الذي أملاه عليه الشيخ مساء 7-1-1986م، هو (عيسى بلقاسم إبراهيم حسن سليمان (قنفود) عبدالنبي حسن سليمان (العمى) بلقاسم يحيى (بوماعون) محمد فاخر، الحاج محود خطاب، روايات عن حياة الشيخ عيسى الفاخري، 23 - 2 - 2010م .

3 - رواية شفوية ، الحاج محمد بوتبر الفاخري ، 21 - 5 - 2008 م، نقلاً عن الشيخ عيسى الفاخري .

4 - ملاحظة: لا تعارض بين الروايتين، غير أن رواية الحاج محمود خطاب فيها شيء من التفصيل، وهذا النسب مجمع عليه ولله الحمد، غير أننا قمنا بجمع كثير من روايات الملاصقين للشيخ من أبناء عمومته، ومن المتوثقين من نسبه، زيادة في تأكيد الرواية .

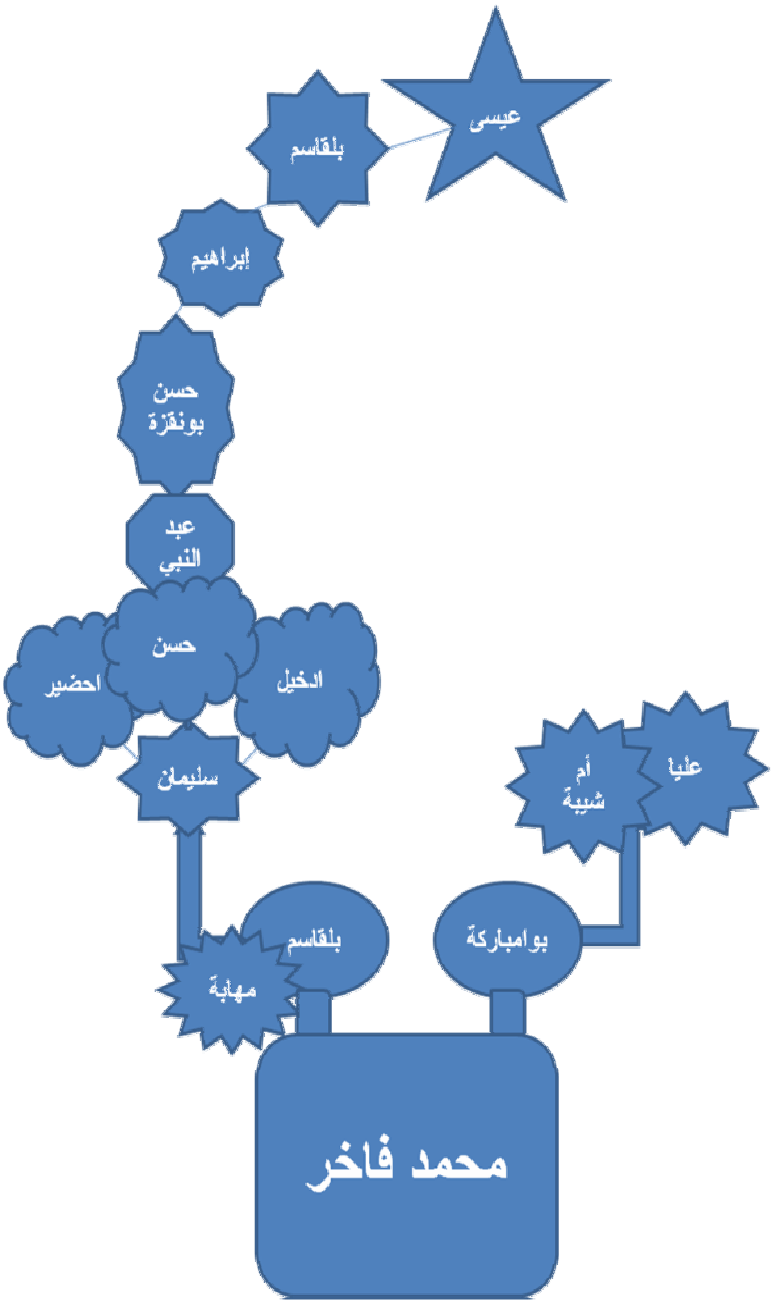

(شكل يوضح شجرة نسب الشيخ عيسى)

الشكل السابق يمثل شجرة نسب الشيخ عيسى الفاخري، وذلك بعد الرجوع للمصادر في نسبه، والرواية المنسوبة له شخصياً، وكذلك الروايات الشفوية من بعض شيوخ وأعيان الفواخر التي اتفقت على هذا النسب .

المبحث الثاني . الطفولة والشباب :

لقد كان لمولد الشيخ وطفولته ونشأته أثرٌ كبيرٌ في حياته، فقد مر بطفولة صعبة، وكان شبابه رحلة مليئة بالتعب والمعاناة، ولكن هذا لم يَفُتَّ في عضده، بل زاد من إصراره في مواصلة الكفاح والمثابرة لطلب العلم النافع، مزيِّناً ذلك بالصبر والأناة اللذين يقل وجودهما في شبابنا اليوم، وسيتبين لك أخي الكريم، ومن خلال استعراض هذه المواقف من بداياته الأولى، مقدار العناية الربانية التي أحاطته، والتوفيق الذي منَّ الله تعالى به عليه .

أولاً . مولده ونشأته :

ولد عيسى الفاخري عام (1322 هـ الموافق 1904م)[1] في منطقة الأبيار

---

1 ـ رواية شفوية منقولة عن شريط مرئي مسجل للشيخ عيسى الفاخري، 1991م، وانظر ـ مذكرات خاصة بحياة الشيخ عيسى الفاخري، ص1، وهذه المذكرة التي عثرت عليها، وهي مخطوطة، ولم تنشر، جمعها ـ عبد الله بوهدمة، ومفتاح الفاخري، التي انتهي من كتابتها يوم السبت الموافق24ـ11ـ1990م، وترقيمها للصفحات منضبط في معظمه، ملاحظة: هذه المذكرة الوحيدة التي عثرت عليها تكلمت عن حياة الشيخ، وقد كتبها الشيخ مفتاح محمد عثمان الفاخري، ابن عم الشيخ وصهره، وقد أكملها، وعني بتقييدها الأستاذ عبد الله بوهدمة، رواية شفوية مسجلة كتابة، عن الشيخ مفتاح محمد عثمان، في 14 ـ 8 ـ 2008م، وانظر: موقع الشيخ عيسى الفاخري، مقالة الدكتور فرج نجم.

في ريف يسمى الصلبية[1] وقد كانت نشأته ـ رحمه الله ـ في مجتمع بدوي، والمعروف أن البدو يحبون الترحال والتنقل من مكان لآخر طلباً للكلأ والمرعى، ويمكن أن نسميَ المكان الذي ولد فيه الشيخ ببرقة الحمرا، كما يسميه أهل البادية.

وكان لولادة الشيخ في هذا الجو عظيم الأثر فيما بعد، حيث تعوّد على الترحال والانتقال من مكان لآخر، مما هون عليه بعد ذلك حياة طلبةِ العلم، والتي من طبيعتها التَّغرب والارتحال من مكان إلى مكان، طلباً للعلم وتتبعاً للمعرفة من مصادرها، وكثيراً ما كان يردد ـ رحمه الله ـ هذه الأبيات :

تغرَّب عن الأوطانِ في طلب العُلا وسافر ففي الأسفار خَمس فوائد
تفرُّج هم واكتساب معيشةٍ علمٌ وآدابٌ وصحبة ماجد[2]

وهذا ما كان بعد ذلك وكأن الله تبارك وتعالى يهيئه لما سيكون عليه حاله، وما سيتعرض له الشيخ من محن في السنوات الأولى من عمره، كانت سبباً في تحول حياته بأسرها[3].

كانت الولادة في هذه البيئة المليئة بالرعب والفقر، والجوع والحزن، ومع ذلك كان يهون من مرارتها ما جبلت عليه تلك المجتمعات من صفات فاضلة وعادات حميدة تمثلت في الاستئناس بالأصول الطيبة[4] وسلامة

---

1 ـ المرجع السابق .

2 ـ أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، المتوفى سنة 204هـ، ديوان الإمام الشافعي، دار ابن خلدون، الاسكندرية، ص13 .

3 ـ مذكرات للشيخ جمعها مفتاح الفاخري ، 1991م، ص 2 .

4 ـ كما يذكر في المثل الليبي الدارج : (الأصل إيونّس).

الفطرة وأيضاً المروءة والكرم، وغيرها من الخصال الحميدة التي عُرفت بها تلك المجتمعات البدوية كما سبق وأشرنا .

المحنة وعوامل الثبات :

لقد مرّ الشيخ ـ رحمه الله ـ بظروف قاسية، ومحن يصعب معها على أحدنا الوصول إلى ما وصل إليه الشيخ من العلم والمعرفة، والورع والتقوى، وهذا ليس من قبيل المجاملة أو المبالغة، ولكن هذا ما يشهد له الواقع الذي عاشه ذلك الطفل في صباه، وبداية مراحل الشباب، وكثيراً ما كان يقول: **"أنا لولا عناية الله ورعايته، لمتُّ كما مات الكثير من الليبيين في الحرب، مع أنهم كانوا أصحاء وكنت أعمى، ولكن الله ـ عز وجل ـ أحاطني برعايته"** .

مرارة العمى :

لم تكن طفولة الشيخ سهلةً كما قد يتصور البعض، بل كان واقع الحال يدلل على أنه ـ رحمه الله ـ عاش حياةً صعبةً كغيره من الليبيين الذين قاسوا مرارة الحروب وآلام الاحتلال الذي شرد الملايين من أبناء ليبيا، ولكن الشيخ ألمَّ به مرضٌ في عينيه وهو في الخامسة من العمر .

في بادئ الأمر كانت من مضاعفات هذا المرض وآثاره أنه لم يعد يرى الأشياء واضحةً في الليل، ثم ازداد الأمر سوءاً فصار لا يرى ليلاً مع آلامٍ في العينين، ولم يكن الناس وقتها يجدون العلاج، فالطبيب غير موجود أصلا وفي حالة وجوده فهو من المزاولين لمهنة الطب البدائي، ومع ذلك كان على والد الشيخ أن ينقل ابنه الصغير إلى واحة جالو التي تبعد

عن اجدابيا 250 كم جنوباً، مشياً على الأقدام في صحراء لاهبة تقصياً عن طبيب لربما يوجد عنده دواء لحالة هذا الطفل التي ازدادت سوءاً، وللأسف بعد أن وجدوا الطبيب وأعطاه الدواء فقد بصره تماماً وصار كفيفاً لا يرى ليلاً ولا نهاراً[1]، ويذكر الشيخ عن نفسه أنه فقد الوعي أثناء السفر إلى جالو ولم يحس بشيءٍ ولم ينتبه كيف تم ذلك، المهم أنه فقد بصره في هذه الأثناء وكان ذلك عام 1909م، وصوَّر هذا المشهد بقوله: وكانت هذه مشيئة الله ومنّه وكرمه، أن جعل ذلك سبباً في إقبالي على العلم والاجتهاد في طلبه[2].

حقّا لقد كانت هذه مشيئة الله تعالى الذي لا مردَّ لأمره، ومثل هذه المصائب وهذه البلايا تحتاج إلى صبر وعزيمة وثبات، فليس سهلاً أن يفقد المرء حبيبتيه وفي هذا العمر المبكر، وفي ظروف كالتي مرت علينا، فالبلد في حالة حرب وجوع وفقر، والموت يتربص بالجميع ناهيك عن العجزة والضعفاء، فتضاعف الابتلاء وعظمت المحنة، وتبع ذلك وفاة أمه "غزالة عبدالله" إثر مرض ألم بها، فصار الطفل الذي لم يبلغ السابعة بعد، يتيم الأم، ومن رحمة الله ـ عز وجل ـ أن عوضه بأخته حنان الأمومة التي قال عنها ـ رحمه الله ـ **"لم تكن أختاً فقط، ولكن كانت الأخت والأم"**.

---

1 ـ ولا ندري بالتحديد هل كان فَقَدَ البصر نتيجة الخطأ في الوصفة الطبية التي وصفها له ذلك المعالج ، أو بسبب مضاعفات المرض ، ونرجح أن يكون الدواء الذي أُعطي للشيخ هو السبب في فقدانه البصر ؛ لِمَا لاحظنا عنه ـ رحمه الله ـ من انطفاء عينيه تماماً ، والله أعلم.

2 ـ مذكرات جمعها مفتاح الفاخري ، ص10 ، وأيضاً رواية شفوية مسجلة لكل من الحاج صالح حمد ، ومحمد إجريو ، 4.9.2007م.

لم تبق الأخت مع أخيها طويلاً، لأنها ما لبثت أن لحقت بأمها عام 1912م، وقد فجع الطفل في أخته التي قال عنها بعد موتها " ما عرفت فقد أمي إلا بعد وفاة شقيقتي" .

وقد كان الاحتلال الإيطالي لليبيا قد بدت طلائعه، ويذكر الشيخ عن مقدمات الاحتلال وبالتحديد في أكتوبر من عام 1911م[1] حيث قال ـ رحمه الله ـ: سمعنا صوتاً قوياً ترعد منه السماء، فظننَّاه الرعد، ولكن المستغرب أن السماء كانت صافية، لا سحاب فيها، مما جعل الناس في حيرةٍ من مصدر الصوت، وتبين بعد ثلاثة أيام على لسان الركبان والفارين من مدينة بنغازي بعد احتلالها من قبل الطليان، حيث لم تكن تلك الأصوات سوى دوي المدافع الإيطالية، وأصوات الانفجارات التي لم يكن للناس بها عهدٌ قبل ذلك .

وفاة الإخوة وحياة المعتقل (1912م) :

كان مقدراً لهذا الصبي أن يكون فريداً، وأن يشق طريقه في هذه الحياة بنصبٍ ووصبٍ، وما من معين إلا الله سبحانه وتعالى الذي يمتحن عباده بالابتلاءات، ويمن عليهم بالنجاة والتثبيت، وهو بعباده أرحم من الأم بولدها، وهو أرحم الراحمين، وفي هذا المعنى من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: **قدم على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سبي فإذا امرأة من السبي تحلب ثديها تسقي، إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، فقال لنا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أترون هذه طارحة**

---

1 ـ مفتاح الفاخري ، ص18 .

ولدها في النار؟ !! قلنا: لا، وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال لله أرحم بعباده من هذه بولدها[1] .

وما هذه الابتلاءات إلا من تمام رحمته بخلقه، فهي تطهير من الذنوب، ورفعةٌ للدرجات، وذلك كما قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: "وقد يكون في الشخص مادتان، فأيهما غلب عليه كان من أهلها ، فإن أراد الله به خيراً طهره من المادة الخبيثة قبل الموافاة ، فيوافيه يوم القيامة مطهراً ، فلا يحتاج إلى تطهيره بالنار، فيطهره منها بما يوفقه له من التوبة النصوح ، والحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة "[2] .

وهو ما مر به معظم الليبيين في الواقع، وهذا حال معظم الدول العربية والإسلامية زمن الاستعمار حيث شرد الملايين، وقتل الناس على الهوية، واغتصبت النساء وشرد الأطفال بالآلاف، فلم يترك الاستعمار في

---

1 ـ صحيح البخاري، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، حديث رقم /5540، وفي صحيح مسلم باب في سعة رحمة الله تعالى، حديث رقم/4947، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب معالجة كل ذنب بالتوبة، حديث رقم 6729، ولفظه عن عمر بن الخطاب، أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي ، فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تبتغي إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟"، فقلنا: لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لله تعالى أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها" رواه البخاري، عن ابن أبي مريم . ورواه مسلم، عن ابن عسكر، وغيره عن ابن أبي مريم. وقد روي عن زيد بن أسلم مرسلاً .

2 ـ زاد المعاد، باب ما اختاره الله من الأعمال وغيرها، ج1 ، ص68 .

ليبيا أي جريمة تخطر بالبال إلا وارتكبها ولو نذكر مثالا بسيطا من بعض جرائمه التي ارتكبها في مدينة الكفرة، أو الجبل الأخضر، أوبرقة، لتبين لك وجهه القبيح من أفعال لا يصدقها العقل، كانوا يأخذون الرجال الأسارى ويربطونهم ثم يحملونهم في الطائرات ويلقون بهم من ارتفاعات شاهقة، وعند انشطار جسده إربا يصفقون ويمرحون، ثم يقولون ليأت محمد هذا نبيكم البدوي ـ الذي أمركم بالجهاد ـ وينقذكم من أيدينا، ناهيك عن بقر بطون الحوامل، وإلقائهم المصاحف القرآنية في الاصطبلات تحت سنابك الخيل[1].

هذه الابتلاءات التي مرت بها الأمة الإسلامية جراء الاحتلال، ولا تسأل عن ضحايا الجوع والأمراض، فقد كان لهما حظٌّ وافر من عامة الناس، ناهيك عن العجزة والمسنين، ولعل هذا أيضاً مما يكفر الله به الذنوب ويرفع به الدرجات، وذلك لمن صبر وجاهد دفاعاً عن دينه وشرفه، ذكر ابن حبان في صحيحه باباً سماه باب"**ما جاء في الصبر وثواب الأمراض والأعراض**" ثم قال: ذكر الله عز وجل الخبر بمن تواترت عليه الأمراض والأحزان، ثم ساق الحديث بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة، وحط بها عنه خطيئة)**[2].

---

1 ـ عمر المختار نشأته وأعماله واستشهاده، علي محمد الصلابي، المكتبة العصرية، بيروت 2007م، ص58، 61.

2 ـ صحيح ابن حبان، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الصبر وثواب الأمراض والأعراض رقم الحديث/2968، والحديث في صحيح مسلم، ومسند الإمام أحمد، وغيرهما، عن عائشة رضي الله عنها .

وهـذا مـن عظـيم رحمـة الله تعـالى بعبـاده، أن تكـون المصـائب مكفـرات للـذنوب، وهـذا يكـون لمـن صـبر علـى الابـتلاء ولم يجـزع ولم يكفـر، ومما يـذكر في هـذا البـاب مـا حـدث للشـيخ في طفولتـه مـن وفـاة إخوتـه، محمـد ويحيـى و داوود[1] في أوقـات متقاربـة كمـا يـذكر الشـيخ ـ رحمه الله ـ أما محمد فهو أخوه الأكبر أصيب بمرض فأدخل المستشفى على إثره، أما داوود فذهب مع والده إلى البادية ولم يمض على ذهابه شهر حتى توفي من الأمراض التي ألمت به، واعتقل عيسى وأخوه يحيى، في معتقل بنغازي في منطقة " رأس اعبيده " كما يذكر الشيخ[2] الذي أقامته إيطاليا عام **(1916م)** ويوصف ذلك المعتقل بالشدة والقساوة، اللذيْن يظهر فيهما الوجه الحقيقي للاستعمار الصليبي لبلاد المسلمين، ومن المشهور أن الطليان كانوا يستعينون بالأحباش، وهم الذين أطلق عليهم الناس اسم (امصوَّع) وقد كان هؤلاء الأحباش جنود إيطاليا في الحرب على ليبيا ، ومنهم فرقة كانت تحرس هذا المعتقل، وقد مات في هذا المعتقل كثير من الناس نتيجة الجوع والأمراض، حيث لم تكن السلطات الإيطالية تقدم الطعام للمعتقلين إلا مرة واحدة في اليوم، ولم تكن تعتني بالمرضى والعجزة، ناهيك عن الأطفال والشيوخ الذين كان لهم نصيب وافر من حالات الموت الجماعي .

مكث عيسى وأخوه يحيى في المعتقل أكثر من شهر، ليعود والدهم

---

1 ـ وتذكر بعض الروايات أنه كان لكل من أخويه محمد وداوود، مع والدهم بلقاسم مشاركات في الجهاد (روايات شفوية للحاج صالح حمد) .

2 مذكرات الشيخ عيسى الفاخري، جمع وترتيب مفتاح الفاخري، وعبد الله بوهدمة ص 22 .

فيجدهم في حالة مزرية، أما يحيى فقد ألم به المرض بعد خروجه من المعتقل، فما لبث أن مات سريعاً، وأما بلقاسم والده فقد نفي إلى الجزر الإيطالية، مع كثيرٍ من إخوانه المجاهدين[1] الذين نفتهم إيطاليا ظلماً وعدواناً، لمنعهم من الجهاد، ولتثبيط العزيمة عند المجاهدين الذين لم تتمكن جحافل الغزو الصليبي من النيل منهم، كل هذه الأحداث كانت سنة (1916م)[2] .

ومن هنا قدر لهذا الطفل أن يبقى وحيداً يصارع آلام الفقر والجوع واليتم، والحزن على والديه وإخوته، وصدق الله العظيم حيث يقول في كتابه العزيز: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْـهِ رَاجِعونَ أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾[3] .

---

1 ـ يقول الحاج محمود خطاب: كان نفي والد الشيخ عيسى الفاخري، ضمن عدد كبير من مواطني برقة، يبلغ عددهم حولي (17000)، وذلك كرد من الحكومة الايطالية على حملة الصحافة هناك، وبما صورته من فشل الحملة الايطالية في السيطرة على ليبيا، وعدم قدرتها على كبح المقاومة البرقاوية، وقدمت الحكومة الايطالية هؤلاء الأسرى (المنفيون)، لمحاولة إقناع الرأي العام الايطالي، بعد أن تعالت الأصوات بأن غزوها لليبيا لم يحقق شيئاً، وأنها عجزت عن إخضاع المقاومة، واستغل هؤلاء المنفيون في حصاد محصول القمح سنة (1917م) في مختلف المدن الإيطالية، وقد دام نفي والد الشيخ عيسى، إحدى عشر شهراً . روايات عن حياة الشيخ عيسى الفاخري، جمعها الحاج/ محمود خطاب، 23 ـ 2 ـ 2010م .

2 ـ المصدر السابق،ص3 .

3 ـ سورة البقرة ، الآية 155 ـ 157 .

بعد نفي والده إلى الجزر الإيطالية صار عيسى وحيداً، وظلمة الجهل والخوف والفقر التي تخيم على البلاد جعلت الناس في حالة من الارتباك، يصعب معها التفطن لمثل حالة هذا الطفل حتى من أقاربه وأبناء عمومته، فكلٌّ منشغل بهمِّه، وكلٌّ يسعى إلى النجاة بجلده فراراً من جحيم الطليان، غير أن عيسى لم يجد حيلة إلا المكث في هذا المعتقل على مرارته، وعلى الرغم من ذلك فقد حاول الشيخ - كما يذكر - الفرار من المعتقل، مما جعل السلطات الإيطالية تقوم بجمع الأطفال العجزة والمتضررين في ملجأ الأيتام، وهو عبارة عن **(بناء سكني قديم من بيوت الطين)** لتضمن عدم هروبهم إلى أي مكان .

في المعتقل أصيب بدمامل متقيِّحة في رجليه عانى منها طويلاً، وبقيت آثارها حتى آخر حياته، ومرَّ عامان عليه، وهو على هذه الحال، ثم بعد أن سجل المجاهدون انتصاراتٍ على الطليان، ألجأتهم إلى توقيع معاهدةٍ مع المجاهدين تمَّ على إثرها إرجاع المنفيين إلى ديارهم، وكان من ضمن الراجعين بلقاسم والد عيسى، وعاد ليجد ابنه في حالةٍ يرثى لها، وكان ذلك كما يذكر الشيخ سنة 1918م[1] .

أعوام من التيه والتشرد :

يمكن القول إن الشيخ في بداية عشرينيَّات القرن الماضي، وبعد ازدياد الحملات الإيطالية شراسةً وضراوةً قد مر بأقسى ظروف حياته، وكانت أياماً مشهودةً من العمر، ونظراً لأنه أعمى ولم يجد من يساعده

1 ـ مذكرات الشيخ عيسى الفاخري، جمع وترتيب مفتاح الفاخري ص5.

ويأخذ بيده في كثيرٍ من الأحيان فقد كان عرضةً للهلاك، ومما قاله رحمه عن هذه الفترة من تاريخ حياته، وعن الأحداث والوقائع التي شهدها وعاصرها بنفسه، فقد كان حينها شاباً فتياً في السادسة عشرة من العمر، وقد وضعه والده في زاويةٍ لتحفيظ القرآن الكريم في إجدابية، ولكن المكث لم يدم بالزاوية أكثر من عام ونصف، لتُحتلَّ إجدابية من قبل الطليان، ليجد الفتى نفسه وحيداً في الكتَّاب، بعد أن فر سكان إجدابية من نيران المدافع والطائرات الإيطالية، فلم يبق أحد في المدينة حتى الطلبة والشيخ الذي يُعلمهم القرآن الكريم، فالجميع تشتتوا في الخلا، والبراري العارية عن الأشجار، والسواتر، عدا بعض الكثبان الرملية، والشجيرات الصغيرة الجافة، والأرض أشبه ماتكون بالملط الخالي، والناس يبحثون عن ملاذٍ يحتمون فيه، ويخبر الشيخ بنفسه عن هذه الحادثة حيث قال - رحمه الله -: كان احتلال إيطاليا لإجدابيا عام 1923م في رمضان ، وذكر أنهم قدموا من عدة محاور :

- الزويتينة من ناحية الشمال .
- الأنتلات شرقي إجدابيا .
- الغبيات من الجنوب الشرقي.

وكان من ضمن الذين قدموا مساعدة للشيخ في هذه الفترة زميله في الدراسة - **أحمد عوض بازامة** - الذي كان يحسن معاملته ويستضيفه في أحيان كثيرة، وبالأخص هذه الليلة التي احتلت فيها إجدابية، قدم الشيخ يوم الخميس ثاني أيام رمضان كعادته إلى الكتاب، ليجده خالياً من الطلبة، وظل ينتظر! عله يسمع صوت أحد من زملائه وأقرانه، ممن اعتاد لقاءهم كل يوم في الكتاب، وظل على هذه الحال إلى صلاة العصر، إلى

أن قدم زميله ـ **موسى محمد بواشنيبات العقوري** ـ وأخبره بخبر الاحتلال، وأن الناس فرَت خوفاً من الطليان، ونصح عيسى أن يلحق بالناس طلباً للنجاة، وقال له بالنص بالعامية: **(ياعيسى كنك[1] ما اتهج [2] الناس هجت كلها؟ فقال له الشيخ: (ماعندي امعا من نمشي)**، وفعلاً أراد ذلك ولكن كيف وهو أعمى يحتاج من يرشده الطريق، وقد يكون عرضة لأي مكروه، فإذا نجا من وحوش الغاب، فلن ينجو من غدر الطليان .

ولكن رفيق الشيخ، العقوري، قال له: تعال معنا، فذهب معه، وقال الشيخ: لما ذهبت معه، ورآنا والده، قال له، وباللهجة العامية: **(اللّه ايربحك ياولدي اللي جبت امعاك خوك هذا)** .

ورحل مع هذا العقوري وعائلته، ولكن هذا لم يدم طويلا، فقد تاه عنهم، نتيجةً للفزع، والتنقل من مكان لآخر، بحثاً عن مكان آمن .

ومما رواه عن هذه اللحظات العصيبة أنه تاه في الصحراء متنقلاً من نجع إلى نجع، ولكن إلى أين فهيهات أن يُتَفطَّن إلى مثله، فالناس في الغالب في حالة هجيج[3]. كما يعبر عنهم بالعامية ـ من مكان لآخر، بسبب

---

1 ـ كلمة عامية، تستعمل في شرق ليبيا، في الحديث مع المخاطب، وعن الغائب، للمذكر والمؤنث والإفراد والجمع، ولا تثنية فيها، ويقابلها في المعنى، في الغرب الليبي كلمة (خيرك)، وهي بمعنى لماذا .

2ـ قال الشيخ عيسى: وعبر بالهجوج، لبيان حالة الفزع التي اضطرت الناس للفرار، والهجوج: هو رحيل الخائف الذي يفر بما استطاع أن يحمله من متاع، وهذا ليس كرحيل وهجرة المرتاح، لذلك قال: (كنك ما اتهج) .

3. الهجيج: الأجيج " مثل هراق وأراق، وقد هجت النار تهج هجا وهجيجا: إذا اتقدت وسمعت صوت استعارها وهججها، فاستعملها العامة دليلاً على ما يصهب هروب القوم الخائفين من الهلع والجزع، والأصوات الهائجة، انظر ـ تاج العروسة، باب "هجج" ج4 ، ص320 .

غزو الطليان المتكرِّر، وقد كان عيسى فى حال من العطش الشديد، فهو لم يذق الماء منذ يومين، قال: فاتجهت هائماً على وجهي، فقابلتني امرأة صالحة تدعى **(فاطمة احميدة الشريفيه من قبيلة ازوية بيت مفتاح)** قال: بمجرد ما رأتني سارعت بتقديم الماء والخبز، وأخبرتني أني في نجع ازوية وهو نجع مجاور لنا[1]، ويذكر أنها أنقذته من موت محقَّق، قال فما هي إلا لحظات حتى سمعنا لغطاً وهرجاً كثيراً وضوضاء عالية، فذُكر لنا أن الطليان يقومون بحملة على النواجع يقتلون ويأسرون، فمررت بضيق شديد والناس كل منهم مشغول في همِّه لا يلوون على شيء، وهمت على وجهي فألهمني الله عز وجل وتذكرت نصيحة شيخي: أحمد بن موسى السيوي التي يقول فيها: إن الإنسان إذا مر بضيق فعليه بالقرآن وخصوصاً سورة **(يس~)** وبالفعل ما بدأت في السورة حتى سمعت صوتاً ينادي، فأجبت الصوت فإذ بي بالمرأة الصالحة ـ **فاطمة** ـ التي ساعدتني من قبل .

نصحته ـ الحاجة فاطمة ـ أن يرحل مع الناس لأنهم ينوون الرحيل فراراً من الطليان، وفعلاً ذهب معهم، ولكنه لم يستطع المشي لأن قواه منهارة، فرَقَّ لحاله أحد الركبان وحمله على راحلته وبهذا تمت نجاته مع هذا النجع، ثم ما لبث أن التقى بوالده .

لقد عانى الناس من الاستعمار الأمرَّين، فهو لم يعامل الناس على أنَّهم بشر، بل نظَر إليهم وكأنهم قطيع من الأغنام أو الماشية، ففي كل

---

1 ـ مذكرات الشيخ جمعها عبد الله بوهدمة، ومفتاح الفاخري ، ص13، كما يذكر أنه تعرف على ولدها بعد ذلك وقد توفي في الثمانينيات، أما هي فقد ذهبت لأداء مناسك الحج وتوفيت بالمدينة المنورة رحمها الله تعالى رحمة واسعة، وكان يثني عليها كثيراً ويقدر لها جميلها وفضلها .

حملة يغير فيها هذا الذئب يُشتِّتْ ويشرد الناس، ثم بعد أن تهدأ الإغارة وقد ضاع من ضاع، وأُسِر من أسر، يتفقد الناس بعضهم، ويسألون عن التائهين والضائعين، فيذكرون مثلاً رأينا ولداً لآل فلان، صفته كذا وشكله كذا، فمن يعش قد ييسر اللّٰهُ تعالى له أمر الالتقاء بأهله، ومن يمت فعليه رحمة اللّٰه .

حقّاً لقد كانت محنةً عظيمة نسأل اللّٰه ألاّ تتكرر، وأن يعافيَ كل مبتلىً، وأن ينصر المؤمنين على القوم الكافرين. آمين .

ذكر عائلته وأولاده :

تزوج الشيخ ـ رحمه اللّٰه ـ ثلاث مرات كما يذكر الحاج محمود خطاب: أن **الزواج الأول**: للشيخ كان من ـ رجعة سعد فاخر ـ سنة 1946م، وسعد فاخر ابن عم الشيخ الصلبي [1] ولم يدم الزواج طويلاً، لأنه وكما ذكر الشيخ أن زوجته كانت تحب البادية، والشيخ عمله كداعية، يفرض عليه أن يكون في المدينة مما أدى إلى عدم الوفاق بينهما .

---

1 ـ رواية شفوية الحاج محمود خطاب 15 ـ 11 ـ 2007م ، وهو الحاج / محمود خطاب إبراهيم الفاخري، من مواليد 1942م، تعرف منذ الطفولة على الشيخ، وكان ذلك في أواخر سنة 1951م، وكان والده قد عرض على الشيخ أن يكون محمود تلميذاً مصاحباً له، يقوم على خدمته، بمثابة الابن، وقد قام بذلك خير قيام، ثم التحق محمود بالدراسة في المعهد الديني في البيضاء، حيث عين الشيخ عيسى الفاخري للتدريس به، ولازمه وصار يقرأ له، ويطالع معه الكتب المنهجية، المقررة في المعهد الديني في البيضاء، والدروس وبعض الكتب الأدبية، وكان محافظاً على هذا العهد، ولم ينقطع عنه، حتى توفي الشيخ ـ رحمه اللّٰه ـ سنة 1999م .

ولزواجه الأول قصة ـ يمكن أن نأخذ منها الدروس والعبر، ونتعلم منها الأخلاق في كيفية التعامل مع الزوجة والأهل، بل وفي حياتنا بشكل عام، وأيضاً يتبين في هذا الموقف كرم الشيخ ونبل أخلاقه، وقد قص علينا الشيخ القصة بنفسه وفي أثناء حياته وهي كما يلي: قال الشيخ ـ رحمه الله ـ لما لاحظتُ على زوجتي أنها لا تميل إلى حياة المدينة، وأنها لا ترتضي بديلاً عن معيشة البادية، ومنعاً للإحراج لها مع أسرتها، لأن الشيخ تفهم موقف زوجته فهي وإن كانت في العقد زوجة حقيقةً، هي أيضاً بنت عمه، وهو حريص على مصلحتها، وإذا بلغ إلى مسامع أهلها أنها لم تتفاهم مع الشيخ في مسألة الإقامة في المدينة، فسوف يعنفون عليها وقد يؤدي هذا إلى ضربها أو تأنيبها على طريقة **(البوادي)** الذين يرون أن المرأة يجب أن تحل مع زوجها حيث ما حلَّ، وسوف يكرهونها على الذهاب معه، ومطاوعته بدون نقاش، وهذا ما لا يريده ـ رحمه الله ـ فهو يريد أن تكون هذه رغبتها وليس بالإكراه وعلى رأي أهل البادية كما قال:**(بطيب أو طرح)** لذلك قرَّر الشيخ أن يعاملها معاملة الأخ، حتى يجد من يصلح لها من أبناء عمومتها، وفعلاً هذا ما كان، فقد فارقها الشيخ فيما بينه وبينها، ثم بعد أن انقضت عدتها، أشرف هو على تزويجها بنفسه، ومما ذكره في هذا الشأن أنه قال: لما انقضت عدتها وزوجتها من ابن عمٍّ لها ـ محمود احسين بواهديمة [1]ـ ذهبت إلى المحكمة وذكرت الخبر للقاضي وقلت له يا سيدنا: **"صنعت شيئاً ما أظن إلا أنني أستحق عليه ستة أشهر سجنا ! قال القاضي وما ذاك يا شيخ عيسى؟ وكان من أصدقاء الشيخ، فذكر له الخبر، فقال له القاضي: المحكمة والقاضي، وكلنا على احسابك، وقد**

1 ـ محمود خطاب ابراهيم، روايات عن حياة الشيخ عيسى، 23 ـ 2 ـ 2010م .

أجزنا ما صنعت ".

الزواج الثاني: كان من: فطوم إبراهيم الفلاح 1950م وأنجبت له بلقاسم، وإبراهيم، وغزالة، وخديجة، وفاطمة، وقد توفي إبراهيم وعمره سنة، وقد دفنه الشيخ في البيضاء في مقبرة رويفع الأنصاري، توفي بلقاسم وغزالة، وهم صغار، أما فاطمة، فقد تزوجت من ـ الشيخ: مفتاح محمد عثمان ـ من قرابة الشيخ وتلامذته، فيما رفضت خديجة الزواج أكثر من مرة، لتقوم على خدمة أبيها، وكثيراً ما كان يقول ما يشغلني إلا خديجة، وكان قد تقدم إليها كثير من الخطاب منهم بعض تلامذة الشيخ [1] ثم أكرمها الله بعد وفاة أبيها وتزوجت .

وقد عاشت مع الشيخ الفتاة اليتيمة ـ **أم العز** ـ[2] ورباها وقام بأمرها حتى كبرت وزوَّجها وجهزَّها كما يجهز بناته .

وقد كانت فطوم زوجته هذه ضليعةً في فقه النساء، وقد كانت تنقل الفتاوى من الشيخ للنسوة اللاتي يسألن عن أمور دينهن، وتنقل الأسئلة إلى الشيخ، وهكذا، مما جعلها من الفقيهات في فقه النساء، وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ يشجعها على ذلك[3] ويحثها على تنوير المجتمع النِّسوي، وتعليمهن أمور الدين، لأن النساء في ذلك الوقت لا يسمح لهنَّ بارتياد المساجد، وتعلم القرآن الكريم، علاوةً عن جهلهن بسائر العلوم الشرعيَّة، وهذه كانت من بقايا الجهل الذي ساهم الاستعمار في غرسه في المجتمع البدوي البسيط، وقد كان الشيخ ـ رحمه الله ـ وأسرته وبيته ـ وبدون

---

1 ـ رواية شفوية، الحاج محمود خطاب الفاخري .

2 ـ المرجع السابق.

3 ـ المرجع السابق.

مبالغة ـ منبراً يشع علماً وبصيرةً، وخاصةً في مجتمع النساء، مما جعل بعض الحسَّاد من العامة، أو ممَّن حسب على المتعلمين ، وهو ليس كذلك، يصف الشيخ بقوله (عيسى فقيه العجائز)[1].

توفيت فطوم زوجة الشيخ بعد مرور ثلاثين سنة على زواجهما، وكان تاريخ وفاتها الموافق 1978/4/23م[2].

الزواج الثالث: بعد وفاة فطوم بحوالي ثلاث سنوات، وقد تزوجها الشيخ ولم يدم الزواج طويلاً وهي ثيب ومتقدمة في السن واسمها: ياسمة ظافر المدني، ولم ينجب منها، وكانت على درجة عالية من الخلق، ولكنها لم تدم مع الشيخ طويلاً، لأنها ما لبثت أن ماتت إثر مرض ألم بها .

لقد تركت ياسمة زوجته بعد وفاتها ثروةً من الذهب والحلي وغير ذلك، قدِّرت بأكثر من ثلاثين ألف دينار، وهي ثروة لا بأس بها في ذلك الزمان والمعروف أن للزوج النصف إذا ماتت الزوجة ولا فرع وارث لها، ولكنه ـ رحمه الله ـ أصرَّ أن لا يأخذ منها شيئاً.

هذا رأيٌ للشَّيخ اختاره في هذه المسألة، مع أن الإرث من أحل الحلال الذي أحله الله تعالى، وقد كان بنفسه يحثُّ على عدم تضييع حقوق الورثة، وأن التركة يجب أن تقسم بين الورثة بالسويَّة، وفي موضوع الإرث بالذات وبالأخص ميراث المرأة، لأن غالبية البدو في برقة كانوا لا يورثون المرأة، وستكون لنا وقفة إن شاء الله مع هذا الموضوع عندما نتكلم عن منهجيته في الفتوى ـ لكن لمَّا كان الأمر يتعلق به هو شخصيًّا ـ وأعتقد أن نظرته للمجتمع البدوي الذي كان يعيش فيه، والشيخ يُعدُّ داعية في هذا

---

1 ـ روايات شفوية، الشريف الشارف، ونصر السنوسي، 24ـ 9 ـ 2007 .

2 ـ مذكرات الشيخ جمعها عبد الله بوهدمة، مفتاح الفاخري، ص11 ـ 24 ـ 55 .

الوسط، لذلك رأى أنه لو أخذ هذا الميراث، ولا أبناء له من هذه المرأة، وهي لم تدم معه طويلاً، وإذا ظهرت عليه أي نعمة، فلرب قائل يقول: ما الخير الذي يتمتع به إلا بسبب ثروة زوجته التي ماتت .

والشيخ حريص جداً - رحمه الله - لأنه يرى نفسه في مقام الداعية وكان يقول لنا حتى في مجلسه بعد ذلك ونحن في دروس العلم: **(يا أبنائي انتبهوا إن الناس تنظر إلى طالب العلم على أنه قدوة، وقد يبيحون لغيره ما لا يبيحون له، فأبسط شيء يفعله طالب العلم أو المنتسب للدعوة حتى وإن كان من المباحات فالناس تضخِّمه وتعمل منه أحدوثة)**، وكثيراً ما قال: **(الأولون كانوا يتركون كثيرا من المباحات اتقاء الشبهات)** .

وقد كان شيخنا في وسط مجتمع يعتقد أن الشيوخ يحبون المال وطلاب دنيا، حتى أن العامة كانوا يقولون: (**اللَّحمة الكبيرة للشيخ، وتُجوز الصدقة على الفقيه ولو كان اقلمه من ذهب**) وغير هذا كثير، كل هذه المفاهيم وهذه النظرة القاصرة للشيوخ والفقهاء غيَّرها الشيخ بمعاملته - رحمه الله - حتى إنه قال لي مرةً: للأسف أول ما قدمت إلى إجدابيا التقيت بالفقيه الذي يحفِّظ القرآن في إجدابيا فقال لي بالعامية: (**نحن القرآن رانا ناكلوا بيه في العيش اوخلاص**) ضحك - رحمه الله - ثم سكت قليلاً وعلق على هذا الموقف بذكر البيت الذي قاله الشاطبي في الحِرز:

تخيَّرهم نقادهم كل بارعٍ ... وليس على قرآنه متأكلاً[1]

كل هذه العوامل مجتمعة جعلته يأخذ على نفسه بالعزيمة، وسواء

---

1 ـ القاسم بن فره الشاطبي الرعيني، متن الشاطبية، دار الآثار، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004م، ص7 .

أقيل هذا أم لم يُقل، المهم أنه عقد مجلساً تشاورياً مع بناته، وقرروا بالإجماع ترك الميراث.

شيوخه :

قرأ القرآن أول ما قرأه في إجدابيا على عدد من الشيوخ، والبدايات الأولى كانت على يد الشيخ في النجع ـ كما سيأتي بيانه في الحديث عن العلم والرحلة في طلبه ـ واسمه الشيخ علي الطيري الفاخري من **(سمنو)**[1] وهذا أول أساتذة عيسى الفاخري[2] وكان ذلك سنة 1911م .

ومن الذين قرأ عليهم كذلك، الشيخ المحفظ حامد المنفي الذي أكمل عليه حفظ الأحزاب الأخيرة من كتاب الله تعالى، جزئي: **(تبارك وعم)** .

وكذلك الشيخ سعد المنفي، والفقيه محمد السويري الذي حفظ عليه سورة الأنفال وراجع عليه ما كان قد حفظه من قبل[3] أما شيوخه من مصر فكثير، من بينهم الشيخ محمد حسن الباقوري الذي كان يحضر محاضراته باهتمام بالغ وقد أثنى عليه كثيراً، والشيخ الغرباوي، والشيخ محمد الفحّام [4]، وغيرهم كثير، وكان يذكر لنا وفي أكثر من مناسبة، أنه تلقى العلم في مصر على أكثر من أربعين عالماً[5].

---

1 ـ قرية بالقرب من مدينة سبها في الجنوب الغربي من ليبيا .

2 ـ مذكرات الشيخ ، جمع وترتيب مفتاح الفاخري ، ص6 .

3 ـ المصدر السابق، ص7 .

4 ـ على مصطفى المصراتي، نماذج في الظل، ص195 .

5 ـ الحاج بن ادريس، رواية شفوية، 9 ـ 12 ـ 2009م .

تلامذته:

إذا أردنا أن نتحدث عن تلامذته فهم أكثر من أن نحصيهم، سئل مرةً كم عدد أبنائك؟ فأجاب هم كثْرٌ، لدرجة أنِّي لا أحصي عددهم ـ يعني تلامذته ـ ومن التلامذة الأوائل: **(البيضاويون)** وهم طلبة الجامعة الإسلامية في البيضاء، صالح عبد الهادي المجبري، عضو لجنة الإفتاء في بنغازي، يقول الدكتور إدريس فضيل: كان الشيخ قد درس الأفواج الأولى بالمعهد الديني بالبيضاء، ففتح الله عليهم فصاروا طائفة من النابغين كل في ميدانه، فمنهم من انخرط في الشرطة والجيش، فنالوا أعلى الدرجات والرُّتب، بفضل ثقافتهم وحسن أدبهم وأخلاقهم، أذكر منهم على سبيل المثال(العقيد: أحمد حبيب، ومنصور بواقرين، وخليفة السيد، وكذلك مفتاح سالم مختار، وأبوالقاسم السعيطي، وغيرهم)، وكذلك منهم من انصرف للانشغال بالعلم والوعظ والإرشاد، فأثمر غراسهم، وطاب إنتاجهم، أذكر منهم على سبيل المثال: حامد بادي، ومحمد نصيب، وطاهر الغزالي[1]، وأيضاً: محمد يوسف الهجينة المجبري، ومحمد مهدي الغزالي المتحصَّل على الدكتوراه في الأدب من جامعة السربون من فرنسا، وهو من الأساتذة الأوائل في جامعة قاريونس، وسليمان قرقوم، ومحمد صالح حيفان، الذي كان يلقبه الشيخ بأبي هريرة لسرعة بديهته في حفظ الأحاديث، وهو من سكان بنغازي وخطيب بمساجدها، ومحمود خطاب الفاخري، الذي كان من التلامذة النجباء والمقربين منه، وغير هذا كثير ومنهم كذلك موسى عمر الهبري: وكان مستشاراً في القضاء، وكذلك

1 ـ الدكتور: إدريس فضيل، ذكريات عن الشيخ عيسى الفاخري، 15 ـ 7 ـ 2008م .

حسين عمر الهبري، وهو أيضاً من التلامذة الأوائل في الأربعينيات من القرن الماضي.

ومن التلامذة القدامى في إجدابيا ويمكن أن نسميهم من تلامذة الجيل الثاني للشيخ وهم: **محمد حمد الشريف،** وهو واعظ ومفتي إجدابيا وخطيب مسجد البيت المعمور، و**آدم إدريس الذباح**، و**عبد الله دوَّاس**، و**مفتاح اسكينيد الفاخري** وهو صهر الشيخ وقريبه، ومفتي وخطيب مسجد البريقة، وهو من الدارسين بالجامعة الإسلامية في البيضاء، وأكمل دراسته في كلية القانون بجامعة قاريونس، وغيرهم كثير كما مرَّ علينا.

الفصل الثاني

الحيـاة العلميــة

المبحث الأول ـ العلم والرحلة في طلبه والتماس الشيوخ:

أولاً ـ قبل الهجرة إلى مصر.

ثانياً ـ التحاقه بالأزهر الشريف.

ثالثاً ـ حياة طالب العلم.

المبحث الثاني ـ الدعوة وتبليغ العلم الشرعي:

أولاً ـ بعد رجوعه من مصر.

ثانياً ـ الدعوة بالحسنى والقدوة الصالحة.

ثالثاً ـ طلب العلم من المهد إلى اللحد.

ورقة بيضاء

(ظهر عنوان الفصل الثاني)

الفصل الثاني

الحياة العلمية

لقد كان للشيخ عيسى الفاخري، حياةٌ علمية حافلةٌ، تجلت فيها شخصية الطالب الصابر على طلب العلم، والمهاجر المثابر، حيث كان يتحلى بدماثة الخلق، ولينة الجانب، والصفاء والموادعة، مع ما مر به من ظروف كما عرفنا، ولكن هذا لم يثن من عزمه، ولم تزده تلك الصعوبات إلا تمسكا بهدفه، وسيتبين لك أيها القارئ الكريم، في ما سنعرضه في هذا الفصل، مدى صبره على طلب العلم، وهو الطالب الفقير، الذي هاجر في ظروف صعبة، لطلب العلم، ممَّا يسترعي انتباهنا لطلبة هذا الزمان، وما هم فيه من حياة الترف والدلال، ومع هذا فإن كثيراً منهم وللأسف، لا يعرف قيمة العلم، ولا يحسب للوقت أي حساب، حتى ضاع العلم، فنقول لهؤلاء أين أنتم من الأئمة الأوائل الذين كانوا يصلون الليل بالنهار، طلباً للعلم، واجتهاداً في العبادة، ومناجاةً لله جل وعلا، قال الإمام القرافي المالكي: "أقام الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد، أربعين سنة لا ينام الليل، إلا أنه كان إذا صلى الصبح اضطجع على جنبه إلى حيث يتضحى النهار"[1].

ونقل أبونعيم في الحلية: قول سفيان الثوري: "اطلبوا العلم، ويحكم! فإني أخاف أن يخرج منكم، فيصير في غيركم، اطلبوه ويحكم! فإنه عز

---

1 ـ الإمام المعروف قاضي الديار المصرية، الشيخ الإمام مفتي ديارها، تقي الدين أبو الفتح القشيري المعروف بابن دقيق العيد، مات في صفر سنة 702، انظر: ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، ج2 ، ص49 .

وشرف، في الدنيا والآخرة"[1].

ولكن ضعف الهمة، وقلة العزيمة، وتفشي داء الغفلة، كل هذه الأدواء، وغيرها من أمراض القلوب، قد صنعت بشبابنا، وبطلبة العلم ما صنعت، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

المبحث الأول: العلم والرحلة في طلبه والتماس الشيوخ:

لقد طلب العلم شيخنا، من الصغر، وكان يستشهد دائماً بالأثر الذي يقول: **(اطلبوا العلم ولو بالصين)**[2]، وبالقول القائل، **"اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد"**، وهذا ليس بحديث، كما ينسبه بعض العوام للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكن معناه الحث على طلب العلم، وأنه لا توجد سنٌّ معينة لطلب العلم، فمدارسة العلم مدى الحياة، وهذا ما تعلمناه منه بالممارسة العملية، فكان يطالع معنا كتب العلم، وقد جاوز التسعين!!.

ويمكن تقسيم المرحلة العلمية للشيخ إلى ثلاث مراحل، وهي كما يلي:

---

1 ـ أبو نعيم، حلية الأولياء، ج3 ، ص134 .

2 ـ رواه البيهقي في شعب الإيمان، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم) ثم قال البيهقي، هذا حديث متنه مشهور، وإسناده ضعيف، وقد روي من أوجه، كلها ضعيف. ورواية أبي بكر الدينوري عن الزنجي بن خالد؛ قال : دخلنا على الزهري ونحن غلمان، فقال لنا : (اطلبوا العلم ؛ فإن أردتم الدنيا نلتم، وإن أردتم الآخرة نلتم)، انظر: أبا بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى: 333هـ)، المجالسة وجواهر العلم تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، تاريخ النشر، 1419هـ، ج2 ، ص309 .

أولاً ـ قبل الهجرة إلى مصر:

بدأت المسيرة العلمية للشيخ منذ الطفولة، وبعد أن كُف بصره بأشهر قليلة في عام 1909م، بدأ في حفظ القرآن الكريم وهو في الخامسة من العمر، ومما يذكره عن البدايات الأولى لحفظه القرآن الكريم، ودخوله الكتَّاب: فلم يكن في النجع[1] الذي كان يقيم فيه عيسى ـ فقيه يحفظ القرآن ـ وكانت عادة الناس في البادية أن يحضر الغني منهم، وصاحب الجاه والمكانة، شيخاً يحفِّظ أبناءه القرآن، ويعلمهم الكتابة والقراءة، ويستفيد منه أهل النجع جميعاً، ومما يذكر للشيخ ـ رحمه الله ـ في طفولته أنه كان سريع الحافظة، ويدلل على ذلك أن الفقيه الذي استجلبه أحد أغنياء النجع بقي يوما كاملا يحفظ الطلبة الحروف الهجائية، ولم يحفظها أي واحد منهم باستثنائه، وكان قائماً في طرف بيت الشعر، الذي اتخذ مدرسةً وكتَّاباً، ومكاناً لإقامة الشيخ المحفظ .

وكان في بادئ الأمر، كما يذكر الشيخ بنفسه، أنه بكى لأن والده لم يكن موجوداً حينها، ولا إخوته أيضاً، وكان مع أمه المريضة، ويذكر أنه كان يبكي حينها لأن أولاد الحي كلهم ذهبوا إلى الشيخ المقرئ والمحفظ في النجع، باستثنائه هو، فقالت له أمه: هل تعرف وجهة بيت الفقيه؟ قال لها نعم، قالت فاذهب إليه، وستكون بعون الله أفضل منهم جميعاً، وهذا ما كان بالفعل[2]، ومما يذكر كذلك في هذا

---

1 ـ اسم للأحياء التي يقيمها البدو من بيوت الشعر والوبر .

2 ـ مذكرات للشيخ، جمع مفتاح الفاخري، وعبد الله بوهدمة، 1991 م، وأيضاً روايات شفوية للحاج صالح حمد، والحاج محمد اجريو، 5ـ 9ـ 2007م .

الموقف: أن الشيخ ـ رحمه الله ـ كان واقفاً عند رواق البيت يستمع، والفقيه يلقّن الطلبة الحروف الهجائية أكثر من مرة، ثم قال من حفظ؟ فسكت الطلبة ولم يجب منهم أحد، فقال الشيخ المحفِّظ: وأنت الواقف في رأس البيت هل حفظت؟ قال عيسى نعم، وقرأ عليه الحروف كما حفظها منه [1]، فقال بارك الله فيك يا بني، وسأله عن اسمه، واسم والده، وتبين أنه من معارف الوالد، وقال له بالعامية **(من الآن مكانك هنا بجانبي، واجلس على النَّطع[2] اللي أنا جالس عليه).**

وكانت هذه هي البدايات الأولى للشيخ، وتقربه من العلم وأهله، ولعل هذا الموقف كان له أثر كبير في نفسية هذا الطفل وتحبيبه في العلم، ومن هنا يمكن القول إن مشائخ الكتاتيب الأوائل وإن كانوا على الفطرة، ولم يدرسوا طرائق التدريس، ولا مناهج التربية الحديثة، ولكن كان لهم دور بارز في تعليم العلم وتربية النشء على الأخلاق الفاضلة، وترغيبهم في العلم بأسلوب فطري مكتسب من الخبرة، والممارسة.

---

1 ـ مذكرة حياة الشيخ عيسى الفاخري، جمع عبد الله بوهدمة، ومفتاح الفاخري 1991م، والشريط المرئي المسجل للشيخ، وراجع المقابلة التي أجرتها صحيفة الوسطى مع الشيخ في العدد السادس، السنة الأولى، الأحد 6 ربيع الأول، الموافق 21 من شهر ناصر1425ميلادية، أجرى الحوار : صالح السبع، وصاغه: جمعة الفاخري، وانظر: مصطفى السعيطي، إجدابيا مدينة من مدن الشمس تاريخها وأعلامها، دار البيان للنشر والتوزيع، بنغازي، الطبعة الأولى، 2003م، ص229.

2 ـ بساط من أديم، يجمع على أنطاع ونطوع، انظر: مختار القاموس، حرف النون، وصارت البادية تستعمله للدلالة على البساط المعد من إهاب الماشية، مع الاحتفاظ بوبره أو صوفه، ويكون من جلود الضأن غالباً.

وكذلك كانت لهم خصوصية تعدُّ مفقودة في شخصية المعلم اليوم، وهي تلك المهابة التي كان يتحلَّى بها الفقيه، فبمجرد ما يرى التلامذة الفقيه في النجع، فإن أحدهم لا يجرؤ على الظهور أمامه في غير موطن الدَّرس، بل وتجد الذين تعلموا في الكتَّاب الأول عندما يتكلمون عن شيخهم وعن مآثره يقولون: سيدي فلان قال، أو إذا رآه في مجلس لا يجرؤ على التحدث أمامه إلا بعد أن يستأذنه، ويخاطبه بكل ود وترفق : يا سيدي ما رأيك في كذا، مبالغة في الأدب والتلطُّف إليه احتراما له وتقديراً [1] الأمر الذي أراه مفتقداً عند كثير من التلامذة في زماننا اليوم، بل بالكاد تجد طالباً أو تلميذاً يعرف للمعلم قدره، وللشيخ مكانته، بل على العكس من ذلك، لعلك تسمع بين الحين والآخر قصص الاعتداء على الأساتذة والمدرسين، الأمر الذي ضاعت بسببه قيمة المعلم ووقاره وهيبته، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولقد كان للمشائخ والمعلمين الأوائل، فضل كبير في المحافظة على التراث القرآني، وتوجيه الطلاب وتربيتهم بالتي هي أحسن، في جو من الأبوة والحنو، على نحو نراه يتلاشى في هذا الزمان، وهذا التوجيه وهذه التربية، كانت بحسب المتاح لهم من العلم، وعلى الرغم من قلة العلم في برقة في ذلك الزمان، إلا أن بعضهم كان يتميز بصدق التوجه، وحسن القصد، وإخلاص النية .

وهذا ما جعلهم بعيدين عن التكلف، مستقيمين بالفطرة، وهذه هي بركة الإيمان التي زرعها الله في قلوبهم، ويحضرني لتصوير هذا المشهد،

---

1 ـ رواية شفوية، علي صالح فنشه، 5ـ 5ـ 2008م، نقلاً عن والده وهو من أقران الشيخ وجلسائه.

الموقف الذي وقفه الشيخ أحمد بن موسى السيوي، عندما اشتكى الشيخ من زميله أحمد بازامة، الذي قال للشيخ: أنت يا عيسى أعمى في الدنيا والآخرة، فقال له الشيخ: وكيف هذا؟ قال من قوله تعالى: ﴿ **وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهو فِي الآخِرةِ أعْمَى وأضلُّ سَبِيلاً**﴾[1] .

فقال له الشيخ أحمد السيوي: **يا بني أنت تحفظ سورة طه؟ قال له عيسى نعم يا سيدنا ، فقال اقرأ قوله تعالى:﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى**﴾[2] .

لم يكن أهل برقة أهل علم، وكان أغلبهم يميلون لتتبُّع أخبار الشعر، والاعتناء به، والإقبال عليه، أكثر من إقبالهم على العلم، وهذا ما كان مشاعاً في ذلك الزمان عن أهل برقة، ولم يكن عندهم من علم ولا علماء في ذلك الوقت، سوى ما كان من بعض الشيوخ المحفِّظين، الذين يقدمون إلى النواجع والبيوت، وغالبيتهم من الشيوخ الفقراء، والذين حفظوا القرآن بالسليقة والتلقين، والكتابة على الألواح على الطريقة القديمة في تعلم القرآن الكريم، ولم يكونوا أهل تخصُّصٍ ولا متضلِّعين في أحكامه، وبعضهم حفظ القرآن في الزوايا القديمة التي لم تكن تُعنى كثيراً بتجويد القرآن الكريم، لذلك كثر اللحن والخطأ، ولكن هذا العلم بكتاب الله مع بساطته وقلته كان له الأثر الكبير في المحافظة على التراث القرآني في ليبيا، لا سيما إذا علمنا أن هناك زوايا وكتاتيب أكثر عراقة وأحرص على

---

1 ـ سورة الإسراء ، الآية 72 .

2 ـ سورة طه ، الآيات 122 ـ 123 ـ 124.

تعليم الأحكام التجويدية في غرب البلاد ، كزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر في زليتن، وزاوية الشيخ أحمد الزرُّوق في مصراته وغيرها .

اجتهد الشيخ وبحسب ما أتيح له من فرص في تعلم القرآن الكريم، على أيدي بعض المشايخ، والتحق بالمدرسة القرآنية في اجدابيا سنة 1919م وقرأ على يد شيخها أحمد بن موسى السيوي حيث كان ورعاً تقيّاً مثالاً في الورع والصَّلاح، وكان يحيط الشيخ باهتمام خاص ورعايةٍ وعناية، حتى إنه كان يصرف له مكافأة كانت تصرف للطلبة من إمارة إجدابيا شهريًّا تقدر بثلاثة مجيدي[1] وأيضاً كان قد تعلم بعض القرآن على يد والده كقصار السور، ولم يكن حفظه مرتباً، المهم أنه كلما ذكر له أن هناك من يحفظ القرآن قصده ليتعلم منه ولو نزراً يسيراً .

ثانياً : الالتحاق بالأزهر :

لم يكن أمر الالتحاق بالأزهر والدراسة في مصر بالأمر الهين في ذلك الوقت، فالبلد في حالة حرب، والطريق إلى مصر محفوف بالمخاطر، ناهيك عن أن فكرة الدراسة في حد ذاتها لم تكن لتخطر ببال فتىً يافع كالشيخ في ذلك الوقت، وهو أعمى ضرير لولا هداية الله عز وجل أولاً وتوفيقه، ثم عزيمته وإصراره، وصدق الحق جل وعلا إذ يقول: ﴿ **فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[2] .

---

1 ـ مذكرات الشيخ عيسى الفاخري ، جمع مفتاح الفاخري ، ص25، والمجيدي هو العملة في ذلك الوقت، وهي العملة العثمانية المتداولة في ليبيا قديماً .

2 ـ سورة الحج الآية 64 .

كان قد وجه إليه النَّصيحة ابن عمه محمود بولامة"[1]، الذي كان يدرس في مصر، وأنه سيسعد لو صحبه إلى الإسكندرية، فاختمرت الفكرة في رأسه، ولكن أنَّى له ذلك، فهو يعرف الظروف، فالأمر صعب، ووالده لن يرحب بالفكرة، وهذا ما حدث، فلم يتحمَّس الحاج بلقاسم لفكرة الذهاب إلى مصر كثيراً، فالحال صعبة، والذَّهاب إلى مصر والبلد بهذا الوضع صعب جداً، لكن وأمام رغبة عيسى للالتحاق بالأزهر ـ اقتنع والده بأن يحمله إلى مصر ليواصل تعليمه الديني هناك، ويأخذ العلم على أصوله من أفواه الشيوخ والعلماء.

وقد كان للحاج محمد بوالعبد، دور كبير في تشجيع والد الشيخ لاصطحاب عيسى إلى الأزهر لطلب العلم، لما رأى من نباهته، ورغبته في الاستزادة من العلم والفهم، وما عليه حاله من عدم القدرة على حياة البادية، وظروفها القاسية، وشيخوخة والده وفقره[2].

لم يكن أمام الحاج بلقاسم بدٌّ، إلا أن يوافق على حمل ابنه إلى الأزهر، لينهل من العلم، ويطلب المعرفة من مظانها، وهذا والحقُّ يقال،

---

1 ـ ابن شقيق والده الحاج بلقاسم ـ واسمه: محمود محمد ابراهيم حسن، كان يتنقل بين ليبيا ومصر، ويعمل في مجال الزراعة بمصر، وممن نصح الحاج بلقاسم والد الشيخ عيسى، بأخذ عيسى الى الأزهر بمصر، الحاج / محمد بشير الشامخ، الملقب بالعبد، وكان يحفظ شيئاً من القرآن، وملماً بالفقه، وعلوم الدين، وقد استضاف الشيخ عيسى ووالده، مرة، فسمع من الشيخ عيسى بعض سور القرآن الكريم، وشيئاً من الأذكار التي حفظها من شيوخه الأوائل، فأشار على والد الشيخ بأن يلحقه بالأزهر الشريف، وألح عليه في ذلك. روايات عن حياة الشيخ، للحاج/ محمود خطاب الفخري، 23ـ 2ـ 2010م .

2 ـ الحاج محمد خطاب، روايات عن حياة الشيخ، 23ـ 2ـ 2010م .

موقف يحسب لوالده، الذي تحدَّى الصِّعاب، وعزم على أخذ عيسى لمصر بالرغم من كل الظروف ، وكان ذلك في ربيع الأول سنة 1924م،وفي الطريق إلى مصر مرَّ هو ووالده بمواقف صعبة ولحظات عصيبة .

ومما يذكره ـ رحمه الله ـ عن صعوبة الذهاب إلى مصر في ذلك الوقت، حيث قال: لم يكن الأمر سهلاً، والناقة التي كنا معدينها للسفر ماتت! ولكن تسهيل الله وتيسيره، الذي إذا أراد شيئاً هيَّأ له الأسباب، فقد كان هناك شخص يملك ناقة ويريد بيعها في مصر، وقد عرض علينا الذهاب معه إلى مصر، وذهبنا معه حتى وصلنا منطقة السلوم، على مشارف مصر، ثم تبين أن هذه الناقة ضلَّت من بعض الناس، وتعرفوا على ناقتهم، وتصالحوا مع الرجل بمبلغ من المال يدفعونه له نظير حفظه لها، ويعطيهم ناقتهم[1] .

(فسبحان الله)، عندما يريد الله أمراً ييسر له الأسباب، وكأنَّ هذه الناقة مأمورة بمهمة معينة، وهي أن توصل الشيخ ووالده إلى مصر ثم ترجع، وكان تعرُّف أهلها عليها في منطقة السلوم، في أول القرى والمدن المصرية .

وصفه الأستاذ علي مصطفى المصراتي، بقوله: عيسى الفاخري جواب الصحراء، وشبهه بأبي العلاء المعري، في قطعه المفازات البعيدة، بحثاً عن العلم، شاقّاً طريقه بين الصخور [2]، وبالفعل هذا ما حدث مع عيسى الفاخري وأبيه رحمهما الله، فقد كان سفرهم إلى مصر شاقاً،

---

1 ـ شريط مسجل للشيخ 1991م .

2 علي مصطفى المصراتي، نماذج في الظل، اللجنة الشعبية العامة للإعلام، الطبعة الأولى، 1978م، ص195 .

فكانوا يضطرون للمشي على الأقدام في كثيرٍ من الأحيان، ومع قلة الماء وظروف الخوف من الطليان وقلة الزاد، كان الأمر أشبه بالمغامرة غير محسوبة العواقب.

هذا إذا علمنا أن مجرد عبور الحدود المصرية كان ممنوعاً، والقوات الإيطالية تحيط بالحدود من كل جانب، لكن عناية الله عز وجل وحفظه كانا خير حمىً يحتميان به، وكما ذكر بنفسه ـ رحمه الله ـ أنه وفي أثناء عبورهم للحدود وبالضبط في مدينة امساعد الحدودية، كانت هناك ريح شديدة، وغبار، وأتربة، والرؤية غير واضحة، مما سهل عليهم عبور الحدود بسلام، ودخلوا مصر.

وفي الطريق إلى الإسكندية لم يكن معهم المال الكافي، ولكنهم كانوا متوكلين على الله، ومقدمين بين أيديهم الرجاء فيه سبحانه، ثم حسن الظنِّ في الخيرين من عباده، وقد كان التيسير ملازماً له ـ رحمه الله ـ وإذا أراد الله أمراً هيأ له الأسباب.

ثالثاً : حياة طالب العلم :

وهذه نستطيع أن نقول إن الشيخ قد عاشها طول عمره، فكان يقول دائماً ـ حتى بعد أن تقدمت به السن ـ: أنا لازلت طالب علم .

أما طلبه للعلم في مصر ومراحله فهي كما يأتي:

كانت حياةً جديدةً عليه، فهو لم يسافر قط، ولم يعرف من قبل العيش في مصر، كذلك لم يكن له أقارب ولا أصدقاء يأوي إليهم، لكنك عندما تقف على حياة المهجر التي مر بها، تتذكر قول الحق تبارك وتعالى :﴿ **وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً**

وَسَعَةً﴾[1] قال الأستاذ محمد محمود حجازي: " هذا ترغيب في الهجرة، ووعد صريحٌ لمن يخشى ترك المال والأهل، ومشقة السفر، والبعد عن الديار، بأنه سيجد ما يغنيه، ويرغم به أعداءه متى كانت هجرته خالصة لوجه الله"[2] أما قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا)**[3] ومعناه لا هجرة من مكة لأنها صارت دار إسلام، والأمر بعد هذا جهادٌ، والنية الصالحة للجهاد، وذلك بأن ينوي الإنسان بجهاده أن تكون كلمة الله هي العليا[4] .

والهجرة لطلب العلم الشرعي، إذا كان خالصاً لوجه الله، من لوازمها حفظ الله تعالى، وتيسيره أمر المهاجر وطالب العلم، أخرج الشافعي في مسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع)**[5] فإذا كان المرء في سبيل الله فلا تخف عليه ولا تقلق، لأنه في حفظِ ورعايةِ عالمِ الغيب

---

1 ـ سورة النساء ، الآية 100 .

2 ـ التفسير الواضح ، ج5 ، ص52 .

3 ـ صحيح البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير ج2 ص1، وفي صحيح مسلم كتاب المغازي، باب منزل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ، ورواه من حديث عطاء بن أبي رباح قال: زرت عائشة مع عبيد بن عمير، فسألها عن الهجرة، فقالت: لا هجرة اليوم، كان المؤمن يفر أحدهم بدينه إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، فالمؤمن يعبد ربه حيث شاء، ولكن جهاد ونية.

4 ـ شرح رياض الصالحين لابن عثيمين ، ج1 ، ص14 .

5 ـ مسند الشافعي، باب فضل طلب العلم، أخرجه وقال حديث حسن غريب، ورواه بعضهم مرفوعاً .

والشهادة سبحانه، فسيُيَسِّر له أسبابه، ويصلح له معاشه، وإن توفَّاه فهو إليه صائر، فلا تسأل عن الجزاء الكريم والثواب العظيم الذي ينتظره، فحقٌ عليه أن يرحمه ويسكنه فسيح جنانه، فقد أخرج الترمذي في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:**(من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة)**[1]، نسأل الله تعالى بمَنِّه وكرمه أن يجعلنا من أهل العلم الذين يطلبونه خالصاً لوجهه، وأن يجعل هذا العلم زاداً لنا يوم القدوم عليه، والعرض بين يديه. آمين .

ولقد كان التيسير مرافقاً ـ للشيخ عيسى الفاخري ـ منذ اللحظات الأولى لهجرته العلمية، حيث إنه وصل منطقة براني، وأثناء استعدادهم للتوجه نحو مرسى مطروح، علم السائق من والده أنه يريد الذهاب إلى الأزهر، فأبدى السائق استعداده لنقله ووالده من دون مقابل، على الرغم من أنه نصراني، والشيخ ذكر هذه الحادثة مراراً، حتى أنه يتذكر اسم هذا السائق، حيث قال أن اسمه: (يوسف) فكان أن شكروه على مروءته، وجميله الذي صنعه لهم [2].

ومن الشواهد كذلك على تيسير الله عز وجل له أموره، الترحاب الكبير، والمساعدة التي قدمها له الحاج **(حمد بورسلان من قبيلة القطيفة أولاد علي)** وذلك في مرسى مطروح، حيث لقيه في الفندق وعرض عليه

---

1. سنن الترمذي، باب فضل طلب العلم، حديث رقم/ 2570، وقال حديث حسن، وفي سنن أبي داوود عن أبي الدرداء باب الحث على طلب العلم، حديث رقم/ 3157، وفي سنن ابن ماجة عن أبي الدرداء، باب العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم/219 .

2 ـ مذكرة الشيخ ، ص32 ، ورواية شفوية للحاج صالح حمد .

المساعدة، وقال له بالحرف الواحد: **(اعتبرني مكان والدك)** وأبدى استعداده لدفع أجرة الفندق، وقال لصاحب الفندق: **(جميع ما يصرفه على حسابي)** وكان من التجار الكبار الذين يبيعون الإبل، والأغنام، والمواشي بشكل عام .

الحياة في مصر وأيام الدراسة :

استقر في الإسكندرية وكانت الإقامة عند ابن عمه محمود بولامة الذي فتح بيته له، وأكرمه أيما إكرام، وقد علمنا أن الشيخ لم يكن قد أتم حفظ القرآن الكريم كاملاً، فالتحق بالمدرسة القرآنية ليتم حفظ القرآن الكريم، ومن الأسباب التي هيأها الله تعالى له، وكانت عاملاً مهماً ليلتحق بالمدرسة القرآنية، ثم المعهد الديني بعد ذلك، تعرفه على كل من **(محمد، وأحمد)** أبناء الحاج سلاَّم احسين زهرة، وهما من بلدة باقور في محافظة أسيوط بالصعيد[1]، وفي أول الأمر، كان الشيخ يجلس أمام بيت ابن عمه، محمود بولامة ـ وهو في طريق المدرسة القرآنية ـ يراجع القرآن وما يحفظه من أبيات ومتون، فيمر عليه الصبيان الذاهبون إلى المدرسة القرآنية، المجاورة لبيت ابن عمه محمود، ومن ضمن الطلبة **(أحمد، ومحمد)** ابني الحاج سلام، فذكرا ذلك لأبيهما، فطلب منهما إحضار الشيخ معهما، والتعرف عليه، فعرضا ذلك على عيسى، فتردد، وأبى، ولكن مع إلحاحهما، وافق على الذهاب معهما، ومن هنا نشأت العلاقة، وبالتحاق الشيخ بالمدرسة القرآنية، ازدادت الرابطة، وقوي تعلقهم

---

1 ـ مذكرة الشيخ ، ص27 .

به، وترددهم عليه[1].

وكان للحاج سلاَّم وأبنائه وأخص منهم أحمد مواقف كثيرة أثرت في حياة الشيخ، كذلك قد سخَّرهم الله لخدمته ورعايته، فكانا ـ أعني محمد وأحمد ـ يمران عليه في طريقهما ويذهبون جميعاً إلى المدرسة، وربما أمضيا معه بعض الوقت للمراجعة والمدارسة، وفرح الحاج سلام بهذا كثيراً، وأصرَّ على أبنائه ليصطحبوا الشيخ متى ما قدموا إلى ديارهم بالصعيد، وهنا نشأت علاقة طيبة بين الشيخ وأسرة الحاج سلاَّم.

أتم أحمد سلام حفظ القرآن الكريم، وكان الحاج سلام يعتقد أن الفضل للشيخ في حفظ ابنه القرآن الكريم بعد فضل الله تعالى، لما كان يحثه عليه من المراجعة والمذاكرة، فرغب الحاج سلاَّم كثيراً أن يلتحق الشيخ بالمعهد الديني مع ابنه أحمد، وألحَّ كثيراً على عيسى ليرضى بذلك، وهنا قال عيسى: فصارحته بالأمر بأن الدراسة تحتاج إلى نفقة، وأنا أقيم مع ابن عمي وظروفه لا تسمح بالنفقة عليَّ، وأخشى أن لا أستطيع مواصلة الدراسة بسبب قلة المادة، فقال له الحاج سلاَّم هل عندك سبب آخر غير هذا؟ فقال: لا، فقال له والله لو لم يكن عندي غير هذه **(الجبَّه)**[2] لبعتها وصرفتها عليك أنت وأحمد سواء بسواء [3].

لقد كان للحاج سلاَّم ـ رحمه الله ـ فضل بعد فضل الله تعالى، ونال حظًّا من كفالة الشيخ لطلب العلم، نسأل الله أن يكتبه له في ميزان

---

1 ـ الحاج محمود خطاب، روايات من حياة الشيخ، 23 ـ 2 ـ 2010م .

2 ـ يعني الثوب الذي يرتديه، وهي كناية عن بالغ الكرم والعزم على النفقة عليه، مهما كانت الظروف .

3 ـ مذكرة الشيخ، ص28 .

حسناته[1]، هذا الموقف من الحاج سلاَّم يعدُّه الشيخ له ويذكره كثيراً، وهو في واقع الأمر من مكارم الأخلاق، والمروءة التي جبل عليه الخيار من هذه الأمة، فعلى الرغم من فقر وحاجة الحاج سلاَّم ولكنه يقدم العلم على كل شيء . وقد ذكر لنا الشيخ أن عمله كان شاقّاً، وكان يتقاضى أجراً متواضعاً . ثم إنه يتعهد بالنفقة على الشيخ من ماله الخاص، لما علم من نبوغه وبركته، فقد وفق الله ابنه لحفظ القرآن الكريم بمدارسته معه، وقد حزَّ في نفسه أن تعيق النفقة هذا المهاجر عن طلب العلم، وهو بهذا إنما يقدم طاعة الله تبارك وتعالى، وقد أخبر الحق جل وعلا أن هذا هو المعروف الذي يجب أن يأتمر ويتناصح به المؤمنون حيث قال الله تعالى: **﴿لاَ خَيْرَ فِي كثِيرٍ مِن نَّجواهُمْ إِلاَ مَنْ أَمَرَ بصدقةٍ أو معروفٍ أوْ إِصْلاحٍ بينَ النَّاس ومن يفعلْ ذلكَ ابتغاءَ مرضاتِ اللهِ فَسَوفَ نؤْتِيهِ أجراً عظيماً﴾**[2] وفعلاً قام الحاج سلاّم بواجبه خير قيام، وتكفَّل بمصروفات الشيخ حتى أتم الابتدائية في المعهد الديني .

تعرَّف الشيخ كذلك على العم محمد علي الدريدي التونسي[3] قال الشيخ: لما فاتني التنسيب للمعهد نصحني الشيخ محمد عبد النبي الجازوي أن أتعلم تجويد القرآن الكريم على شيخ يدعى: محمد سلاّم، وفعلاً

---

1 ـ علي مصطفى المصراتي، نماذج في الظل، ص 199 .

2 ـ سورة النساء الآية 113 .

3 ـ إن قبيلة بني دريد من سلالة بني هلال، وهي قبيلة بدوية تبع مركز بن زرت بتونس، هاجر فريق منها إلى ليبيا، منهم الفقيه والعالم المشهور ـ محمد علي الدريدي، وعندما احتلت إيطاليا ليبيا، هاجروا إلى مصر، (مذكرة مخطوطة للشيخ وأشرطة مسجلة1990م)

ذهبت إليه ورحب بي بحفاوةٍ بالغةٍ، وهناك وجدت العم محمد علي الدريدي كطالب عنده على الرغم من بلوغه الثمانين من العمر، فنشأت بيننا ألفة وتعرفت عليه وعلى أسرته، وصاروا يعاملونني كواحد من أبنائهم[1].

كانت بدايات الالتحاق بالمعهد الديني سنة 1926م، ولكن ليلتحق الشيخ عيسى بالمعهد الديني الذي هو أحد فروع الأزهر بالإسكندرية، والدراسة فيه نظامية، لابد أن تتوفر فيه عدة شروط وهي:

1. **أن يكون الملتحق بالمعهد حافظاً للقرآن الكريم كاملاً .**
2. **أن لا يقل عمره عن اثنتي عشرة سنةً، وأن لا يزيد عن ست عشرة سنة.**
3. **أن لا يكون به مرض معدٍ .**
4. **أن تكون له أوراق ثبوتية[2] رسمية تثبت هويته معتمدة من الجهات الرسمية سواء من داخل مصر أم من خارجها .**
5. **كذلك لا بد أن يوافق شيخ الحارة، ثم العمدة، ومدير الناحية، والمحافظ، والأمر ليس هيناً كما هو متوقع في ذلك الزمان .**

قال الشيخ: لم أكن أعرف من هذه الأمور شيئاً، وذهبت مع ابن الحاج سلاَّم ولم يخبروني عن الشروط المطلوبة للقبول، ثمَّ دخلنا على لجنة القبول والتسجيل، فسألوني من أين أنت ؟ قلت من برقة، قالوا لي: أين تقع برقة؟ قلت: في الحدود الغربية المتاخمة لمصر، قالوا بدهشة **(آه نعم)** أنت تبع إيطاليا، اذهب للقنصل الإيطالي وأْتِ بورقة من السفارة الإيطالية، وإذا لم تأت بهذه الورقة لا يتم قبولك، قال الشيخ في نفسه سبحان الله، أنا

---

1 ـ مذكرة الشيخ ، ص 25 .

2 ـ علي المصراتي ، ص195 .

هارب من الطليان، وهم في هذه البلاد العربية والإسلامية يطلبون مني الموافقة الإيطالية على دراستي في الأزهر، قال: فقلت لهم ذلك، قال: فقالوا لي: إن لم تأت بهذه الورقة فلن تسجل في المعهد قال: فقلت لهم: والله لن أحضر ورقة من الطليان الذين يحتلون بلدي، هذا هو الشرط الأول للقبول في معهد الأزهر **(فرع الإسكندرية)**، والمعضلة الكبرى أنَّ الشيخ لا أوراق ثبوتية له، فكما علمنا من قبل أنه خرج هارباً من جحيم إيطاليا، الأمر الآخر: أن سنه أكبر من المسموح به للالتحاق بالأزهر، وهنا ييسر الله تعالى الأسباب، ويتدخل نقيب المحامين في الإسكندرية الحاج **محمد عبدالنبي الجاوزى**، ولتعرف الشيخ عيسى على نقيب المحامين محمد عبدالنبي الجازوي قصة نوجزها فيما يلي:

كان هناك شخص يدعى **(السنوسي العوكلي)** من قبيلة العبيدات، وكان الشيخ ينوب مكان الأستاذ المحفظ، ويساعده في التدريس وحفظ النظام في المدرسة القرآنية، وكان ابن العوكلي يدرس على الشيخ، وكثيراً ما كان الشيخ يتعهده بالمتابعة في الحفظ، والنصيحة في الأخلاق والآداب، وقد كان هذا العبيدي، على علاقة وثيقة بنقيب المحاميين الشرعيين محمد عبد النبي الجازوي ، ومن هنا دعا العوكلي الجازوي، إلى وليمة **(عصيدة بالزبدة ومعها لبن)** والجازوي يحب العصيدة، وأهل الإسكندرية لا يعرفونها، فطلب من العبيدي أن يعدها له قائلاً: لا يستطيع أحد أن يصنع هذه الأكلة الشعبية إلا أنت، فأجابه العوكلي لذلك ، وكانت فرصة أن يدعو كلاً من عيسى الفاخري، وكذلك أستاذ المدرسة الشيخ محمد عمر، بأن يحضروا جميعاً ليشاركوهم في هذه الأكلة التي يعرف البدويُّ قيمتها، والرمز الذي ترمز له في برقة ونواحيها .

قال الشيخ: عندما حضرنا عرَّف بيننا العوكلي، فرحب بي الجازوي نقيب المحامين، وسألني قائلاً: هل تحفظ القرآن يا عيسى؟ فأجاب عني شيخيَ الأستاذ محمد عمر: نعم إنه يحفِّظ القرآن وينوب عني أيضاً في تحفيظ التلامذة، ومن هنا عرض عليَّ أن يساعدني للتقديم في المعهد، وأن يساعدني في إتمام إجراءات التسجيل في الأزهر دون الالتجاء لإيطاليا، فيعلم الله كم كنت أبغض إيطاليا وقد عافاني الله من الاستعانة بها في موضوع الدراسة [1].

دبَّر الشيخ **محمد عبد النبي** نقيب المحامين لعيسى الفاخري موضوع الأوراق على أساس أنه من مواليد الإسكندرية، وكذلك منحوه تاريخاً مناسباً للدراسة في المعهد الديني، وقد أوصى به لجنة المعهد خيراً، فكان أول الممتَحنين، وتم قبوله للدراسة في المعهد [2].

الطالب المتفوِّق والمناضل والجندي المجهول:

لقد جسَّد عيسى الفاخري وبدون مبالغة طيلة أيام دراسته في مصر كل هذه المعاني، بل لقد كان كذلك طيلة أيام حياته، وكان تفوقه منذ البدايات الأولى، ولم يصده العمى والعوز والحاجة عن إيمانه بضرورة الذود عن الديار وتحرير الأرض من أيدي الطليان الغاصبين، ولما التحق الشيخ بالدراسة في المعهد وتفوق في الابتدائية سنة 1931م، وكان مستواه الأول في المعهد، والثاني على القطر المصري بين المكفوفين، فرح الطلبة الليبيون

1 ـ مذكرة الشيخ عيسى الفاخري ، ص24 .

2 ـ شريط مسجل للشيخ ، 1991م .

بهذا التفوق وكأنه قد نال شهادة عالمية، وقال أيضاً: وفي هذه الأثناء قدم: الباشا صالح الاطيوش الإسكندرية والتقى بي، وقد حدثه أصدقائي البرقاويون عني وعن تفوقي في الدراسة، ففرح بي فرحاً شديداً جدا، وقال لي وبلهجة عامية معبرة :(**أيوه اجَّدْعن اجَّدْعن يااوْلِدي لكن ايفكنا الله من هالهامة - يعني إيطاليا - وترجع لهذاك الوطن واتجاهد، واتعلم الكبار العلم، والصغار القرآن**)[1] وبالفعل تمضي الأيام سراعاً، ويشاء الله أن يتحقَّق هذا الكلام بعد أربع عشرة سنة بالعودة للوطن، ويعلم الشيخ عيسى الفاخري العلم والقرآن للعام والخاص .

وفي هذه الأثناء انضم الشيخ للحركة الوطنية للمجاهدين الليبيين، وصار يجاهد بالكلمة، وقال للمجاهدين اعتبروني كالجندي المجهول، وقد كان يقوم بالدعاية ضد إيطاليا، ويدعو إلى تحرير الأرض من الطليان، وخصوصاً بعد إعدام شيخ الشهداء عمر المختار في هذه الأثناء سنة 1931م، وذكر أن هذا الحدث من أبرز الأحداث في هذه الفترة، وقد كانت الحالة المعنوية عند العرب والمسلمين عالية جداً، وكنا نتناقل أنباء انتصاراته، وبعد وقوعه في الأسر كنا نتساءل عن ظروف اعتقاله، ونحيي المجالس بالحديث عن الجهاد والمجاهدين، وقد اعتبرنا عام استشهاد عمر المختار الذي تم إعدامه صباح يوم الأربعاء الموافق 16 سبتمبر 1931م عام الحزن ، وقد كان صابرا محتسبا مقداما لم يعرف الخوف إلى قلبه سبيلا، وقد روى بعض من حضر لحظة إعدامه من الليبيين انه عندما وضع الجلاد حبل المشنقة في عنقه كان يتلو قول الحق جل وعلا :﴿**يَا أَيَّتُهَا**

---

1 - شريط مسجل للشيخ عيسى الفاخري، ج2 1991م .

النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾[1][2] .

قال عيسى الفاخري لقد اعتبرنا سنة إعدام عمر المختار عام حزن لطلبة الأزهر بشكل عام وللطلبة المغاربة بشكل خاص[3]، وكنَّا نحن الليبيين في المهجر نسمع عن عمر المختار وعن حركة الجهاد في ليبيا، ومعظم إخواننا المهاجرين من مصراته كانوا يعتبرون برقة والساحل الشرقي تمثل الأمل في الجهاد ضد الطليان، وللأسف الشديد كانت الحكومة المصرية تجامل إيطاليا، لذلك لمَّا حاول بعض الغيورين وعلى رأسهم: حمد باشا باسل من سكان الفيوم، أن يقيم احتفالية بأربعينية عمر المختار، تلقى فيها القصائد وتذكر فيها مناقب الشهيد، منعتهم الحكومة المصرية، وضيقت عليهم، بل صادرت أعداداً من جريدة الجهاد، بسبب نشرها لقصيدة شوقي في رثاء عمر المختار، والتي يقول في مطلعها :

ركزوا رُفاتك في الرمال لواءً

يستنهض الوادي صباح مساء

يا ويحهم نصبوا منارا من دمٍ

يوحي إلى جيل الغد البغضاء

ما ضرّ لو جعلوا العلاقة في غدٍ

بين الشعوب مودةً وإخاء؟

---

1 ـ سورة الفجر ، الآيات 27 ـ 30 .

2 ـ عمر المختار ، علي الصلابي، ص96 .

3 ـ الطلبة المغاربة مصطلح يطلق على الطلبة الوافدين للدراسة بالأزهر من ليبيا ودول المغرب العربي .

إلى آخر ما جاء في القصيدة الحماسية، وقد كان - رحمه الله - معجباً بها ويرددها كثيراً، ويحثنا على حفظها، وقد كانت بحق قصيدة رائعة، ولكن الحكومة المصرية لم تكن ترعى للشهيد حقَّه وحرمته، ومما زاد الطين بلَّةً - زيارة ملك إيطاليا مصر بصحبة أسطول إيطالي كبير، وعلى إثر هذه الزيارة قبضت السلطات المصرية على المجاهدين في مصر ووضعتهم تحت المراقبة المشددة [1].

لمَّا أحسَّت المخابرات الإيطالية بخطورة الشيخ وتبنيه لأفكار الجهاد ضدها، والحثِّ على طردها من ليبيا، حاولت الكيد له أكثر من مرة لتعتقله في ليبيا وتحرمه من العلم، وكان ذلك سنة 1935م، فقد جاءه أحد المندسين المتعاونين مع الطليان وأخبره بأنه يحمل رسالة من والده وتبين للشيخ أن هذا ليس صحيحاً بل هي خدعة حاولت الحكومة الإيطالية بها إرجاع الشيخ لليبيا، لأنهم كانوا يرشون أذنابهم من الخونة لكي يقوموا بإرجاع المهاجرين إلى ليبيا، وكانوا يعطونهم عمولة في مقابل ذلك، لكن الشيخ ولله الحمد لم تنطلِ عليه هذه الحيلة وعافاه الله من ذلك، وفي المرة الثانية أرسلت له والده، ولكنه استشار من يثق فيهم من معارفه وزملائه من الطلبة، وكذلك عرف من خلال ما أخبره به والده، أن الأمر ليس مطمئناً وأن الأفضل أن لا يرجع في الوقت الحاضر للبلاد، وكانت هذه المحاولة الثانية لإرجاعه سنة 1938م، ولما لم يفلح معه هذا الأسلوب عرضت القنصلية الإيطالية على الشيخ أن تعطيه منحة دراسية في مقابل أن يضمنوا سكوته، وأن لا يقوم بالتحريض ضد الحكومة الإيطالية، وقد رفض هذا بشدة وقال والله لو لم يكن عندي ما آكله فلن أسمح لنفسي أن أتقاضى

---

1. شريط مسجل للشيخ ، 1991م ، ج2.

أي أجر من الذين احتلوا بلادنا وشردونا وطردونا من أرضنا[1] .

ولم تقم القنصلية الإيطالية بهذا الفعل مع الشيخ فحسب، بل لقد حاولت أن تغري كثيراً من الليبيين المناضلين في بلاد المهجر بالعودة، ولكنَّ هؤلاء الأحرار والمجاهدين صمدوا ضد دعايات ودعاوى الطليان، ومطامع المتطلينين، وهؤلاء المناضلون، ما هم إلا عمال، وتجار، أو بعض الذين هاجروا لطلب العلم، كانوا يشكِّلون نمطاً عجيباً من طينة وأصالة هذا الوطن العربي المسلم في الحفاظ على القيم والمثل[2] .

وفي هذه الأوقات كان الشيخ يواصل دراسته في كلية الشريعة في الأزهر، والدراسة الثانوية والجامعية لا تكون إلا في القاهرة، فانتقل للقاهرة، وكان الوضع فيها أصعب من الإسكندرية، والإقامة فيها مشكلة المشاكل، حيث أن الإسكندرية كان فيها داخلي يبيت فيه الطلاب، وكانوا بحاجة فقط إلى النفقة والمصاريف، أما القاهرة فالإقامة على حساب الطالب والمصروفات كذلك، وقد علمنا أن الحاج سلاَّم تولى النفقة عليه في الإسكندرية، أما القاهرة فالدراسة فيها مكلفة أكثر، والمصاريف كذلك، فما العمل إذاً ؟ .

كانت البدايات في القاهرة مع أحمد ابن الحاج سلاَّم، لكن أحمد مرض مرضاً شديداً رجع على إثره برفقة الشيخ إلى بلده باقور في الصعيد، ليعود الشيخ مرةً أخرى إلى القاهرة وحيداً، وقد كان عنده القليل من التموين كان الحاج سلاَّم قد بعثه إليهم من قبل، هذه الأحداث كانت في

---

1 ـ رواية شفوية من الشيخ ، 1997م .

2 ـ علي مصطفى المصراتي، نماذج في الظل، ص55 .

رمضان من عام 1931م[1]، وبعد انتهاء رمضان بمدة يسيرةٍ أُبلغ الشيخ بوفاة صديقة أحمد، فحزن عليه حزناً شديداً وأحسَّ بألم فراقه، لأنه كان لا يعده صديقاً فحسب، بل كان زميل دراسةٍ، وأخاً عطوفاً، وصديقاً حانياً.

هنا قُدِّر للشيخ أن يواصل المسيرة وحده وما من معين له إلا الله تعالى، ثم تعاضد إخوانه من طلبة العلم الشرعي، وأساتذة الأزهر الذين قرَّروا أن يجعلوا له راتباً شهريّاً نهاية كل شهر، ويذكر الشيخ أنه كان قد تعرف من قبل في الإسكندرية على طالب يدعى: محمد مصطفى رضوان– من بلدة ريفية تبع محافظة أسيوط، وقد كان يدرس معه في الإسكندرية، والتحقوا بالأزهر جميعاً، فكثيراً ما كان يطالع مع الشيخ ويساعده في المذاكرة، وكذلك كان كلما ذهب إلى بلده في أسيوط أخذه معه، فنشأت بينهما مودة وصداقة حميميَّة، كان يتذكرها له كثيراً ويدعو له .

وتجدر الإشارة هنا، إلى الدَّرس الذي كان يعلمه لنا دائماً في اختيار الصديق، فقد كان يحذرنا من اعتبار كل واحد من المعارف على أنه من الأصدقاء، ويقول: **"ليس كل معرفة يُعدُّ من الأصدقاء، بل هؤلاء معارف"** ويشرح البيت الذي يقول بأن المستحيلات ثلاثة **"الغول والعنقاء والخل الوفي"** وهي من أبيات لأبي ذؤيب الشاعر الكامل، يقول فيها:

لما رأيت بنِي الزمان وما بهم خـل وفِـيٌّ للشدائد أصطفِي
فعلمـت أن المستـحيل ثـلاثةٌ الغول والعنقاء والخِلُّ الوفِي[2]

---

1 ـ مذكرة الشيخ، جمع: عبد الله بوهدمة، ومفتاح الفاخري، ص27 .

2. عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، مكتبة الفكر العربي، لبنان، الطبعة الأولى، 1977م، ج1ص235 .

فيقول: أما الغول فهو خرافة، وكذلك العنقاء، أما الخل الوفي، فموجود ولكنه قليل، بل وأحيانًا يكون نادرٌ جداً.

لذلك كان يقصُّ علينا: أن بعض الطلبة في الأزهر، تجدهم يصادقون كل من هبَّ ودبَّ، فيجيء الواحد منهم إليَّ ليشتكي من أصدقائه، هذا تسببَّ في أذيته، وذلك يُهينه أمام الطلبة، وذلك يعتدي عليه، حتى إني أعرف واحدًا من الطلبة، يشتكي لي في كل يوم من صديق، فقلت له، أُريد أن أسألك سؤالاً، وهو: كم عدد أصدقاءك؟ فقال لي هم كثر، قال: فقلت له، إن هذا مفهوم خاطئ للصداقة، هؤلاء، ليسوا جميعًا أصدقاء، بل هؤلاء معارف، والأصدقاء أقل من ذلك بكثير.

مع العلم أنه كان يوصينا باتخاذ المعارف، والتودد لجميع الناس على أنهم أصدقاء - وهذا ليس بالمعنى الخاص للصداقة، بل هو بشكل عام - حيث كان يستحثنا على هذا المعنى، في كثيرٍ من الأحيان بكلام عليٍّ رضي الله عنه:

عليك بإخوان الصفاء فإنهم عمادٌ إذا استنجدتهم وظهورُ
وإن قليلاً ألف خلٍّ وصاحبٍ وإن عدواً واحداً لكثيرُ[1]

وهذا هو المنهج الذي كان عليه طيلة أيام حياته، فلم يعرف العداوة أبداً، ويُعدُّ هذا من الأسباب المهمة التي جعلته محبوباً عند الجميع، ويتضح هذا جلياً في هذه الفترة - مرحلة الدراسة في الأزهر - حيث أحاطه الله بعنايته، وكتب له المحبة في قلوب الذين عاشروه والتقوا به طيلة أيام الغربة، فأوجد له ثلةً من الطلبة المحبين، والأخِلاء الأوفياء، الذين سخرهم

---

1 - علي بن نايف الشحود، موسوعة الشعر الإسلامي، مطابع المكتبة الوقفية، السعودية، 2001م، ج2 ، ص375 .

الله تبارك وتعالى له تسليةً وأنساً، حيث كانوا يكرمونه ويحبونه، ويتسابقون في خدمته، ذكر منهم طلبة من اللقانة بالبحيرة مثل: **إبراهيم هيكل، وعبد المجيد رضوان، ومصطفى عبد الرحمن، وعبد المجيد على داوود**، وكذلك **عبد الله اكريم السملوسي**، كل هؤلاء كانوا يستضيفونه في القسم الداخلي للطلبة ويهتمون بأمره، ويكرمونه ويؤنسونه مما خفف عنه مرارة الغربة، بل وضغطوا عليه حتى يقبل العيش معهم، وقبل بذلك وقد وصف طيبتهم بقوله: **(أرغموني على العيش معهم دون دفع أي قيمة، اللّهم إلا خمسة عشر قرشا في الشهر، وكانوا يعدون الطعام تبعاً لرغبتي، وقد ارتحت معهم راحة تامة)**[1]، وقد كان يتذكَّر هذه الأيام على الرغم مما كان يكتنفها من التكدير أحياناً، والصفو أحياناً أخرى، ومع ذلك فقد كان يحدِّثُ أنها من أروع أيام الدراسة، لما كان فيها من حماس، ومنافسة بين نظرائه في الصف، حتى نال الشهادة الثانوية الأزهرية بتفوق وكان ذلك في 15 شوال 1353هـ الموافق 20 يناير 1935م .

ثم بدأ بعد ذلك في الدراسة الجامعية لنيل الشهادة العالمية في الشريعة، وطيلة أيام الدراسة، لم يقم الشيخ في رواق المغاربة كما كان متوقعاً لأي طالب دارس في الأزهر من المغرب العربي، وذلك لأن الإقامة في رواق المغاربة تحتاج إلى موافقة إيطاليا، أو من ينوب عن الإنجليز بعد هزيمة الطليان في الحرب العالمية الثانية، ووقوع ليبيا تحت الانتداب البريطاني، قال الشيخ ـ رحمه الله ـ وأمام إلحاح الطلبة عليَّ أن أحاول الانضمام إلى رواق المغاربة، وبهذه الصورة، قررت أن أستشير أستاذي فضيلة الشيخ الغرياوي، وذلك لعدة أسباب، أهمها :

---

1 ـ مذكرة حياة الشيخ، جمعها: عبدالله بوهدمة، ومفتاح الفاخري، ص37 .

أولاً: لأنه من علماء الأزهر الأفاضل.

و**ثانياً:** فهو يعلم مدى كُرهي للطليان وأذنابهم، وبعدما شرحت له الأمر قال لي: يا بني أنت موفق لأنك رفضت مرتين مساعدة إيطاليا لك، فاعتبر نفسك مصريّاً ولا تذهب إلى الرواق، قال: فعملت بمشورته، ولم أنتسب إلى رواق المغاربة[1].

المبحث الثاني ـ الدعوة وتبليغ العلم الشرعي :

كانت الدعوة إلى الله تعالى بالحسنى والكلمة الطيبة ديدناً تبعه الشيخ طيلة أيام حياته، وهذه الأمانة التي تحملها على عاتقه بتبليغ العلم، وتعليم الناس القرآن الكريم ـ قد امتزجت بروحه وجسده، بحيث أنه لم يرَ نفسه إلا معلّماً، وداعيةً، وواعظاً، سواءٌ مع طلبته وأقرانه، أو مع المحيطين به، وكذلك من يقصده من أجل السؤال عن أمور الدين والدنيا .

أولاً ـ الرجوع من مصر والاستقرار في إجدابيا :

لما أتم الشيخ دراسته شده الحنين لموطنه ومسقط رأسه، وكذلك كان قلقاً على مصير والده، وبعد أن استقرت الأوضاع قليلاً عقب الحرب العالمية الثانية، فكر في العودة إلى ليبيا، قال: فاستشرت إخواني من مصراته، وقد كان من مزاياه أنه يحب المشورة في الأمور المهمة، ويذكر كثيراً قول والده ـ رحمه الله ـ بالعامية: (**اجعل راينا عند أبركنا واجعلنا انطيعوا له**)، الطلبة من مصراته أشاروا عليه بالذهاب معهم إلى مصراته،

---

1 ـ مذكرات الشيخ 1990 ، ص39 .

أما صديقه من زليتن وهو عبد الهادي امليشه فقد أشار عليه بالذهاب إلى المعهد الأسمري بزليتن، وقال سأبعث معك بخطاب إلى شيخ المعهد ليمكنك من التدريس فيه، أما صديقه محمد علي السويفاتي فأشار عليه أن يذهب إلى معهد أحمد القرمانلي في طرابلس وأخبره أنه سيبعث معه بخطاب إلى ناظر المعهد، فقال لهم الشيخ وماذا عن برقة ؟ فالبلد محتاجة إلى عالم، قالوا: إن برقة ليس بها علم، وبصراحة إن أهلها لا يكرمون العلماء، ولا ينزلونهم منزلتهم، أما إخوانه المصريون فقد سعوا إلى تعيينه واعظاً في العامرية في مرسى مطروح، وأشاروا عليه بعدم الذهاب إلى ليبيا[1] .

لكن الشيخ أخذه الحنين إلى بلده ليبيا وخصوصاً حين تذكر والده الذي لم يزل على قيد الحياة ولم يره منذ زمن بعيد، فقرر الرجوع إلى الوطن وتأكَّد ذلك بعد أن وصله خطاب من الشيخ عبد النبي بوخطاب الفاخري من سلوق، رداً على رسالة كان الشيخ قد بعث بها إليه مستفسراً عن حال البلد وكان ذلك سنة 1943م، وجاء في رسالته: **(إن والدك حيٌّ ويلح على مجيئك، وأنا أزيدك إن الوطن في أمس الحاجة إليك)**[2].

بعدما تقرر ذهاب الشيخ إلى ليبيا أشار عليه بعض إخوانه ومحبيه أن يستخرج جواز سفر مصري، وبعد سنة من بقائه في ليبيا يتبين له إما البقاء في ليبيا، أو الرجوع إلى مصر، وعمل بنصيحة زملائه ورجع ومعه الجواز

---

1 ـ مذكرات الشيخ عيسى الفخري، جمعها: عبد الله بوهدمة، ومفتاح الفاخري، ص42.

2 ـ المصدر السابق، ص42 .

المصري .

كان الضابط الإنجليزي المسؤول عن عودة المهاجرين يمنع الشيخ من العودة إلى الوطن ويقول بالحرف الواحد بعدما علم أنه من أهل العلم وأنه قد أنهى دراسته في الأزهر ويريد العودة إلى بلده: **(هذا غير مسموح له بالعودة)** ولكن بفضل الله ثم بمساعدة شخص اسمه "عمر شنيب " تيسر أمر الخروج من مصر والرجوع إلى أرض الوطن .

وبعد رحلةٍ استغرقت أياماً، وصل بحمد الله إلى الوطن، وبالتحديد منطقة سلوق التي استقبل فيها استقبالاً حارّاً، وكان على رأس المستقبلين الشيخ عبدالنبي بوخطاب الفاخري، والشيخ مفتاح بواعميه، والتقى بالشيخ محمد بشير الشامخ، المشهور **بـ(محمد بوالعبد)**، وكانت مناسبة طيبة لتذكُّر تلك النَّصيحة التي أسداها لوالده، فيما يتعلق بدراسته في الأزهر، هنا حمد الله على ما منَّ به على عيسى من العلم والفهم، وأن جعله الله سبباً في ذلك، ثم قال الشيخ محمد بوالعبد: ياشيخ عيسى، أعتقد الآن أنك من العلماء القلة في البلد، وأنصحك ثلاث نصائح:

الأولى: لا تتدخل في الطرق الصوفية، وما ينشأ بين أتباعها من خلاف .

الثانية: عدم التدخل في منازعات الأراضي، وما يجري بين المختلفين عليها من أيمان، ومشاحنات في ذلك [1].

الثالثة: لا تتدخل في شأن القضاء، وما يصدره القضاة من أحكام .

قال الشيخ: ولقد أفدت إفادة كبيرة من هذه النصيحة، وكان ذلك من الأسباب الرئيسية، لما متعني الله تعالى به من قبول بين الناس، عامةً

1 ـ الحاج محمود خطاب، روايات عن حياة الشيخ عيسى الفاخري، 23ـ 2 ـ 2010م .

وخاصةً ولله الحمد.

وبالنظر إلى المفهوم العام لهذه النصائح، يتضح لنا الحكمة التي كان يتحلى بها الشيخ محمد بوالعبد، فالدخول في المسائل الخلافية، الذي لا يُبتغى به وجه الله تعالى، يجر صاحبه في الغالب إلى الجدال العقيم، وكذلك التصدر للفتوى في شؤون القضاء، من شأنه أن يفقد الهيبة في حكم القاضي، ويكون مدعاةً إلى فسادٍ كبير، وفتنة عظيمةٍ، لا يعلم مداها إلا الله تعالى .

وكذلك يبرز هذا الموقف، الحكمة التي كان يتحلى بها الشيخ عيسى ـ رحمه الله ـ حيث التزم بهذه النصيحة، ولم يستبد برأيه، بل وصار يذكرها لنا، ويستشهد بها، ويجعلها من أصول أخلاق العالم، والداعية، كي لا يكون عرضة للامتهان، من العامة، وحفظاً لكرامته، واحتراماً لتخصص القاضي، وهو ما ينبغي أن يكون عليه الداعية الذي يريد بدعوته وجه الله تعالى، ويرجو أن ينفع الله الناس بعلمه.

الإقامة في سلوق في ضيافة الشيخ عبدالنبي بوخطاب:

نزل الشيخ عيسى الفاخري على الشيخ عبد النبي بوخطاب[1] ضيفاً فأحسن استقباله، وأكرمه واحتفى به، ثم نزل في منزلٍ للحاج عبد النبي عمارة الفيتوري، حيث كان أهل سلوق يلحون عليه للإقامة معهم، ولكن

1 ـ الحاج عبدالنبي بو خطاب،أحد شيوخ الفواخر، بيت أم شيبه، في القرن الماضي، وكان ساكناً في منطقة سلوق، وله فضل ومكانة كبيرة في قبيلة الفواخر، وقد كان من المجاهدين الأوائل، ولد سنة 1895م، وتوفي سنة 1966م/ فرحمه الله رحمة واسعة (رواية شفوية الحاج امهيدي الفاخري)

الشيخ كان يريد الذهاب إلى إجدابيا للقاء والده وأبناء عمومته، فأقام في سلوق أياماً، بعدها غادر إلى بنغازي ثم إلى إجدابيا ليستقر بها زمناً يلقي الدروس، ويعلم الناس العلم، في المسجد الذي يعد من أقدم مساجد إجدابيا، وهو في مركز المدينة، ويسمى الآن بالمسجد العتيق[1]، قبل التحاقه للتدريس بالمعهد الديني بالبيضاء أواخر1952م، الذي تحول جامعة فيما بعد، سميت بالجامعة الإسلامية[2].

في الفترة قبل الانتقال إلى المعهد الديني في البيضاء كان الشيخ - رحمه الله تعالى - يمارس نشاطه الدعويَّ ويعطي دروساً في التوحيد، والفقه والعبادات، كما انتدب واعظاً لإلقاء الدروس في شهر رمضان في مدينة بنغازي، وأقام الشيخ لمدة ستة أشهر بعدها في بنغازي واعظاً يلقي الدروس وبدون مرتب، وفي هذه الفترة وبعد قدومه مباشرةً أراد أبناء عمومته تقديمه للبرلمان ليصبح نائباً أو عضواً مستشاراً، فجمعهم وقال لهم بكل ثقة: أنا معي جوازي المصري، وأنا محسوب للناس كلها، يأتيني المستفتي الفاخري، والزويَّ، والمغربي، والشيخي، والفرجاني، والعقوري، والعبيدي، ومن جميع القبائل لست لواحد دون الآخر، فإذا أردتم إدخالي في هذه الأمور الدنيوية، ومشاكل الأراضي، والسياسة، وغير ذلك من الأشياء التي ليس لها علاقة بالدين ولا بالعلم، فمن اليوم سأرجع في أول سيارة قاصدة مصر فلم آتي للبلد من أجل هذا إنما جئت لنشر العلم،

---

1 - انظر: مصطفى السعيطي، إجدابيا مدينة من مدن الشمس، ص230 .

2 - مذكرات ودروس للشيخ عيسى الفاخري، جمعها: عبد الله بو هدمة، ومفتاح الفاخري، ص52.

والدعوة إلى الله، والقضاء على الجهل، قال: فقالوا لي جميعاً وبصوت واحد وبلهجة عامية، دون تردد: (**والله ما انبدلوك بالدنيا كلها**).

الأستاذ والمربي والموجه :

عُين في البيضاء كأول معلم وطني، ومما ذكره عن تلك الفترة، قال: كان إخواننا المعلمون الأزاهرة من مصر، يفضلون تدريس مادة الفقه، والمواد الشرعية بشكل عام من سيرةٍ ، وتفسيرٍ وغيرها، وكانوا يختلفون عن من له الأحقية في هذه المواد، فكنت أقول لهم أنتم ضيوفنا، فاختاروا ما ترتاحون إليه من مواد، والمادة التي تفضل - يعني تبقى منكم - أتركوها لي فأنا على استعداد تام لتدريسها، ولا تقيموا خلاف من أجلها، قال: فأسندت إليَّ مادة النحو، ووجدت الطلبة متخوفين منها، والمقرر عليهم شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ولا يخفى أن هذا منهج دسم، ويحتاج إلى مذاكرة، ومدارسة، واجتهاد لفهمه، فلاحظت قلقاً كبيراً عند عموم الطلاب، فأول ما ابتدأت به في شرح هذه المادة قلت لهم: لم هذا التخوف من مادة النحو؟، فالنحو أسهل مما تتصورون، لأن مادة النحو متكونة من ثلاثة أشياء فقط، وهي: الاسم، والفعل، والحرف، وبدأت أحبِّبهم في المادة، ومن هنا انطلقت معهم، ويوماً بعد يوم، صار الطلبة يحبون مادة النحو، وينتظرونها بشغفٍ كبيرٍ، وكنت أحتاج إلى من يطالع لي من الطلبة، فكان **محمود خطاب**، على رأس الطلبة المجدين المستعدين لذلك، وكذلك **محمود فايز** وغيرهم من الطلبة يقومون بهذه المهمة .

قال عنه الشيخ **محمد رشيد** ـ رحمه الله ـ وهو أحد طلبة الجامعة الإسلامية في البيضاء: لم يكن الشيخ في البيضاء أستاذاً فقط، بل كان أباً عطوفاً، يقدم النصح التوجيه، ومما حفظناه عنه، أنه كان يقول: **(لا تعطوا الفتوى إلا بعد التأكد والتريث، فالفتوى ليست هينة)**[1].

وقال أيضاً: كان يعيب على الذين يتجرؤون على الفتوى ويتشدد في التعريض بهم، ويقول: لا تقال الفتوى إلا بعد التأكد، وذكر الدليل، والكتاب، والمرجع، ولا تقال جزافاً، بدون تثبت .

وكان أيضاً ينهانا عن الدخول في شؤون القاضي، ويقول دعوا ما للقاضي للقاضي، وكذلك يحذر طلبته الذين كانوا يأتونه في لقاءات مفتوحة بمنزله في البيضاء، وكان يحذرهم من الدخول في نزاعات الأراضي، والتعصب للآراء الخلافية، وكانت عنده توجيهات محمودة، يركز في معظمها على التوحيد، وسنذكر منهجه في التوحيد، في الفصل القادم إن شاء الله .

وكان الشيخ في البيضاء يخطب في مسجد **(الزاوية القديمة)**، وكان يحضر خطبته جمع غفير من أساتذة الجامعة الإسلامية، نذكر

---

1 ـ الشيخ محمد رشيد محمد الطنفاري الصبحي المغربي، رواية شفوية 13 ـ 9 ـ 2007م. (الشيخ محمد رشيد الطنفاري المغربي، أحد الخرجين الأوائل من الجامعة الإسلامية، حيث تخرج سنة 1967م، وكان أحد الخطباء والدعاة القدامى، مهتم بالاطلاع العلمي، يحفظ متن العشماوية في الفقه المالكي، وغيرها من المتون، توفي يوم الاثنين الموافق 2007/2/2م ، رحمه الله رحمة واسعة).

منهم على سبيل المثال: العلامة الشيخ: **عمر الهمامي التونسي**[1] ـ رحمه الله ـ والشيخ **زروق حسب الله المصري**، والشيخ **أشرف الجزائري**، وغيرهم، وهؤلاء الشيوخ والأساتذة من خرجي الأزهر في ذلك الزمان، رحمهم الله جميعاً[2].

1 ـ يقول عنه الحاج محمود خطاب: هو الشيخ عمر مهذب الهمامي،ـ تونسي الأصل، تخرج من جامعة الزيتونة، وهو أحد المناضلين ضد الاستعمار الفرنسي، سجن وعذب، ثم هاجر إلى ليبيا، وأقام في مدينة بنغازي، وفيها تزوج، واشتغل بالوعظ والإرشاد، ثم انتقل إلى البيضاء مدرساً بالمعهد الديني، وواعظاً وخطيباً في مسجد الزاوية، ثم عين مديراً للمعهد الديني، بالبيضاء، ثم مديراً لمعهد القراءات، وترأس الإدارة في معهد أنس بن مالك الديني بعد ذلك، وأخيراً موجهاً على المعاهد الدينية، والمدارس القرآنية، حتى وفاته رحمه الله . الحاج محمود خطاب، روايات عن حياة الشيخ عيسى الفاخري، 23ـ 2ـ 2010م.

2 ـ رواية شفوية مسجلة للشيخ محمد رشيد ، رحمه الله .

ورقة بيضاء

ظهر آخر ورقة من الفصل الثاني

حتى يبدأ الفصل الثالث على اليسار برقم فردي

الفصل الثالث

الطريقة والمنهج

المبحث الأول . الأخلاق والمعاملات والمدارس التربوية التي ورَّثها:

أولاً . سمته وأخلاقه.

ثانياً . العوامل التي ساهمت في بناء شخصيته.

ثالثاً . مسائل المعاملات وآراؤه الاجتماعية.

المبحث الثاني . منهج الشيخ وطريقته في التدريس والفتوى:

أولاً . منهجه في العقيدة.

ثانياً . الفتاوى الفقهية في العبادات.

ثالثاً . سمته ومنهجه في الدرس وفي حلق العلم.

ورقة بيضاء

(ظهر عنوان الفصل الثالث)

الفصل الثالث

الطريقة والمنهج

الحق الذي يعرفه العام والخاص ممن عاشروا الشيخ عيسى الفاخري وخبروه، أنه كان على سمت طيب صالح، يعز وجوده في هذا الزمان، ومن أشهر سماته التي عرف بها: الهدوء والدعة[1]، اللَّذين كان عليهما، في غير ما تهاون في الحق، فقد كان يوصف ـ رحمه الله ـ بالعمريِّ[2] وهذا فيما يتعلق بالفتوى، فهو لا يتهاون في الحق، ولا يهادن أحداً على حساب الدين، ولكن أخلاقه ومعاملاته، وتقديمه للحق، يكون في هدوءٍ وسكينةٍ ودعةٍ، وعن تروٍّ وبصيرةٍ، ولربما تسأله في مسألةٍ فيطرق كثيراً، حتى تتمنَّى أنه يتكلم، وذلك ليتدبَّر السؤال ويتمعَّن في معناه جيداً، ولربما قال لك لا أعلم إجابته، إذا لم يستقر عنده جواب لمسألتك.

ومنهجه في العموم بالنظر إلى المضمون والمحتوى، أكثر من المظهر الخارجي، وبالتركيز على الباطن أكثر من الظاهر، ونظره إلى قبول العمل، أعظم من نظره للعمل نفسه، وقد كان يتمثل بكلام عليٍّ رضي الله عنه: " **كونوا لقبول العمل أشد اهتماماً بالعمل، فإنه لن يقبل عمل إلا**

---

1 ـ الدعة الخفض وهى تفيد السكون والهدوء والوقار تقول : وَدُع الرجل فهو وديع أي ساكن . انظر: مختار الصحاح ، ص 714 .

2 ـ رواية شفوية، د. صالح محمود الشريدي، 23 ـ 12 ـ 2008م، الدكتور صالح الشريدي، من مواليد1947م، دكتوراه من جامعة القاهرة سنة2000م، له كتاب: قواعد مكتبة الكونجرس لصف البطاقات، مترجم من الإنجليزية، وهو أستاذٌ ومحاضر بجامعة قاريونس، وفروعها.

مع التقوى، وكيف يقل عمل يتقبَّل " [1].

وفي حثه على اغتنام الأوقات، كان يحثنا على امتثال قول الشاعر:

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلاً
وأصبحت في يوم عليك شهيدُ
فإن كنت بالأمس اقترفت إساءةً
فثنِّ بإحسان وأنت حميدُ
ولا ترج فعل الخير يوماً إلى غد
لعل غداً يأتي وأنت فقيد
ويومك إن عاينته عَاد نفعه
إليك وماضي الأمس ليس يعودُ[2]

وفي المباحث التالية ، سنتتبع منهجه في الفتوى ، والأخلاق، والمعاملات، وطريقته في الدروس العامة والخاصة، وكذلك، ما كان عليه ـ رحمه الله ـ من خلق رفيع، أثَّر في المحيطين به، وفي من عرفه، أكثر من تأثرهم بعلمه، وكان أبغض ما يبغض، أن ينتسب واحد من

---

1 ـ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م، ج4 ، ص440 .

2 ـ تنسب هذه الأبيات لمحمود بن الحسن، انظر: الزهد الكبير للبيهقي، وأيضاً: اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي، وقد نسبها بعضهم للإمام علي ـ رضي الله عنه ـ والله أعلم، وانظر أيضاً: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (المتوفى : 1422هـ)، موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان ، الطبعة الثلاثون، المكتبة الوقفية، 1424 هـ، ص256، وانظر: http://www.ahlalhdeeth.com

مريديه، والمترددين عليه، إلى طلبة العلم الشرعي، ثم يخالف الشريعة في معاملته وأخلاقه، وكان يتمثلنا دائماً في التحذير، بهذا القول: **"ما بال أقوام ينتسبون إلى هذا الدين، ثم يخالفونه في أخلاقهم وعاداتهم"** .

وستتضح لك أخي القارئ الكريم، كل هذا المعاني، من خلال التعرف على طريقة شيخنا، في الفتوى، ومعرفة منهجه في الدعوة إلى الله تعالى، بالحكمة والموعظة الحسنة، وعلى نحو ممَّا يفهمه العوام، والبسطاء، من أبناء مدينته، ومن نذر نفسه لنصحهم، وتوجيههم، ولنتركك، أخي القارئ الفاضل، مع هذا المبحث .

المبحث الأول: الأخلاق والمعاملات والمدارس التربوية التي ورَّثها :

أولاً ـ سمته وأخلاقه :

لقد عرف الشيخ ـ رحمه الله ـ بسمتٍ حسن، وأخلاق نبيلةٍ يشهد لها العام والخاص، وهذه الأخلاق جعلته محبوباً عند الناس، وهي كانت سجيةً فيه ـ رحمه الله ـ ، فلم يكن يتطبعها أو يتصنعها، فقد حباه الله تعالى بنفس سهلة، وبشاشةٍ وطلاقة وجهٍ، وإذا عاشرته وجالسته تتذكر قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأشج عبد قيس:**(إن فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة)** وفي رواية ابن ماجة **(الحلم والتؤدة)**، قال: يا رسول الله، أشيء جبلت عليه أم شيء حدث لي؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(بل شيء جبلت عليه)**[1] .

---

1 ـ الحديث في صحيح مسلم والترمذي وغيره ورواية مسلم من حديث ابن عباس وفيه أن أناساً من عبد القيس قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا نبي الله! إنا حي من ربيعة، وبيننا وبينك كفار مضر، ولا نقدر عليك إلا في الأشهر =

وقد كان الشيخ مجبولاً على هذا الخلق، مطبوعاً عليه، فلم يكن متسرعاً ولا عجولاً، ويذكرك سمته بالأثر الوارد عن أم الإمام مالك رحمهما الله عندما قالت له، وكانت أرسلت به إلى شيخه ربيعة الرأي[1] حيث قال:" كانت أمي تعمِّمني وتقول لي: اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه"، وهذا ما كان بالفعل مع الشيخ، فكل طلبته يذكرون أنهم استفادوا منه أول ما استفادوا" **الأدب وحسن المعاملة، مع الغير، وعدم**

= الحرم، فمرنا بأمر نأمر به من وراءنا، وندخل به الجنة، إذا نحن أخذنا به، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان وأعطوا الخمس من الغنائم وأنهاكم عن أربع الدباء، والحنتم، والمزفت،والنقير، قالوا: يا نبي الله! ما علمك بالنقير؟ قال: بلى جذع تنقرونه، فتقذفون فيه من القطيعاء، قال سعيد: أو قال: من التمر، ثم تصبون فيه من الماء حتى إذا سكن غليانه شربتموه، حتى إن أحدكم أو: إن أحدهم ليضرب ابن عمه بالسيف قال: وفي القوم رجل أصابته جراحة كذلك. قال: وكنت أخبأها حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: ففيم نشرب يا رسول الله؟ قال: في أسقية الأدم، التي يلاث على أفواهها. فقالوا: يا نبي الله! إن أرضنا كثيرة الجرذان، ولا تبقى بها أسقية الأدم. فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: وإن أكلتها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان، وإن أكلتها الجرذان. قال: وقال نبي الله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس: إن فيك لخصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة. صحيح مسلم، باب بيان أركان الإسلام، ودعائمه العظام، حديث رقم/24 .

1 ـ هو أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ ويعرف بالرأي لشهرته به، عاصر من الصحابة أنس بن مالك، والسائب بن يزيد، وروي أن بن شهاب قال عنه، ربيعة من خير هذه الأمة، وقال يحيى بن سعيد الأنصاري: ما رأيت أحداً أفطن من ربيعة. انظر: (طبقات الفقهاء للشيرازي ، ص65).

المعاملة بالمثل" قال عنه أحد تلامذته وجلسائه: " **لقد تعلمنا من الشيخ حتى كيف نتعامل مع زوجاتنا وأقاربنا"**[1] .

وقد كان بسيط النفس، ليِّن الجانب، وصفه أحد محبيه بقوله: لقد كان الشيخ ـ رحمه الله ـ فريداً بين الشيوخ في توصيل المعلومة على قدر المتلقِّي، ويراعي في السائل، والمستمع " **سنَّه، وثقافته** " خاطبه أحد العوام من البادية، وكان ذلك بعد وفاة زوجته بأيام قليلة، قائلاً: يا سيدي الشيخ عندي سؤال، وأعاد ذلك مراراً، وكان ذلك في وسط مجمع من الناس، ولكن الشيخ لم يرد عليه، وبقي صامتاً برهة من الزمن، حتى استغربنا، ولم يعجبنا هذا التصرف من الشيخ، حقيقة!، فقال الشيخ بعد قليل من الوقت، أين السائل؟ فقال هاأناذا، فرد الشيخ عليه بمثل عامى يقول: (**اتسيب زها لنظار❖ واتجي في طناطين غيظهن**)[2] فلم يرد عليه ذلك

---

1 ـ رواية شفوية، مفتاح الفاخري 14 ـ 8 ـ 2008م .

2 ـ رواية شفوية، الحاج ابن احميد فرج بن احميد الجهاني، من مواليد إجدابيا سنة 1945م، أحد المدرسين الأوائل، قضى في التعليم، اثنتين وأربعين سنة، وكانت صحبته للشيخ منذ سنة 1954م، مذ كان طفلاً، وكان يقوم على خدمة الشيخ، وقضاء بعض حوائجه وإيصاله إلى المسجد، وهو من المحبين الأوائل، والمترددين عليه، هذه الرواية التي نقلتها عن الحاج ابن احميد، أما الرواية المشهورة لهذه الغناوة، فهي: " اتغيب قي زها لنظار❖ وتجي في غناديق غيظهن" وهذه الرواية نقلتها عن الأستاذ الشاعر والأديب، جمعة الفاخري، بعد اطلاعه على هذا المؤلف، في 23 ـ 3 ـ 2010م. والأديب جمعة سعيد محمد الفاخري، من مواليد، إجدابيا ـ 9 ـ 1966م، شاعر كبير، وأديب وقاص، وصحفي، رئيس تحرير صحيفة المأثور الشعبي، ورئيس تحرير صحيفة أخبار اجدابيا سابقاً من 2002 ـ 2006، أمين رابطة الصحفيين والإعلاميين بشعبية إجدابيا، مدير موقع الإجدابي الثقافي، له عدة مؤلفات منها: صفرٌ على شمالِ الحبِّ " مجموعة قصصية "، ورمادُ السنواتِ المحترقَةِ " مجموعة قصصية "، واعترافاتُ شرقيٍّ معاصر "ديوان شعر" وغيرها.

البدوي، بكلمة واحدة، وفهم مراد الشيخ، وأنه جاء في غير الوقت المناسب للسؤال، بينما كانت هناك أوقات مناسبة، والشيخ مستعد فيها، لإلقاء الدروس، والإجابة عن الأسئلة، قد تركها هذا السائل.

وكثيراً ما كان يحث على الأخلاق، ولم نسمع في مجلسه أنه ذم إنساناً قط، أو ذكر واحداً من المسيئين باسمه، بل كان يقول عندما يذكر أمامه شخص يرتكب بعض الأخطاء، أو يسيء في بعض التصرفات، لا يزيد عن أن يقول: هؤلاء الناس ربنا يهديهم، أو يقول: هناك أناس يفعلون كذا وكذا، إن شاء الله ربنا يلهمهم الصواب، أو يبين الخطأ بشكل عام بدون تعليق على صاحبه، ومن أمثلة ذلك ما حدث معي شخصيّاً، فقد حدثته مرة عن شخص تربطني به علاقة وأحب له الخير، وقلت له يا شيخ أتمنى أن تقدم له النصح، لكونه يقوم بتصرفات غير مقبولة من وجهة نظري، وكذلك من وجهة نظر الشيخ! وهي أخطاء في الواقع لو قيست بميزان الشرع، فسكت قليلاً، ثم قال لي دون أن يسمه: **"لو أظن أنه يتقبل مني لنصحته، ولكن هو لا يتقبل النصيحة، لذلك لن أقدم له النصيحة"**، وقد فهمت منه ـ رحمه الله ـ أنه كان يتردد على الشيخ، وقد يأتيه مستفهماً أحياناً، أو قد يتصل به على الهاتف، لكن

ليس على سبيل طلب العلم، بل للعُجب أحياناً، أو للمجادلة أحياناً أخرى، وذلك بذكر أخطاء الآخرين، والشيخ استحى منه نظراً لسنه، ومكانته، فلم يعنفه، لذلك لم يتحمس ـ رحمه الله ـ لتوجيهه، نظراً لهذا، وإنما سكت قليلاً ثم قال: **ربنا يهديه**.

ومن الشواهد على حسن سمته وكرم أخلاقه حتى مع العلماء، وأهل الفضل والدين، ما نقل عنه ـ رحمه الله ـ أنه جاءه أحد تلامذته ومحبيه

قائلاً: ياشيخ عيسى الشيخ فلان ـ وكان من الإخوة المصريين الأزاهرة، وكان ذا علم وفضل ـ يقول هذا الشيخ المصري متحدثاً عن زكاة الإبل: إن في كل أربعين جملاً، فقال الشيخ هذا الكلام لا يقوله عالم، ولعلك أخطأت في النقل، وشاء الله تعالى أن يعقد اجتماع، يحضره هذا العالم وبحضور الشيخ، ويسأله الحاضرون عن زكاة الإبل، فأفتى على نحو ما ذُكر للشَّيخ **(في كل أربعين جمل، ومن الطريف أنه قال باللهجة المصرية، وإلا مش كدا يا شيخ عيسى)** فقال له الشيخ بعد أن أتم الأستاذ حديثة، يا عالم فلان! إن زكاة الإبل تبدأ من خمس، ففي الخمس شاة، والعشر شاتان، والخمسة عشرة ثلاث شياه، وبدأ يعدد له أنصبة زكاة الإبل، كما هو معلوم عند أهل العلم، ولم يحرجه، ولم يقل له رأيك خطأ، وإلى ما هنالك من الكلام الذي قد يقوله بعض المنتسبين للعلم في زماننا اليوم، فقال له الشيخ المصري، جزاك الله خيراً يا شيخ عيسى[1].

ومن المواقف التي حصلت مع الشيخ وتشهد بكرم أخلاقه ونبل طبعه، وإن كان ضريراً لا يبصر، لكنه كان ذا مروءة وعفة وكرم ونبل، ما حدث معه ورفاقه في طريق العودة إلى أرض الوطن، وقد عرفنا أن الطريق محفوفة بالمخاطر، وأن موضوع الرجوع للوطن كان محظوراً على الشيخ قال: كان أحد الإخوة من مصراته من عائلة **(ابن شهوب)** كان قد هرَّب ملابس مع رجل من قبيلة المنفه معنا في السيارة مقابل مبلغ من المال قدره خمسة جنيهات، وحصل بين المنفه نزاع على المبلغ وقال أحدهم إن الفواخر أيضاً لهم نصيب في المبلغ، قال الشيخ فاستأذنت من ابن عمي واسمه حامد، وقلت: **(إذا تكلمت هل تناصروني؟ ولن أقول إلا خيراً)** فقال

---

1 ـ رواية شفوية للشيخ: محمد الشريف 11 ـ 9 ـ 2007م.

لي نعم قال: فقمت وقلت:(**ياامنفه لا تأتوا على ذكر الفواخر، أنتم لو صادرت الحكومة المصرية ملابس هذا الرجل المصراتي هل ستؤدون متاعه؟ قالوا لا، قلت: أليس من العار أن تأخذوا منه مبلغاً من المال! وسيتحدث المصراتي ويقول إنَّ البرقاويين طماعون، قال: وأخرجت من جيبي خمسة جنيهات وأعطيتها لهم، فاستحوا وقالوا لن نأخذ شيئاً وتنازلوا عن المبلغ)** [1] .

تقديره للعلم وأهله :

كان ـ رحمه الله ـ يجل العلماء ويقدرهم، وعندما يذكر أمامه بعض الشباب الذين يتقولون في أهل العلم ويصنفون ويجرحون ويقدحون في بعض الفضلاء من العلماء، كان يقول إن هؤلاء الشباب لم يتخلقوا بأخلاق أهل العلم ومما حفظ عنه في هذا الشأن قوله: (**إن الذي لم يتربَّ على أيدي العلماء، في الغالب تجد عنده غلظة، وفظاظة، وكثيرا ما يشذ عن الإجماع)**[2].

وقد ظهرت في زماننا دعاوى باطلة تدعو إلى القدح في بعض العلماء، وتنتقص من قدرهم من دون دليل مسوغ، حتى إنك تجد أرباب هذا المذهب يطعنون في العالم، وينزلونه أسفل سافلين بمجرد أن يخالفهم الرأي، وهذا لا شك زيغ وضلال، فمتى كان الاختلاف في الرأي موجبا للحط من قدر الرجال؟ ومتى كان التباين في وجهات النظر مقترنا بالقدح والجرح؟ فهذا

---

1 ـ مذكرات من حياة الشيخ عيسى، جمع مفتاح الفاخري ، ص43 .

2 ـ رواية شفوية الشريف الشارف 14 ـ 1 ـ 2009م.

ليس من العلم في شيء، فالعالم الحقيقي أو طالب العلم الذي يسير على هدى وبصيرة من الله، لا يبدِّع ولا يفسِّق عالمًا إلا بدليل قوي، يكون قد وقف عليه بنفسه ولم ينقل له نقلا معوجًّا، ثم إنَّ المسلم الصادق وطالب العلم الحقيقي، لا يرمي أحداً بفسقٍ، ولا بدعة على التعيين بذاته، ولا يسميه باسمه، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، أما أن تصبح الألسن منطلقة بهذه الألقاب المبدعة، والمفسقة، والمضللة، من كل من هب ودبَّ، وعلى ألسن من حسبوا على طلبة العلم وليسوا منهم في شيء، فهذا مما تعم به البلوى ويعين على المنكر.

وما نراه اليوم في زماننا من مناظرات تقام من أجل الانتصار لعالم على آخر، وتصويب فتوى على فتوى، ممن هم ليسوا أهلاً لذلك، وكثيرا ما تسمع في هذه المجالس اللَّغط والصُّراخ ، مما لم يكن عليه سلف هذه الأمة، ولم يكن هذا ديدنهم في طلب العلم، والتحري في الفتوى، والتماس الدليل، فهذا الذي نراه اليوم منافٍ لأدب المجالس وحلق العلم، وأقل ما يقال عنه إنه من لغط الكلام وفضوله، ومن المجادلة المذمومة، وهذه المجادلة لا يراد بها وجه الله تبارك وتعالى، ولا الوصول إلى الحق، بل هي للانتصار للنفس والمراءاة .

ومما لاشك فيه أن من يدفعه إلى القول في العلم، والتجرؤ على الفتوى ـ **الرغبة في الإعجاب ومدح الناس** ـ يقول الحق والباطل، والصدق والكذب، وهذا ما حذر منه أهل العلم من سلف هذه الأمة، ونتذكر هنا موقف الإمام مالك ـ رحمه الله ـ من هذه المسألة حيث كان يرى أن الجدل لا يليق بكرامة العلماء، لأن السامعين ينظرون إليهم وهم يتغالبون في القول، كما ينظرون إلي الديّكة وهي تتشابك مع بعضها، وتتصايح على

حد وصف مالك، ولقد أجاب بهذه الحقيقة الخليفة هارون الرشيد وأبا يوسف، عندما قال له الرشيد ناظر أبا يوسف، فرد عليه بحجةٍ قويّةٍ مفحمة، تبين مكانة العالم في الإسلام، وما ينبغي أن يكون عليه أهل العلم من التورع عن مثل هذا، حيث قال ـ رحمه الله ـ : **(يا أمير المؤمنين إن العلم ليس كالتحريش بين البهائم والديكة)**[1] .

ولذلك كان شيخنا ـ رحمه الله ـ يكره التّقول على العلماء والطعن فيهم، بل كان يحثنا على إجلالهم، وتكريمهم، وكان يقول: لكل عالم رأيه، ورأي العالم محترم، وغير ملزم لغيره، فإذا اختلفنا مع عالم في الرأي نتركه له، لان الحجة البالغة إنما تكون لكلام الله، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، لكن هذا لا يدفعنا إلى أن نقول فلان كذا، أو فلان كذا، يقصد ما يتناقله بعض الناس **ـ العالم الفلاني ضال ـ أو فاسق ـ أو مبتدع ـ** أو نحو ذلك، بل كان يقول: إنه لمن المعيب والمشين بطلبة العلم، أن يخوضوا في مثل هذا الكلام .

عفته وكرمه :

العفة والكرم صفتان متلازمتان، فمن يتصف بالعفة فإنه يتصف بالكرم غالباً، وقد كان شيخنا يتميز بكليهما، وهذا كان ملموساً من الجميع، بل نعتقد أنه كان مبالغًا في مسألة العفة بشكل كبير، وقد كُنَّا نناقشه في هذه المسألة، فيقول: يا أبنائي، إن الناس ينظرون إليكم

---

1 ـ القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، ج2 ، ص 119. وانظر: محمد أبو زهرة ، مالك حياته وعصره ،ص96 .

وإلى أخلاقكم، فإذا رأوكم طلاب دنيا؟ انصرفوا عنكم، ولم يكن لكلامكم أي تأثير فيهم، أما إذا التمسوا عندكم الإخلاص، والعفة والكرم، فإنهم يقبلون عليكم، ويكون لموعظتكم تأثير في نفوسهم، فكونوا قدوة صالحة، وهذا ما بلغ به ما بلغ من منزلة، عند الأغنياء والفقراء، حتى إنه كان يسأل عن المكانة الرفيعة التي له في نفوس الأغنياء، فيقول: لأنَّني زهدت فيما عندهم [1].

ومن الأمثلة على عفته وعزة نفسه - رحمه الله - حتى في السنوات الأخيرة من عمره وقد كان في أمس الحاجة للعلاج، وصادف أنه كان في مصر سنة 1991م، وتقرر إجراء عملية للشيخ، والعملية مكلفة، وقد عرض عليه بعض الإخوة أن يرفع أمره للسفارة الليبية حتى يكون علاجه على حساب المجتمع، وكان ذلك من حقه، لأنه محتاج للعلاج ومرضه استعصى علاجه في ليبيا، فقال أنا أحب أن أعالج على حساب نفسي، وذلك مبالغة في التعفف، مع أنه كان في أمس الحاجة، ولكنه كان لا يحب أن يسال أحدا شيئا سوى الله عز وجل[2].

ونورد أيضًا من الشواهد على عفته وكرمه: امتناعه عن أخذ المكافأة التي كانت مقررة له من الهيئة العامة للأوقاف، نظير قيامه بالفتوى ووعظ الناس وإرشادهم، وجعل مسكنه مكانا يؤمه طلبة القرآن، وتلامذة العلم، والدارسون، والمستفتون، وذوو الحوائج وغيرهم، مبرراً سبب امتناعه عن أخذ المكافأة، بقوله:(**إنما أريد بذلك وجه الله**

---

1 - رواية شفوية ، الشريف الشارف 14 - 1 - 2009م

2 - رواية شفوية ، مفتاح الفاخري 25 - 1 - 2009م .

تعالى وحسن جزائه وثوابه)[1].

ويدلل أيضاً على هذه العفة، وهذا النقاء والطُّهر، أنه كان شديد الحرص، والابتعاد عن ما فيه شبهة، وشديد التورع لدرجة أنه كان لا يقبل أن يبيت عنده مال للدولة أبداً، وذلك يتمثل في شدة حرصه على سداد فاتورة الكهرباء، والهاتف، حال وصول مبلِّغ الدولة، **(موظف الجباية)** المخصص لجمع أقساط الكهرباء، أو البريد، حتى إن أحد تلامذته حدثني: أنه كان لا يقبل أن تبيت عنده الفاتورة دون سداد، ويقول: هذا حق ينبغي التعجيل به[2].

هكذا كان سمته ـ رحمه الله ـ وهذا قليل من كثير، وسنبرز آدابه وأخلاقه في كل مناسبة في معرض الحديث عن منهجه ودروسه العامة والخاصة، وفتاويه التي نقلها عنه تلامذته ومحبُّوه .

ثانياً ـ العوامل التي ساهمت في بناء شخصيته :

لقد ساهمت عدة عوامل في بناء شخصية الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ وجعلت منه خبيراً بأحوال الناس مراعياً لظروف الزمان والمكان، حيث

---

1 ـ رواية شفوية ، بلحسن حمد الزوى 28ـ 9ـ 2009 م .

2ـ رواية شفوية، علي عبد الرحيم بوزريبة، 7 ـ 2 ـ 2010م، وهو الحاج علي عبد الرحيم محمد بوزريبة، من مواليد إجدابيا، سنة 1951م، تعرف على الشيخ ستينيات القرن الماضي، وكان تعرفه على الشيخ عن طريق الشيخ محمد حمد الشريف، حفظ على الشيخ سورة البقرة، ومن الطرائف التي ذكرها في هذا الشأن: قال: إني لما حفظت سورة البقرة، صار الشيخ يقول لي ما أخبار آل عمران، حاثاً لي على المتابعة، قال وأنا أقول سأبدأ فيها يا شيخ، ثم بعد فترة والشيخ يسأله عن آل عمران، قال وبعد ذلك صار الشيخ يقول لي، ما أخبار البقرة! ؟ .

كان يعتقد أن لكل زمان ومكان الفتوى التي تناسبه مع مراعاة ثوابت الدين ولوازم العقيدة [1] وكان يقول لنا إن الفتوى التي تقال في مصر قد لا تصلح أن تقال في ليبيا، والفتوى التي تقال في السعودية قد لا يصلح تناولها في مصر، وهذا أيضاً من سعة فقهه ودرايته بقواعد تأصيل الأحكام الشرعية، وهذا ما يطلق عليه العلماء اليوم، ويسمونه بفقه الواقع [2] لدرجة أنه صار حجة عند العام والخاص، وهذه تطلبت منه سنوات من الكفاح والمجاهدة في مجال الدعوة، والصبر على فظاظة الجاهل، وغلاظة السفيه، ومعاملة الناس على قدر عقولها، ولا شك أن هناك عوامل عدة كونت هذه الشخصية السهلة والمؤثرة في نفس الوقت، من دون تهاون في أمور الشرع، أو المجاملة على حساب ما أحل الله تعالى وحرم، ويمكن أن نجمل العوامل التي أثرت في شخصيته بما يلي:

1. الطفولة الصعبة التي مر بها، وهذه الطفولة كانت تكفي لجعله متشرداً أو متسكعاً، يعيش عالة على الغير لكونه طفلا صغيرا، أو متسولاً لكونه أعمى ضريرًا، وكذلك لأنه فقد أمه صغيراً ولم ينعم بحنان الأب بسبب المعتقل والحرب، وهذا من أكبر أسباب التشرد، وخير دليل على هذا ما نراه في زماننا اليوم فكثير من حالات الضياع

---

1 ـ الدكتور: سعد حماد، إجابة تساؤلات طرحت حول منهجية الشيخ عيسى الفاخري، 7 ـ 2 ـ 2008/.

2 ـ قد عرف بعض أهل العلم، فقه الواقع بقوله:" علم يبحث في فقه الأحوال المعاصرة من العوامل المؤثرة في المجتمعات والقوى المهيمنة على الدول، والأفكار الموجهة لزعزعة العقيدة، والسبل المشروعة لحماية الأمة ورقيها في الحاضر والمستقبل". انظر: فقه الواقع، الدكتور ناصر العمر، ص10 .

والانغماس في الجريمة، مردها إلى فقد أحد الأبوين بموت أو انفصال، ومراكز الأحداث شاهد على ذلك، لكن الأمر اختلف بالنسبة للشيخ ـ رحمه الله ـ فقد كانت هذه المحن منحًا، وهذه الابتلاءات ممهدات، وهذا ليس من باب المبالغة، بل هو ما لمسناه فيه ـ رحمه الله ـ مما يشعرك بأن الرجل كان محاطاً بعناية الله تعالى ورعايته، كما هو الحال مع كثير من العلماء والمشائخ الذين حفظهم الله بالعلم، وكانت الابتلاءات لهم هي المدرسة التي أهلتهم إلى تلقي العلم وتحمل أعبائه وتبعاته والقيام به، ونتذكر في هذا المقام، قول الإمام مالك ـ رحمه الله ـ:(**لا يبلغ أحدٌ ما يريد من هذا العلم، حتى يضربه الفقر، ويؤثر على حاله)**[1] وهكذا كان غالبية أهل العلم الذين أنار الله بهم العقول، وهدى بهم القلوب، لم يكونوا طلاب دنيا، وكانت المحن تنقلب في حقهم منحاً، والمصائب تصبح دروساً وعبراً .

2. حياة المعتقل، فقد عرفنا أن الشيخ قد سجن في المعتقلات الإيطالية ـ وليبيا كلها كانت معتقلاً ـ ونفي والده ومات إخوته بسبب الاحتلال، كل هذا حدثَ والشيخ طفل لم يتجاوز الثالثة عشرة من العمر، وكان قد فقد بصره وهو في الخامسة، فكان من ذوي الاحتياجات الخاصة يحتاج إلى رعاية وعناية لم تتوفر له، فكان ذلك حافزاً له على أن يعتمد على نفسه، مما جعله يسلك سبيل العلم .
3. أمه التي عاش نزراً من حياته معها، فقد كان لها تأثير بالغ في تكوين شخصيته كما يذكر هو بنفسه ـ رحمه الله ـ حيث قال: إنه وفي يوم من الأيام وهو صغير في السادسة من العمر وبعد أن فقد بصره كان

---

1 ـ محمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره ، ص 92 .

مرةً عند أحد الجيران، فسمعهم يتحدثون في بعض شؤونهم ، وببراءة الأطفال ومن دون قصد نقل حديثهم لأمه، ثم لم يمض وقت طويل حتى زارتهم سيدة تلك الدار، فلم تجلس قليلاً مع أم الشيخ حتى قالت لها كما يخبر الشيخ، وأنا جالس أستمع ، وباللهجة العامية : (**هالوليد الأعيمي[1] ردوا بالكم عاد اتقولوا قدامه كلام مرة أخرى راهو نشوال[2] اللي يسمعها ايقولها**) وقد ذكر أنها تقصد إعطائي درساً بعدم الخوض فيما لا يعنيني، فأخذ منها عبرة، ولم يعد يتكلم بأي حديث يسمعه [3] .

4. حياة المهجر وجو الدراسة الذي عاشه، ولا ننسى ما كان يحظى به الأزهر من مكانة في نفوس المسلمين منذ القدم، فقد كان ولايزال منارة للعلم إلى يومنا هذا، وكان رواق المغاربة معلماً بارزاً من معالمه، له يفد الطلبة من أقطار المغرب العربي كافة، بدءاً من ليبيا وانتهاءً بالمغرب الأقصى، وقد كان في الأزهر تياراتٌ تتجاذب، وأفكار، ورُؤى يميل إليها بعض أساتذته وشيوخه، وقد عُرف الشيخ حتى وهو في أيام الدراسة بعدم الميل إلى تيارٍ معين، أو فكرة ما، باستثناء ما ارتآه جمهور العلماء، وما كان عليه الأئمة الأوائل، سواء في المسائل العقدية كما سيأتي، أو القضايا الفكرية، ومما عرف به ـ رحمه الله ـ أنه كان يقول رأيه ولا يجامل أحداً، حتى وإن كان صاحب الرأي شيخه،

---

1 ـ الأعيمي، تصغير لكلمة أعمى .

2 ـ كناية عن نقل الحديث، وهي بالعامية، ومأخوذة من(نشل) الشيء: أسرع النزع، انظر: ترتيب القاموس المحيط، الطاهر الزاوي، 1980م، ج4 ، ص376 .

3 ـ رواية شفوية، الشريف الشارف، 1/ 4/ 2008م .

أو أستاذه، ومما يذكر في هذا المجال، قصة إباحة سرقة مال الانجليز المعاهدين التي أفتى بها فضيلة الشيخ الغرباوي أستاذ الشريعة وأصول الدين في الأزهر، وهو أحد شيوخه، حيث كان يرى أن مال الانجليز من المعاهدين حلال أخذه وسرقته، ولا شيء في ذلك.

وقد أعجب بعض الطلبة بهذه الفتوى وصاروا يطبقونها عملياً فيغيرون على الانجليز يسرقون وينهبون، لكن الشيخ ـ رحمه الله ـ عارض هذا ، فقال الطلاب إن الشيخ الغرباوي أفتى بحله، فقال عيسى: لا هو حرام، فذهب بعض الطلبة إلى الأستاذ الغرباوي يشكون إليه من زميلهم عيسى ذاكرين أنه يعارض فتواه بحل مال الأجانب والخواجات كما يطيب للمصريين أن يصفوهم بهذا اللقب، فاستدعى العلامة الغرباوي الشيخ وقال له: يا ابني، ما هذا الذي بلغني عنك من معارضتك لفتوانا بحل مال الخواجات، فقال الشيخ بكل ترفق وأدب: مما تعلمناه منكم يا سيدنا، ألم تدرسونا في باب الفقه أنه إذا أمسك بك العدو ووقعت أسيراً عنده ثم استأمنك على ماله فإذا أتيحت لك فرصة للهرب فلك أن تهرب ولكن لا تأخذ المال، وذلك حفاظاً على سمعة الإسلام والمسلمين ، ثم إن المسلم إذا سرق مال الذمي فإنه يقام عليه الحد[1] قال فسكت الأستاذ الغرباوي

---

1 ـ جاء في الشرح الكبير، لعبدالله بن محمد بن قدامة المقدسي ج10، ص422، ما نصه: أما قطع المسلم بالسرقة من مال الذمي، وقطع الذمي بالسرقة من مال مسلم، فلا نعلم فيه خلافاً، وبه قال الشافعي وأصحاب الرأي، انظر: المغني ج10 ص505، يقول الدكتور غيث الفاخري: ومذهب أبي حنيفة ومحمد، عدم القطع، وهو قول للشافعي كذلك، غيث الفاخري، هو: الأستاذ الدكتور: غيث محمود إبراهيم الفاخري، من مواليد اجدابيا، سنة1950م، وهو من قرابة الشيخ، ومن =

قليلاً ثم قال: يا ابني، جزاك الله خيراً وما قلته هو الصواب ، وكان بعدها في كل مسألة وفي أثناء الدرس يقول العلامة الغرباوي، وباللهجة المصرية، وكنوع من المداعبة والملاطفة، : **(وايش رأيك يا شيخ عيسى)**[1] وهذا فيه عدة دروس نذكر منها ما يلي:

- أن الشيخ ـ رحمه الله ـ لم يسكت عن الحق بل قد بلَّغ وأدى أمانة العلم وما يعتقد أنه الصواب فهو لم يسكت على باطل .

- أنه قد وجه اللوم والخطاب إلى أقرانه من التلامذة، ولم يوجهه مباشرةً إلى أستاذه، إلا بعدما طلب منه وناقشه، وهذا غاية في الأدب .

- أدبه وترفقه بمعلمه، وحسن تقديم وجهة نظره، فقد يُنكَر الحق لا لنفسه، ولكن لسوء عرضه وتقديمه .

- أنه لم يجامل أستاذه ولم يُحرَج منه، لأن هذا مسلك الضعفاء، وصاحب الحق ليس بضعيف .

- رجوع أستاذه إلى الحق، والإذعان التام له، فإنما تقوم الحجة بقيامه، ويعرف الرجال به، وهذا دأب المخلصين من العلماء، وطلبة العلم .

= أخصٌ جلسائه، حفظ القرآن في سن مبكرة، وواصل دراسته الجامعية في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالبيضاء، تحصل على دبلوم الدراسات الإسلامية من جامعة الفاتح، كانت رسالته للماجستير في الفقه المقارن، كما تحصل على دبلوم في الشريعة من جامعة الأزهر، ورسالة الدكتوراه كانت كذلك في الفقه المقارن، كلية الحقوق، جامعة الأزهر، له برامج إذاعية مسموعة ومرئية، في إذاعة الجماهيرية، وإذاعة بنغازي المحلية، عضو اللجنة العلمية للاستشارات بالهيئة العامة للأوقاف، وعضو مجلس إدارة المعهد العالي للقضاء، أستاذ بقسم الشريعة، كلية القانون، جامعة قاريونس .

1 ـ رواية شفوية ، نصر السنوسي ، 24 ـ 9 ـ 2007م .

ثالثاً ـ الشيخ وقضايا النصح الاجتماعي :

مما عرف عنه ـ رحمه الله ـ أنه كان يسأل عن أحوال تلامذته ويسأل عن ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية، ويوجه النصح ويقدم الدعم وفق ما يتاح له سواء من ماله الخاص، أم مما يقدمه له أهل الخير من مال ليصرفه في أوجه البر، ويمكن أن نقول إن الشيخ ـ رحمه الله ـ كان يتربع على قمة هرم الإصلاح الاجتماعي في زمانه، وله في هذا الباب صولات وجولات، يقول عنه الشيخ محمد الشريف[1] وهو من تلامذته الأوائل في إجدابيا، حيث تتلمذ على يديه سنة 1965م، حيث قال: كان الشيخ للطلبة بمثابة الأب الحنون، وكنا نستشيره في أمورنا الخاصة والعامة، وبالذات كانت له ـ رحمه الله ـ آراء موفقة في الإرشاد إلى كيفية اختيار الزوجة الصالحة، وقد استشرته شخصياً عندما عزمت على الزواج، وكنت أسكن مع أهلي في بيت العائلة في بيت عربي متواضع، قال: فقال لي: يا بني، أنصحك أن تبني بيتاً مستقلاً، أو تشتريه من البداية مهما كان صغيراً، تلافياً للمشاكل[2].

وقد كانت هذه نصيحته ـ رحمه الله ـ لكل الشباب الذين أرادوا

---

1 ـ محمد حمد سليمان مصطفى الشريف، من مواليد الكفرة، سنة 1946م، قرأ على الشيخ العديد من الكتب، وأكثرها في الفقه المالكي، وأشهرها بلغة السالك، وأيضاً قرأ عليه تحفة الأطفال في علم التجويد، وكان ملازماً للشيخ منذ عام 1965م، وكثيراً ما كان يقوم على إيصاله للمسجد العتيق، ليلقي الدرس فيه بعد صلاة العصر، كما قرأ على الشيخ كتاب فقه الزكاة للقرضاوي، وفتاوى معاصرة له، وكتاب مالا يجوز الخلاف فيه بين المسلمين، للشيخ عبدالجليل عيسى ـ من علماء مصر، وغيرها من الكتب المفيدة .

2 ـ رواية شفوية ، محمد الشريف ، 24 ـ 9 ـ 2007م .

الزواج، كان ينصحهم بالاستقلالية في البيت، وهذا ليس من باب حثّهم على الابتعاد عن الأهل، بل على العكس تماماً، فقد كان الشيخ ـ رحمه الله ـ ملمّاً بما يحصل في البيوت من المشاكل العائلية، بسبب السكنى مع الأهل، والاختلاف في وجهات النظر، وتقلب الأمزجة، وتغير المفاهيم عند بعض الناس، فلم يعد الناس كما كانوا من قبل، في بساطة العيش، والرضا بالقليل، وكذلك تطور المعيشة، وتغير الأحوال، بتغير الأزمان .

فقد كان الشيخ ملمّاً بكل ذلك، مما كان يرد إليه من قضايا واستفسارات، لذلك كان يحث في هذا الزمان، وحفاظاً على الأسرة، ومنعاً للمشاحنات، والمنازعات بين أفرادها، بسبب مشاكل الزوج أو الزوجة، أو بسبب المشاكل مع أم الزوج، أو أخواته، فقد كانت نظرته ـ رحمه الله ـ متقدمة، ونصحه في هذا الشأن وجيهاً، قال الشيخ محمد الشريف: وفعلاً أخذت بوصية الشيخ، وكانت نعم الوصية والنصيحة، وغيري طلبة آخرون، كانوا يستشيرونه في الأمور الاجتماعية، وكان الشيخ يدلي بالمشورة، والرأي الحكيم في هذا الشأن، وبمناسبة الحديث عن الداعية الشيخ محمد الشريف، الذي يُعدُّ من التلامذة الأوائل للشيخ، قال لي الشيخ عيسى الفاخري شخصياً، وبعد إحدى الزيارات التي كان يقوم بها له محمد الشريف، ويختلي به ليسأله عن بعض الفتاوى والمسائل الخاصة: قال الشيخ: **(إن محمد الشريف لم يتعلم مني العلم فقط، بل تعلم مني الاجتماع أيضاً)**، فهمت أنه يقصد أن الشيخ محمد الشريف كان يستشيره في كثير من القضايا والمشاكل الاجتماعية التي ترد إليه من السائلين، والمترددين على مجلسه، والمستمعين لدروسه وخطبه .

ولما أردت الزواج وجئت إلى مرحلة الاختيار، واحترت في مواصفات

المرأة الصالحة، جئت إليه سائلاً وكان هذا سنة 1996م، وقلت له يا شيخ أشر عليَّ، في اختيار المرأة الصالحة، فقال لي وبالحرف الواحد: **(يابني لا تنظر إلى اللّصيف وإلى المظهر الخارجي، ولكن انظر إلى الجوهر، ثم عليك بالأم، عليك بالعمَّة، عليك بالخالة)** يقصد ـ رحمه الله ـ اسأل عن أمها، وعن عمتها، وعن خالتها، ففي الغالب لا تبعد عن التشبه بهؤلاء، ثم استوقفني تعبير الشيخ بـ**(اللّصيف)** والذي هو يعني اللمعان الخارجي، فالمهم هو الجوهر الداخلي، وفهمت أن الشيخ يريد أن يعطيني تنبيها وبصيغة قوية، وراسخة في الذهن، أن كثيراً من المظاهر ما يخدع، أو ليس كل ما يلمع ذهباً كما يقال .

من الأمور الاجتماعية السيئة، والعادات المؤسفة التي كانت سائدة وقد حاربها الشيخ ـ رحمه الله ـ **(نكاح الشغار)** الذي كانت تعرفه البادية، ونكاح الشغار أو نكاح البدل كما هو معروف أن يجعل فيه البضع بديلاً عن المهر وهو حرام بإجماع العلماء، قال ابن عبد البر: "أجمع العلماء على أن نكاح الشغار لا يجوز"[1]، وقد كان أهل البادية يجهلون هذا الحكم، بل بلغ من إمضائهم له وتشبثهم به أن المرأة يرتبط مصيرها بمصير شغيرتها، ونديمتها في المبادلة، فتطلق بطلاقها، وتمسك بإمساكها، وتعامل بقدر ما تعامل به الأخرى، فجاء الشيخ ـ رحمه الله ـ فبين الحكم، ونصَّ، وحثَّ على ما أوجبه الشرع في هذه المسألة .

ومن الأشياء التي كان عليها أهل البادية وهي من أفعال الجاهلية وقد عالجها الشيخ ـ رحمه الله ـ بحكمة متناهية، وهي أن بعضهم كان

---

1 ـ انظر نيل الأوطار للشوكاني، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2005م، ج3 ، ص387 .

يتأفف من ذكر المرأة في المجلس، فإذا قال لفظ المرأة فإنه يستحيي من جلسائه وأقرانه حتى إن بعضهم إذا ذكر المرأة أمامه يقول لك وباللهجة العامية: **(ولية[1] أكرمك الله)** وكأنه إنما يتكلم عن بهيمة فهذا اللفظ لا يقال في المجالس عادة إلا عندما تذكر البهائم وأخصُّ منها الحمير بالذكر قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:(وقد عُدَّ في مساوئ الآداب أن يجري ذِكرُ الحمار في مجلس قوم من أولي المروءة)[2].

فانظر كيف أحطُّوا من منزلتها ومكانتها، وهذا مخالف للشَّرع ومناف لما جاء في القرآن والسنة، فقد أعلَى الله عز وجل مكانتها، وقد حث على احترامها ومعرفة قيمتها حيث قال عز وجل: ﴿**لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ**﴾[3] قال ابن كثير: (أي كل له جزاء على عمله بحسبه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر)[4] وقال قتادة: كان أهل الجاهلية لا يورثون المرأة شيئاً، ولا الصبي شيئا، إنما يجعلون الميراث لمن يحترف وينفع ويدفع، فلما نجز للمرأة نصيبها وللصبي نصيبه، وجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، قال النساء: لو كان جعل أنصبائنا في الميراث كأنصباء الرجال! وقال الرجال: إنا لنرجو أن نفضل على النساء بحسناتنا في الآخرة، كما فضلنا عليهن في الميراث! فأنزل الله: "للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن"، يقول: المرأة تجزى بحسنتها عشر أمثالها، كما يجزى الرجل[5].

---

1 ـ يقصدون المرأة .

2 ـ تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ج14 ، ص297 .

3 ـ سورة النساء ، الآية 32 .

4 ـ تفسير ابن كثير، مكتبة النهضة الحديثة، القاهرة، 1965م ، ج1 ، ص517 .

5 ـ تفسير الطبري، ج2 ، ص350 .

كذلك من الأشياء التي كان عليها أهل البادية، أنهم إذا حصل بينهم وبين زوج البنت أي شيء وقاموا بطلاقها منه، ولأتفه الأسباب، كما يفعل بعض الجهلة، فإنهم يطلبون منها ترك أبنائها عند الزوج ويقولون لها باللهجة العامية: **(اعزقي[1] له اعياله)**، مبالغةً في القطيعة، متناسين أنها أمهم، فتصبح هذه المرأة في صراع بين طاعتها لأهلها وتركها أبناءها فلذات كبدها، فتضطر إلى التفريط في أبنائها مكرهة، أو عصيانها أمر أهلها ومحافظتها على بيتها وأولادها، ولن تسلم من العيب والشتم، أو حتى الاعتداء بالضرب وقطيعة الرحم، إن هي عصت أمرهم، ومن هذا نقول: لقد كان له دور بارز في التذكير بحقوق المرأة، وأن النساء شقائق الرجال، لهنَّ مالهم وعليهن ما عليهم .

كما أن من العادات السيئة التي وقف لها الشيخ بالمرصاد، وكثيراً ما كان يعرِّض بمرتكبيها، عدم توريث المرأة، ومما كان يقوله الشيخ في هذا الصدد تهكماً على من يظلمون المرأة، بل ويجبرونها على تضييع حقها بنفسها، وبالذات الأخت، فقد كان يقول: (من العجب أنه عندما يقوم أهل البادية بتقسيم الإرث، فإنهم يذهبون لكل أخت على حده،

---

1 ـ المقصود الترك، وهي عامية بمعنى الرمي، للمبالغة في النفرة والترك، أما أهل اللغة فيقولون فيها كما قال صاحب لسان العرب: (عزق) العزق علاج في عسر، ورجل عزق ومتعزق وعزوق، فيه شدة وبخل وعسر في خلقه من ذلك، والعزق السيئو الأخلاق، واحدهم عزق، ويقال: هو عزق نزق زعق زنق، وعزق الأرض يعزقها عزقا شقها وكربها، ولا يقال ذلك في غير الأرض والمعزقة والمعزق المر من حديد ونحوه مما يحفر به، وجمعه المعازق قال ذو الرمة:

نثير بها نفع الكلاب وأنتم تثيرون قيعان القرى بالمعازق

انظر: لسان العرب، باب عزق، ج10، ص250 .

ويقولون لها وباللهجة العامية: **نحنا نبوا نعطوا اختك فلانه ميراثها لكن اطلعت خيره وعفيفة وأنت وايش رايك تبي الميراث وإلا امسامحه؟؟؟** !!! إذا سامحت فهي أختهم بحق، أما إذا طالبت بحقها ـ يعرِّضون بها بين إخوتها وأخواتها، حتى يضيعوا عليها حقها وهي محتاجة)، مع ثنائه ـ رحمه الله ـ علانية على بعض بيوت القبائل التي تورث النساء وتعرف لهن حقهن، وكان يستشهد بقول الله تعالى : ﴿ **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً** ﴾[1] وحذر أولئك المخالفين، حتى إنه كان أحياناً يدعو من يعرفه منهم ويذكره بالله، ويعرفه حق المرأة في الميراث، وأن هذا حق افترضه الله تعالى لا مجال لتركه، ولا يمنعه إلا جاحد، وبلغ من اهتمام الشيخ بهذا الأمر أنه كان يذكره في الدروس ويناقشه في الندوات مع غيره من العلماء ، ومن بين الذين ناقشهم في هذا الأمر، فضيلة العلامة عبد الحميد الديباني ـ رحمه الله ـ قاضي بنغازي في ذلك الوقت، وكان هذا اللقاء سنة 1964م، واتفقوا على ضرورة محاربة هذه الظاهرة السيئة والمخالفة للشارع الحكيم، سوى ما كان من قول الشيخ الديباني: أن هذا الأمر يصعب إمضاؤه عند أهل البادية في ميراث الأرض، فرأى أن تقدر الأرض بثمنها ويعطى للمرأة، وذلك خوفاً من المشاكل، فاستحسن الشيخ هذا القول لما فيه من الحفاظ على الحقوق، ودرء المشاكل والمشاحنات[2].

ولا يفوتنا في هذه المناسبة، ذكر حنوه على الآخرين، وتعاطفه العفوي مع أنَّاتهم، وشكاياتهم، حتى قبل عرضها عليها بشكل مباشر،

---

1 ـ سورة النساء ، الآية 7 .

2 ـ رواية شفوية، نصر السنوسي، 24 ـ 9 ـ 2008 م .

فقد كان صاحب قلب رحيم، ومن الشواهد على ذلك، معرفته حال ذالك الشادي الذي كان يحدو في بيت الشعر الذي أعد استراحة لجز صوف الخراف، وقد عرف الشيخ بخبرته بأمثال البدو وغناواتهم، وتقاذيرهم، أن هذا الرجل بينه وبين زوجه مشكله، فسأل عنه فقيل له إنَّ صاحب الغناوة بينه وبين امرأته خصومة، وهي كما يقول بالعامية: **"حرجانه"** زعلانة عند أهلها منذ ستة أشهر، فعز ذلك على الشيخ، وذهب من توه إلى والد الزوجة، فاستقبله أحسن استقبال، وأقْسَم على الشيخ أن يتناول العشاء معه، فاشترط الشيخ رجوع ابنته إلى زوجها، فوافق الرجل، فاشترط الشيخ شرطاً آخرَ، وهو أن يدعو زوج ابنته لحضور العشاء معهم، فوافق والد الزوجة، وحضر الزوج العشاء مع صهره، وكانت مناسبة طيبة لتطييب الخواطر بحضور الشيخ، ليقوم الشيخ بتقديم النصيحة لكل من الزوجين بحسن العشرة، وحث الزوجة على احترام زوجها وتوقيره، ثم رجعت المرأة مع زوجها، بتوفيق الله، ثم بفضل هذه الحكمة الجبلِّية التي كان يتميز بها عيسى الفاخري ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ آمين [1].

سؤاله عن الطلاب وتتبعه أحوالهم :

المعروف عن الشيخ أنه إذا غاب عنه أحد تلامذته فإنه يرسل إليه من يسأل عن حاله ويتفقد أخباره، وقد تأتي إليك رسالة مستعجلة مع أحد التلامذة مفادها، **(الشيخ يطلبك)**، هذا إذا كنت من التلامذة المعروفين عند الشيخ، فالشيخ مع كبر سنه وتقدمه في العمر، إلا أنه كان يقيِّم التلامذة، فلكلٍّ تقييمه الخاص.

---

1 ـ الدكتور سعد حماد، إجابة تساؤلات حول منهجية الشيخ، 7 ـ 2 ـ 2008م .

ويتضح هذا من بعض المبادرات التي يقوم بها الشيخ بشكل خاص، إذا افتقد الشيخ أحد طلبته، وأحس بتقصير ما؟ وبخاصة من التلامذة المجتهدين الذين عرفوا بمتابعة الدُّروس، والاجتهاد في الأسئلة، فإنه يرسل إليهم بهذه البرقية العاجلة، وعندما تصلك هذه الرسالة يعتريك القلق، والتفكير، وتتساءل: يا ترى لم أرسل إليَّ الشيخ ؟! حتى إن بعض التلامذة حدثني أنه عندما تأتيه رسالة الشيخ، وقبل أن يذهب إليه ويسمع منه، يقول أبيت في حال جلوس مع النفس، وتقييم للذات ومراجعة للحسابات، ولعل الرسالة إنما هي للتنبيه فقط! أو لأن الشيخ يفتقدك، ويريد أن يراك، المهم أنه ـ رحمه الله ـ كان بمثابة الأب العطوف، والمربي المشفق على تلامذته وجلسائه ومحبيه، فما إن تحضر إلى الشيخ، حتى يتبدّد عنك ذلك القلق، وفي كثيرٍ من الأحيان يرحب بك بحفاوة، ولا يسألك لماذا غبت، ولا يثرب عليك، فقد كان ـ رحمه الله ـ لا يحب المعاتبة أبداً[1].

ذكر أَمَامه الشيخ محمد أبو رواش المصري، وكان من الأساتذة المصريين الأوائل الذين لزموا الشيخ في أوائل السبعينيات من القرن الماضي واستفادوا منه[2]، ذكر الشيخ أبورواش إحدى الطالبات عنده بذكائها وفطنتها وحفظها للقرآن الكريم، فعرفها الشيخ وعرف أباها، وقال الشيخ لأبي رواش أنها من عائلة فقيرة، وإن أباها في ضيق من العيش، قال أبو رواش فأردت أن أسدي لها معروفاً فأخذت من بعض الزكاة التي

---

1 ـ رواية شفوية، محمد الشريف ، 21 ـ 5 ـ 2008م.

2 ـ وقد كان الشيخ أبو رواش أستاذ القرآن الأول في إجدابيا، وهو الآن يعمل مدرساً للقرآن في المسجد النبوي الشريف، وأيضاً مصححاً للمصحف الشريف في مجمع الملك فهد لطباعة المصاحف بالمدينة المنورة .

كانت تأتيني من المحسنين لأنفقها في أوجه الخير لأعطيه لها، فأبت ورفضت بشدة، وصارت تبكي، فقصصت ذلك على الشيخ، فقال لي الشيخ: إنك لا تعرف نفسية الفقراء عندنا، لأن الأغنياء من البادية سامحهم الله عندما يخرجون الزكاة فإنهم يتحدثون، وكما يقول بعضهم باللهجة العامية: (**والله جانا فلان وأعطيناه ما قسمه الله، أعطيناه من حق الله**) وغير ذلك من هذا الكلام الذي هو من قبيل المن والأذية اللذين حذر الحق تبارك وتعالى منهما في قوله:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِر**﴾[1] ولكن اترك لي المال فسأقدمه لهم بطريقتي الخاصة، قال الشيخ فدعوت والد البنت وذكرته بالله وكيف أنه سبحانه وتعالى افترض هذه الزكاة وأنها حق مفروض وأنه ليس للغني إلا إيصالها إلى من يستحقها ، قال فاقتنع الرجل ، وقبل أخذ المال[2] وعلى هذا يمكن أن يقال إن الشيخ قد أقنع كثيراً من الفقراء بقبول الزكاة، وعدم التحرج من أخذها، مع حث الأغنياء على عدم التحدث بعد إعطائها، وأن هذا من الأذية التي نهى الله تبارك وتعالى عنها في كتابه العزيز، وقد أثر عن الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ قوله:

لا تحملن لمن يمنُّ من الأنَام عليك منهْ
واعرف لنفسك حظَّها واصبر فإن الصَّبر جُنهْ
منن الرجال على القلوب أشدُّ من وقع الأسنَّهْ[3]

---

1 ـ سورة البقرة ، الآية 264.

2 ـ رواية شفوية ، الشريف الشارف، 21 ـ 5 ـ 2008م.

3 ـ ديوان الإمام الشافعي ،باب من أمراض النفس، مرارة الجميل، ص11 .

المبحث الثاني . منهج الشيخ وطريقته في التدريس والفتوى :

أولاً . منهجه في العقيدة :

لكي نستعرض منهج الشيخ . رحمه الله . في العقيدة لابد أن نذكر بعض المفاهيم في هذا الباب وهي مفاهيم ومصطلحات لا غنى عنها ، حتى يتسنى لنا التعرف على منهجه بشكل صحيح ، وسأوضحها على النحو الآتي :

• **المنهج: لغة:** الطريق الواضح [1] ومنه قوله تعالى: **(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً)**[2] وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد الشريعة: ابتداء الطريق، والمنهاج الطريق المستمر.[3] وعرف القرطبي المنهاج بالطريق المستمر وهو النهج والمنهج أي البين قال الزاجر:

من يك ذا شك فهذا فلج ماء رواء وطريق نهج[4]

•**العقيدة: لغةً:** مشتقة من العقد ، وهو الربط المحكم، يقال: عقد العهد واليمين . أكَّدَهما[5] قال تعالى:﴿**والذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾[6] ويعقد عقدًا ، إذا باشر الربط بنفسه وجاءت مادة عقد في لسان العرب، وأفادت حالات وهيآت متنوعة ، وكلها تدور حول معنى" الربط، والإلصاق، والإلحاق" .

---

1 . ترتيب القاموس المحيط، الطاهر الزاوي، ج4 ص448 .

2 . سورة المائدة ، الآية 48 .

3 . تفسير فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ج2 ، ص200 .

4 . تفسير القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي فرج الأنصاري، ج6 ، ص200 .

5 . لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، دار صادر بيروت، 2000م، ج10 ص221 .

6 . سورة النساء الآية 33 .

ومنه قول أبو خراش الهذلي :

كم من عقيدٍ وجارٍ حلَّ عندهم

ومن مجارٍ بعهد الله قد قتلوا[1]

واصطلاحاً: يدور معناها حول الإيمان بالغيبيات، والتسليم بالأخبار الصادقة من دون المشاهدة والحس، ولقد كان الإمام مالك يطلق عليها مسمَّى الدين لعظم مكانتها، وما تمثله من قدرٍ في الإسلام، فقد صح عنه ـ رحمه الله ـ قوله: **(الكلام في الدين أكرهه ولم يزل أهل بلدنا يكرهون القدر ورأي جهمٍ وكل ما أشبه ذلك)**[2] .

إذاً فهذا المصطلح استعمل للدلالة على القضايا التي يسلم بها المؤمن، كوحدانية الله تعالى، وتفرده بالخلق، ووصفه بما يليق به من صفات الكمال والجمال سبحانه، وعلى هذا يعرفها بعض العلماء بأنها: أصل الإيمان، ومعنى الشهادتين ومقتضاهما[3].

ويطلق لفظ العقيدة ويراد به الإيمان الذي محله القلب، والمنهج يطلق على الطريقة، ولفظ المنهج عند إطلاقه أعم من العقيدة وأشمل، فهو يكون في العقيدة وفي غيرها، فيكون في العقيدة، وفي السلوك، والأخلاق، والمعاملات، وفي كل حياة المسلم .

أما إذا أضيف إلى كلمة العقيدة، مثل قولنا **(المنهج العقدي)** فإنه

---

1 ـ لسان العرب ، ج10 ، ص221. وانظر: فاتح محمد زقلام، العقيدة للسنة الثانية بمعاهد العلوم الشرعية، طرابلس، ليبيا، 2000م ، ص17 .

2 ـ الانتقاء لابن عبد البر ، ص69 .

3 ـ صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء، في السعودية، في إجابته عن أسئلة في العقيدة والمنهج ، أخذت عن موقع .

http://www.salafyoun.com/showthread.php?t=17

إنما يراد به المسلك العقدي، والطريقة التي يدين الله تعالى بها في أخص أمور الدين، وهو ذات الله تعالى، وإفراده بالعبادة، وتوحيده في أسمائه وصفاته، وما يجب له عز وجل من أسماء الجمال والكمال، كما قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾[1].

والأمر الذي يتفق عليه الجميع ولا يختلف عليه اثنان ممن عاصروا الشيخ وخبروه، سواءً كانوا من تلامذته المقربين، أم ممن كانوا يترددون عليه لغرض المعرفة والسؤال عن بعض مسائل الدين التي تعرض من قبل بعض العامة، أو كانوا يأتون إليه طالبين رأيه في بعض المسائل التي تستجد على الساحة، فقد عرف عنه - رحمه الله - أنه كان على عقيدة السلف الصالح، وكل حياته التي قضاها في مجال الدعوة تشهد بذلك، سواءٌ في ذلك تمسكه بصفاء المعتقد وحثّه على تطهير القلوب من كل ما يشوب العقيدة ، كالثقة في غير الله أو اعتقاد أن هناك من يجلب نفعاً أو يدفع ضراً غير الله تعالى، أو محاربته للبدعة والخرافة، وقد اشتهر بذلك - رحمه الله - قال الشيخ محمد الشريف:**(كان لأستاذنا وشيخنا عيسى الفاخري دور كبير يذكر ويشكر في نشر التوحيد وتخليص الناس من البدع والخرافات والعقائد الفاسدة)**، ويقول الحاج نصر السنوسي[2]: أثر

---

1 - سورة الأعراف ، الآية 180 .

2 - هو نصر السنوسي إبراهيم، من مواليد سنة 1956م، تعرف على الشيخ، سنة 1983م، وكانت صحبته له من ذلك التاريخ إلى وفاة الشيخ، وقد درس عليه علم الفرائض، والتفسير والسيرة، وخاصة تفسير آيات الأحكام، وكان الشيخ يخصه بما لا يخص به غيره، وقد قرأ عليه بعض المؤلفات لعلماء معاصرين، مثل الفتاوى للقرضاوي، ورسائل للشيخ العثيمين - رحمه الله - وغيرهم .

عن الشيخ أنه كان يركز على التوحيد في خطبه ودروسه التي كانت تقوم على ـ التوحيد الخالص لله تعالى ـ المستمد من النصوص الشرعية، وذلك أنه لما قدم مدينة إجدابيا، وجد عامة الناس في جهالة، وخاصة في مسائل العقيدة وقضايا التوحيد[1].

مظاهر الجهل بالعقيدة:

من مظاهر الجهل بالعقدية، وهي تعتبر مفاهيم فاسدة، ومن مظاهر الجهل بالعقيدة الصحيحة، كانت سائدة في المجتمع البدوي للأسف، وهي تصرفات يقوم بها العامة دون أن يعرفوا أنها تضر بالعقيدة، وتناقض التوحيد ما يلي:

1. الالتجاء إلى الأموات من الأولياء والصالحين، لدفع الكربات وجلب المنافع والبركات، والاعتقاد بأنهم ينفعون ويضرون .
2. التقرب إلى الأموات بذبح الأضاحي، وتقديم القرابين والهدايا .
3. زيارة أضرحة الأولياء والصالحين، بقصد إظهار محبتهم، حيث كانوا يأكلون الحصى والتراب بجنبات القبور، ويتمسحون بقبورهم بنية التبرك، وربما أخذ بعضهم من القماش المنصوب على القبر، وربط به يده ليجعلها كحرز يقيه من الأمراض والبلايا، حسب اعتقاده .

ومما يذكره في هذا الجانب كذلك، أن أحد تلامذته كان يدعى المبروك، كان يتردد على الشيخ ويحرص على الجلوس إليه، ولكنه كان يبيع الأحجبة فمازال به الشيخ يحاوره ويقنعه بأن هذا الفعل حرام، وأنه

---

1 ـ رواية شفوية ، نصر السنوسي، 24 ـ 9 ـ 2007م .

مناف للشريعة حتى أقلع عن ذلك، وصار من المحبين والمقربين للشيخ[1].

اجتهادات الشيخ لتصحيح العقيدة عند العوام:

لقد اجتهد الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ في النُّصح والإرشاد إلى التوحيد الخالص، وحثٍّ على نبذ البدع والعقائد الفاسدة، مما جعل بعض المتشدِّدين من أتباع الطرق الصوفية يتهمونه بالوهابية، وذلك لأنهم لم يعرفوا المنهج الذي كان عليه الشيخ من الوسطية والاعتدال، أما إذا تعلق الأمر بمسائل الاعتقاد وأصول الدين وثوابته، فكان لا يهاود ولا تأخذه في الله لومة لائم، مع الأخذ بالرفق وموادعة الناس بالحسنى كما سيأتي بيانه إن شاء الله في الحديث عن التوحيد، ونستطيع أن نقسم منهجه في الدعوة للعقيدة الصافية، وتنقيتها من الشوائب، إلى ما يأتي:

• **الدعوة بالحسنى واللين والرفق، والبشارة والتحبب قبل التحذير والإنذار:** وهذا هو الأصل في الواقع، فالدين يقوم على البشارة والإحسان والمسامحة واللين، وقد ذكر معنى البشارة في كتاب الله خمس عشرة مرة، تقدم في معظمها البشارة على الإنذار، وهذا من عظيم رحمة الله تعالى وبالأخص في المواضع التي كان السياق فيها يتحدث عن الرسالة وإرسال المرسلين، وإبلاغ النبيين، كما في قوله تعالى:﴿**أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[2]، وكذلك في مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خلاَ فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾[3]، إلى غير ذلك من المواضع التي قدِّمت فيها البشارة

---

1 ـ رواية شفوية، محمد الشريف ، 24ـ 9 ـ 2007م .

2 ـ سورة المائدة، الآية 19.

3 ـ سورة فاطر، الآية 24 .

على الإنذار .

أما الموضعين اللذين قدم فيهما الإنذار، وهما في سورتي - **الأعراف، وهود** - وهما قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾[1]، وقول الحق جل وعلا: ﴿**أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ**﴾[2]، فقد كان الحديث فيهما عن المسائل العقدية، وكأن المعنى الذي تضمنته الآية يوضح أن منهج الرسل قائمٌ في الأصل على الدعوة بالتبشير، قبل التحذير، وبالبيان قبل الإنذار، فإذا كان الأمر يتعلق بمسائل العقيدة، وانتقل الخطاب من كونه حديثا عن الرسالة والرسول وواجبه بشكل عام إلى ما هو أدق، فالحكم هنا يختلف، فلابد من التبيين للمخاطب والتعيين بعاقبة عمله وسوء فعله ، بإنذاره قبل إعذاره، وتحذيره قبل تبشيره، والله أعلم.

وقد كان هذا منهج الشيخ عيسى الفاخري - رحمه الله - في الدعوة إلى التوحيد الخالص لله تعالى، فهو ينكر المنكر، ولكن هذا الإنكار يكون بأسلوب راقٍ، وبحكمة الداعية المنصف، الذي يقول قال الله قال الرسول، وكثيراً ما كان يردد قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو في صحيح البخاري وفيه:(**إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**)[3]

---

1 - سورة الأعراف ، الآية 188 .

2 - سورة هود ، الآية 2 .

3 - صحيح البخاري، ولفظ الحديث، عن أبي هريرة قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (دعوه وهريقوا على بوله سجلا من ماء، أو ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين) صحيح البخاري، باب صب الماء على البول في المسجد، حديث رقم/213 .

والشيخ كان له أسلوبه الخاص في تصحيح العقيدة لاسيما عند العوام، حيث كان منهم المتعصبون لهذه الخرافات، حتى إنه من الصعب أن تنكر في وسط هذا الجو المليء بالبدع، وليس من السهل على أي داعية أن يعرض أو يقدم أو ينكر ما كان يفعله بعض الجهلة من الذبح عند القبور والاستغاثة بأهلها، بل كان بعضهم يأكل الحصى والتراب الموجود على قبور بعض الأضرحة، ظنّاً منه أن ذلك مما ترفع به الدرجات ومما يقرب إلى الله تعالى، فمن الصَّعب على أي داعيةٍ أن ينكر هذه الخرافات والبدع، ما لم يتحل بالحكمة، والصبر، والفطنة، والخبرة .

ومما نذكره في هذا الباب أن أحد متشدِّدي الصوفية، نقل له بعض الوشاة والجهلة، أن الشيخ يتقول في الأولياء، وينكر على الصوفية، فأخذ سكيناً وقال: والله أذهب إليه وأسمع منه، إذا سمعته ينكر على الصالحين؟ قتلته بهذا السكين، فجاء إلى الشيخ وهو في درس عن توحيد الله تعالى، والحث على إفراد العبودية له وحده، وذكر أسمائه وصفاته، فما إن جلس ذلك الرجل في الدرس، وسمع ما يقوله الشيخ، حتى هدأت نفسه، ولم يقم حتى فرغ الشيخ من درسه، وعندها قال الرجل وباللهجة العامية: (**والله ما أحسن كلامه، فلم أسمع منه إلا ـ قال الله قال الرسول ـ والله هالشيخ رجل صالح وبركة**)، وصار ذلك الرجل من تلامذة الشيخ، ومن جلسائه، ومحبيه[1] .

لأن الشيخ كان يترفق في الدعوة، وفي درسه كان لا يجرِّح، ولا يعنف، بل كان يبين الحق ويعرضه عرضاً، وهذه هي الحكمة النبوية في الدعوة إلى التوحيد، حيث قال الله عز وجل لنبيه: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ**

1 ـ نصر السنوسي، رواية شفوية، 2007/9/24 .

لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[1].

وهذا هو الهدي الرباني في الدعوة باللين، والرفق، وفي الحديث عن عائشة، زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:**(إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه)**[2] فلو كان يقول لهم ما يقوله بعض المنتسبين إلى الدعوة اليوم، لما تقبل منه الناس ولأعرضوا عنه، وقد ينكرون الحق لا لذاته ولكن لسوء تقديمه وعرضه، جاء في الشفا (كان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يداري الكفار والمنافقين، ويجمل صحبتهم، ويغضي عنهم، ويحتمل من أذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه، وكان يرفقهم بالعطاء والإحسان، وبذلك أمره الله تعالى، فقال:﴿**وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾[3] و قال تعالى:﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ**

---

1 ـ سورة آل عمران ، ص159 .

2 ـ صحيح مسلم، وفي سنن أبي داوود وابن ماجة وغيرهم، ولفظ أبي داوود، عن المقدام بن شريح، عن أبيه قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن البداوة، فقالت:كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدو إلى هذه التلاع، (التلاع بمعنى التلال وهو المرتفع من الأرض) وإنه أراد البداوة مرة فأرسل إلي ناقة محرمة من إبل الصدقة فقال لي: يا عائشة إرفقي، فإن الرفق لم يكن في شيء قط إلا زانه، ولا نزع من شيء قط إلا شانه)، سنن أبي داوود، باب ما جاء في الهجرة وسكنى البدو، حديث رقم 2119 ..

3 ـ سورة المائدة ، الآية 13 .

حَمِيمٌ﴾ [1].[2].

• موقف الشيخ من زيارة القبور والبناء عليها:

نذكر في هذا الشأن أن الشيخ ـ رحمه الله ـ كان يحارب بدعة البناء على القبور وزيارتها بغية التبرك بأهلها وساكنيها، وتحذيره من هذه البدعة، ولكن كل هذا التحذير وهذه المدافعة للأباطيل والخرافات، كان له عدة صور فأحياناً يقدمه في قالب من الفكاهة، وعرض على سبيل المداعبة والطرافة، حتى يعلم جلساؤه أن هذه الخرافات والبدع ليست من الدين في شيء، وأحياناً يكون بالتعريض بمثل هذه التصرفات التي لا تمت للدين بصلة، وكان يرى أن هذا من بقايا الجاهلية .

ولعل البناء على الأضرحة وإقامة النصب عليها من آثار الدولة الفاطمية، وأول من قال به من العلماء هو: الإمام يحيى بن حمزة **(الزيدي)**، كما ذكر الإمام الشوكاني، حيث قال: "اعلم أنه قد اتفق الناس سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم من لدن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة رضي الله عنهم، إلى هذا الوقت، أن الرفع على القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاعلها، ولم يخالف في ذلك أحدٌ من المسلمين أجمعين، لكنه وقع للإمام يحيى بن حمزة مقالةٌ تدل على أنه يرى أنه لا بأس بالقباب والمشاهد على قبور الفضلاء، ولم يقل بذلك غيره، ولا روي عن أحد

---

1 ـ سورة فصلت ، الآية 34 .

2 ـ القاضي عياض اليحصبي، الشفا، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا، القاهرة، 2002م، ج2، ص175.

سواه"[1]، وقد كانت عامة الناس، في فقر مدقع[2]، وغالبية الناس بيوتهم من الشعر والوبر، فكيف يهتمون لبناء دور على قبور الموتى، لكن عندما يقل العلم ويكثر الجهل، فقر وجهل يساوي أرضا خصبة للخرافة والبدعة، لذلك كان ـ رحمه الله ـ سداً منيعاً في وجه هذه الخزعبلات، وعلى رأسها البناء على القبور واعتقاد أنها تضر وتنفع، ولأن ذلك مما يؤثر على عقيدة البسطاء والعامة من الناس، ومما تعم به البلوى، إذا رأوا ما على القبور من البناء، والتجصيص، والأقمشة المطرزة والمبهرجة، فإنَّ البسطاء قد يعتقدون أن صاحب هذا القبر له من البركة والقدرة، ما يشفي المرضى، أو يغيث اللَّهفى، إلى غير ذلك مما أجمع علماء السنة والأئمة الأوائل على تحريمه .

ووردت في تحريم البناء على القبور، وتزيينها وزخرفتها، أحاديث وآثارٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة والأئمة الأعلام، نذكر منها ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أَبِي الْهَيَّاجِ الأَسَدِيِّ قَال: قَال لِي عليُّ بن أَبِي طَالب: **أَلا أَبْعثك على ما بَعثَنِي عليه رسول الله صلَّى الله عليه وسلم أَنْ لا تدعَ تِمثالاً إِلاَّ طَمستهُ وَلا قَبرًا مُشرِفاً إِلا سوَّيته**[3] .

حديث عائشة رضي الله عنها، وهو في الصحيحين وغيرهما، أنَّ أمَّ

---

1 ـ العلامة محمد بن علي الشوكاني، مجموعة رسائل (شرح الصدور بتحريم رفع القبور، رفع الريبة عما يجوز وما لا يجوز من الغيبة، الدواء العاجل لدفع العدو الصائل) الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة السادسة، 1411هـ، ص8 .

2 ـ أي ملصق بالدقعاء ـ وهو التراب ـ كناية عن شدة الفقر، انظر: مختار الصحاح، باب (دقع)، ص208 .

3 ـ صحيح مسلم، باب الأمر بتسوية القبر، حديث رقم/1609 .

سلمة رضي الله عنها، ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، كنيسة بأرض الحبشة، وذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:(**أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح أو الرجل الصالح بنو على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله)**[1]

والمعروف أن المذهب السائد في ليبيا والمغرب العربي بشكل عام هو المذهب المالكي، والشيخ ـ رحمه الله ـ كان مالكي المذهب، على الرغم من أنه لم يعرف بالتعصب لمذهب معين، ويلصق بعض الجهلة بالمذهب المالكي ما ليس منه، جهلاً بحقيقة ما عليه المالكية الأوائل من التوحيد الخالص، ونبذ الابتداع في الدين، وفي باب زيارة القبور للتبرك بأصحابها ودعائهم والاستغاثة بهم نقل الإمام الطبري عن أصحاب الإمام مالك، أن مالكاً ـ رحمه الله ـ كره أن يقول: زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وعلل ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: **(اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد.. الحديث)**، وكره إضافة هذا اللفظ إلى القبر، لئلا يقع التشبُّه بفعل أولئك، سداً للذريعة[2].

---

1 ـ الحديث في الصحيحين وغيرهما، ولفظ البخاري(عن عائشة أم المؤمنين، أن أم حبيبة، وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، فذكرتا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله)، صحيح البخاري، حديث رقم/409، وذكره ابن جرير في تفسيره عند قوله تعالى(أفرأيتم اللات والعزى) قال: كان يليت السويق، فمات فعكفوا على قبره .

2. فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد، عبد الرحمان بن حسن آل الشيخ، ص 178 .

قال ابن القاسم: وكان مالك يكره أن يقول الرجل طواف الزيارة، قال وقال مالك: وناس يقولون زرنا قبر النبي عليه السلام ، قال : فكان مالك يكره هذا ويعظمه أن يقال إن النبي يزار[1].

وقال القاضي عياض: وكره مالك أن يقال: زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وقد اختلف في معنى ذلك فقيل: كراهته الاسم الوارد من قوله عليه الصلاة والسلام: **(لعن الله زوَّارات القبور)**[2]، والمعنى أنَّ مالكاً ـ رحمه الله ـ كره ذلك لخشيتة أن يقع في التسمية بزيارة القبر، ولعل الامام مالكاً يستحب في ذلك أن يقال سلمت على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بدلاً من زرت .

ويؤكد هذا ما قاله ابن عمران ـ رحمه الله تعالى ـ إنما كره مالك أن يقال: **(طواف الزيارة)** و**(زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم)**، لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض، فكره مالك تسوية النَّبي صلى الله عليه وسلم مع الناس، بهذا اللفظ، وأحبَّ أن يُخصَّ بأن يقال: سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم [3]، قال شيخ الإسلام: **والإمام مالك ـ رحمه الله ـ قد أدرك التابعين، وهم أعلم الناس بهذه المسألة، فدلَّ ذلك على أنه لم يكن معروفاً عندهم ألفاظ زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم**، ـ إلى أن قال ـ :

---

1 ـ المدونة الكبرى، رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم، ضبط وتخريج: محمد تامر، كلية دار العلوم، قسم الشريعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2004 م، ج 1، ص 425 .

2 ـ والحديث عند ابن ماجة وغيره، وفي مسند الإمام أحمد، حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، زوارات القبور)حديث رقم/8098.

3 ـ الشفا، للقاضي عياض، ج2، ص63 .

وقد ذكروا أسباب كراهته لأن يقول: زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم، لأن هذا اللفظ قد صار كثيرٌ من الناس يستحلون به الزيارة البدعية، والتي قد يصاحبها ما ينافي العقيدة، مثل قصد الميت لسؤاله، والاستغاثة به، والتوجه إليه في الملمات والحوائج ونحو ذلك، مما يفعله كثير من الناس، وهذا ليس بمشروع باتفاق الأئمة، وكره مالك أن يتكلم بلفظ مجمل يدل على معنى فاسد، بخلاف الصلاة والسلام عليه، فإن ذلك مما أمر الله به .

أما لفظ الزيارة في عموم القبور فلا يفهم منه مثل هذا المعنى، وهذا ما يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم : فزوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة، مع زيارته لقبر أُمَّه عليه الصلاة والسلام، فإن هذا يتناول قبور الكفار أيضاً، فلا يفهم من ذلك زيارة الميت لدعائه وسؤاله والاستغاثة به، ونحو ذلك مما يفعله أهل الشرك والبدع، بخلاف ما إذا كان المزور معظماً في الدين كالأنبياء والصالحين، فإنه كثيراً ما يعني بزيارة قبورهم هذه الزيارة البدعية الشركية، فلهذا كره مالك ذلك في مثل هذا، وإن لم يكره ذلك في موضع آخر ليس فيه هذه المفسدة[1].

وقال القاضي عياض في الشفا ما نصه: "والأولى عندي أن منع وكراهة مالك له لإضافته إلى قبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنه لو قال: زرنا النَّبي لم يكرهه، لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **(اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد[2]**

---

1 ـ فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد، عبد الرحمان بن حسن آل الشيخ، ص 179 .

2 ـ الحديث في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومصنف عبد الرزاق عن زيد بن أسلم رضي الله عنه ولفظ أحمد: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) انظر: مسند الإمام أحمد ، ج 5 ، ص222 .

فحمى ـ أي الإمام مالك ـ إضافة هذا اللفظ إلى القبر، والتشبه بفعل أولئك قطعاً للذريعة، وحسماً للباب، والله أعلم ، أ.هـ[1].

وقد كان الشيخ ـ رحمه الله ـ في مجتمع بدوي تغلب عليه الأمية، لذلك كان يخاطبهم على قدر عقولهم وعلى نحو ما يفهمونه، وفي هذه المسألة بالذات جاءه أحد السائلين ممن توفي والده وكان ذا شأن وشرف، وأراد البناء على قبره، فقدم إلى إجدابية قاصداً المجلس البلدي في ذلك الوقت، وكان هذا المجلس مكونا من أعيان القبائل، وأهل الرأي فيهم، يُعنَى بالشؤون المحلية، ويقصده بعض الناس لطلب المساعدة، وقضاء بعض المصالح.

المهم أن هذا الرجل قدم إليهم ليساعدوه في عملية البناء، وإقامة الضريح على والده، فبعضهم أبدى الموافقة والاستعداد، واعترض ممثل قبيلة السعيط، وهو الحاج **سعد بواجريعيد السعيطي،** وقال له: **" نحن سمعنا أن البناء على القبور حرام، فاذهب إلى الشيخ عيسى فاسأله في هذه المسألة، فإن قال لك جائز، تعال وسنساعدك في هذا الأمر"**، فذهب الرجل للشيخ ليسأله فقال يا شيخ: "الناس في بلدتي يريدون أن يبنوا ضريحاً وقبة على قبر والدي فما رأيك؟ فقال له الشيخ: إن كنت ستسمع رأيي وتعمل به نبأتك بالحكم الشرعي، أما إذا أردت السماع لمجرد السماع وستعمل ما في عقلك، فإن كلامي ليس زائداً علي، فقال بل سأعمل بما تقول، فقال له الشيخ: البناء على القبور حرام، وغير جائز، فإياك أن تبني، وإذا بنى شخص ما ـ على أبيك فلك الحق بهدم البناء لأنه والدك".

---

1 ـ الشفا للقاضي عياض، ج2 ، ص63 .

قال الشيخ: وكأن الرجل مازال يبحث عن فتوى، وعن مجيز لهذا الفعل، فذهب إلى مدينة سلوق ليسأل القاضي فيها، فوجده في الشارع فاستوقفه قائلاً: يا حضرة القاضي! يا حضرة القاضي!، فكأن القاضي لم يستحب هذا الفعل منه، فعنفه قائلاً: أنا عندي مكتب تعال إلي فاسألني فيه، فقال له السائل: والله لو لم يكن في الدنيا عالم غيرك ما جئت لأسألك، وعندنا عالم نوقفه ونسأله في أي مكان[1] ثم ذهب السائل إلى شخص آخر واسمه الشيخ: **مفتاح بواعميه**[2]، فجاءه وذكر له الخبر ثم قال: ومازحته وقلت: وقد جئتُ الشيخ عيسى وسألته فقال لي جائز، قال: فالتفت إلي مغضباً وقال: والله الشيخ لا يقولها، ثلاث مرات، **(لما علم من منعه ـ رحمه الله ـ البناء على القبور واتخاذها مزارات للتبرك بأهلها وساكنيها)** ثم قال للسائل لتأكيد الحكم عليه وكنوع من الملاطفة على

---

1 ـ يقصد الشيخ عيسى الفاخري، وفي واقع الأمر إن لسؤال العالم آدابا ينبغي أن يقف عندها طالب العلم، والمستفتي كذلك، ولكن الشيخ ـ رحمه الله ـ كان يعد نفسه داعية، فلذلك كان لا يُعنف السائل، بل كان يأخذه باللين والرفق، حتى إنه كان يستمع للكبير والصغير، ويوسع صدره للسفيه والجاهل، وهذا الذي بلغ به ما بلغ من منزلة في قلوب جلسائه وتلامذته ومحبيه.

2 ـ الشيخ مفتاح بواعمية الفاخري، من العلماء الأوائل، وهو من الخريجين الأوائل من الأزهر الشريف، درس القرآن والعلوم الشرعية بالجغبوب، ثم التحق لدراسة العلوم الشرعية في الأزهر الشريف، وتعلم الجغرافيا والتاريخ والفلسفة، وقد برع في هذه العلوم، فضلاً عن إجادته الشعر الفصيح والعامي، كان ذهابه لمصر سنة 1906، توفي سنة 1984م، رواية شفوية لـ (اكنيش الفاخري، المقيم في سلوق، حيث كان يسكن الشيخ مفتاح بواعمية ـ رحمه الله ـ)، الحاج اكنيش من قرابة الشيخ مفتاح بواعمية، سجلت المقابلة في 15 ـ 3 ـ 2008م.

نحو مما تعارف عليه المشايخ في ذلك الزمان وباللهجة العامية: **(وأنا لو نعلمك بنيت على بوك سوطتك اسواط)**[1].

كلامه في مسائل التوحيد:

إذا أردنا الحديث عن التوحيد بصوره الثلاثة" توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات" فقد كان ـ رحمه الله ـ يجملها تارةً، ويفصلها تارةً أخرى مراعاةً لحال السائل والمستفتي، مع ملاحظة أن الشيخ ـ رحمه الله ـ كان لا يحب الخوض في الأسماء والصفات، وكثيراً ما كان يستشهد بكلام الإمام مالك ـ رحمه الله ـ عندما سئل عن قوله تعالى:﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[2] **فقال: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول،والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)**[3].

---

1 ـ الشريف الشارف، رواية شفوية، 21 ـ 5 ـ 2008م، والسواط بالدارجة، مأخوذ من السوط، وهو الضرب بالسوط، راجع مختار القاموس، ص316 .

2 ـ سورة طه ، الآية 5 .

3 ـ روي أن الإمام مالكاً كان في مجلسه فجاءه رجل، فقال: يا أبا عبد الله،﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض، وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء ـ يعني العرق ـ ثم رفع رأسه ورمى بالعود، وقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة،وأظنُّك صاحب بدعة،وأمر به فأخرج، وفي رواية ،قال له مالك، وإني لأظنك ضالاً فناداه الرجل، يا أبا عبد الله، والله الذي لا إله إلا هو، لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة ، والكوفة والعراق، فلم أجد أحداً وفق لما وفقت إليه) انظر: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الأسماء والصفات، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، 1993م، ج2 ، ص306، وانظر محمد أبو زهرة، مالك حياته وعصره ص193 .

وإذا تخاصم أمامه اثنان في مسألة الأسماء والصفات، وذكر أمامه ما يقوله ويتناقله بعض طلبة العلم من مسائل وقضايا عقدية، بخاصةٍ ما يتعلق في قضايا الأسماء والصفات كان يقول:(**نحن على عقيدة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما**) ويقصد بهذا عقيدة السلف الصالح[1].

وجاءه شاب من طلبة العلم يقال له منذر الطرابلسي: وهو أحد تلامذة الشيخ العلامة يوسف طاباق من علماء الزيتونة[2] فقرأ على الشيخ عيسى بحثاً في الأسماء والصفات، كان قد جمع فيه من أقوال أهل العلم والآثار التي وردت عن السلف في هذا، وذكر فيه أقوال المتكلمين، من المعتزلة، والجهمية، وغيرهم، وردود أهل السنة وأدلتهم، مستشهداً بكلام الأئمة الأربعة، وغيرهم من علماء السلف، فاستوقفه بعد ما سمع منه مجمل البحث، ثم قال:(**هذا كلام طيب وصحيح، لكن! هذا كلام لا يقال للعامة، ويكفي الناس أن يصفوا الله بكل كمال، وينزِّهوه عن كل نقص**)[3]، وقال بعض تلامذة الشيخ: نعتبر أن هذه قاعدة ذهبية، في مسألة الأسماء والصفات[4].

وجاءه بعض الإخوة العرب من السودان، وهم من الشباب المتدين، والمتحمِّس، وكانوا يتجادلون في مسائل القدر، والجبر والاختيار في الأفعال، وهل الإنسان مسيَّر أم مخير، فكره إجابتهم، وكان هذا بحضور الدكتور غيث الفاخري، فأحال الإجابة إليه، فأجابهم الدكتور،

---

1 ـ رواية شفوية ، الشريف الشارف، 21 ـ 5 ـ 2008م .

2 ـ رواية شفوية ، نصر السنوسي، 10 ـ 1 ـ 2009م .

3 ـ رواية شفوية ، ناصر محمود مطرود، 21 ـ 5 ـ 2008م .

4 ـ رواية شفوية ، الشريف الشارف، نصر السنوسي، 4 ـ 5 ـ 2009م .

بما هو مقرر عند أهل السنة في هذه المسائل [1] .

ونفهم من كل ما سبق أن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ كان لا يحب الخوض في مثل هذه المسائل، مقتدياً بالسلف الصالح، وقد أُثر عن الإمام مالك، إمام دار الهجرة، قوله: **(الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهون القدر ورأي جهمٍ وكل ما أشبه ذلك)**[2].

ثالثاً ـ سمته ومنهجه في الدرس وفي حِلَق العلم:

طريقته في الدرس :

لقد كان للشيخ ـ رحمه الله ـ سمتٌ خاص ومنهجية متبعة في دروس العلم سواءٌ في المعهد الديني في البيضاء، حيث الطلبة النظاميون، أم في الدروس العامة والخاصة، في المساجد وحلق العلم، وفي بيته حيث كان يجلس للتعليم والفتوى .

ومن خلال تتبعنا لأسلوبه وطريقته مع تلامذته، يمكن أن نضع قواعد عامة كان يتبعها ـ رحمه الله ـ في منهجيته التعليمية بشكل عام نذكر منها ما يلي:

1. اعتماده طريقة تنمية الثقة في الذات بالنسبة لتلامذته جميعاً بمعنى أنه كان يعلي من قدرهم بين جلسائه وزواره، فأحياناً يعلق بعد أن يأتيه

---

1 ـ رواية شفوية الدكتور غيث الفاخري، 5ـ 11ـ 2009م .

2 ـ أبو عمر يوسف بن عبد البَرِّ، الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، عناية، عبدالفتاح أبو غردة، مكتبة المطبوعات الإسلامية ،حلب، سوريا، الطبعة الأولى، 1997م، ص69، وانظر: محمد أبوزهرة، مالك حياته وعصره آراؤه وفقهه، دار الثقافة العربية، مصر، 1947م، ص155.

المستفتي ليسأله عن مسألة في الفقه، أو إذا جاءه شخص يريد أن يصحح قراءة بعض آي القرآن الكريم، وقد يكون السؤال أحياناً عن بعض مسائل الفقه الدقيقة التي تحتاج إلى علم واسع، ودراية بأصول الإفتاء وقواعده، ولكن تجده ومن باب تشجيع الطلاب من حوله، يقول للسائل تفضل اسأل وها نحن بيننا الشيخ فلان ويشير إلى أحد تلامذته، وإن كان لا يعني تقديمه للفتوى بالمعنى الظاهر ولكن ليشعر السائل والسامع بقيمة تلامذته، وكان هذا ديدنه، مع كثيرٍ من تلامذته المتقدمين .

2. التقريع والتوبيخ بطريقة وأسلوب راقٍ وفي غاية الأدب، مع ما فيه من إعطاء الدروس وتبيين الخطأ بطريقةٍ مباشرةٍ أو غير مباشرةٍ، ومن الأمثلة على ذلك ما حدثنا به أنه كان في البيضاء، في المعهد الديني، وقد أسند إلى الشيخ مادة النحو شرح ابن عقيل، قال ومادة النحو كما هو معلوم تحتاج إلى انتباه في الشرح وهدوء في الفصل، لكن يقوم بعض الطلاب المشاغبين ببعض الحركات واللغط، والشيخ كما هو معلوم لا يرى من يقوم بهذا، قال: فأسأل من قام بالتشويش؟ فيقولون فلان، قال: فأستدعيه وأسأله عن اسمه واسم أبيه وعن عائلته وقبيلته، قال وأسأله فيما بيني وبينه، ثم أقول له: يا بني أنت من عائلة كريمة، ووالدك رجل طيب وفاضل، فالمفروض عليك أن تحافظ على هذه السمعة الطيبة، المهم، قال - رحمه الله - : ما زلت معهم بهذا الأسلوب، وهذه الطريقة، حتى صار الطلبة المشاغبون من أخص التلامذة، بل بالعكس، كانوا أحرص على الهدوء في درس النحو، من غيره من الدروس، وفرضت احترامي على جميع الطلبة،

وبلغت من قلوبهم منزلة ومكانة حسنة، وكان يعترض ـ رحمه الله ـ على أسلوب معاداة الطلاب .

وحول هذه المسألة بالذات، يشير الدكتور شعبان عوض العبيدي[1] إلى أنه قد أثير النقاش من بعض الأساتذة في المعهد الديني في البيضاء، وكذلك من بعض الأهالي وأولياء الأمور، عن مدى سيطرة الشيخ على الدرس، ومقدار تحكمه وضبطه للأمور داخل الفصل، وأثناء الحصة، على اعتبار أن الشيخ ضرير، ومعاق، واجري اختبار ميداني، وجرت زيارات للشيخ في الفصل، وأثناء الحصة، وبالتخاطب مع الطلبة الدارسين، والتلامذة، وُجد أن الشيخ، من أكثر أساتذة المعهد تحكماً في طلبته، وضبطاً للأمور، بل أخبر بعض الطلبة أنهم ينتظرون حصة الشيخ بشغف كبير، وأن الوقت مع الشيخ يمر سراعاً، لدرجة أن بعض المجدين من التلامذة، كانوا يطلبون الزيادة

1 ـ هو الأستاذ الدكتور، الشاعر واللغوي والأديب، شعبان عوض العبيدي، من مواليد القبة، سنة 1952م، وهو من الدارسين في الجامعة الإسلامية بالبيضاء، ومن خرجي جامعة قاريونس قسم اللغة العربية، سنة1981م، وقد واصل دراسته فتحصل على الماجستير من جامعة قاريونس، والدكتوراه من جامعة الإسكندرية، وهو من الذين عرفوا الشيخ وخبروا منهجه في الفتوى، والوعظ، وللدكتور شعبان مؤلفات عدة في علوم اللغة العربية منها: التعليل اللغوي في كتاب سيبويه، الرائد في علم الصرف، النحو بين القاعدة والسليقة وغيرها، وهو أستاذ اللغة العربية وعلومها ومحاضر في قسم الدراسات العليا، ورئيس لقسم الدراسات الإسلامية بجامعة قاريونس، أشرف على العديد من الرسائل العلمية، وامتحن الكثير من رسائل الدكتوراه والماجستير، داخل الجماهيرية، وفي عدة دول منها : المغرب، والعراق، وجنوب أفريقيا، وغيرها، كما شارك في عدة مؤتمرات داخلية، وخارجية.

من الشيخ، ويلتقونه خارج الحصة، وفي ساحات المعهد، للاستزادة من علمه، وإعجاباً، وإكباراً منهم بآدابه وأخلاقه[1].

3. ترفقه بتلامذته، وحرصه على مستواهم التحصيلي، وشعوره الأبوي تجاههم، بحيث كان يعطي الطالب المتردد عليه، سواءٌ كان من طلبة القرآن، أم من طلبة العلم الشرعي، يعطيهم إجازةً لأداء الامتحانات، والتفرغ للدراسة، قائلاً لهم، سنستأنف الدروس بعد إنهاء الاختبارات، مع توجيهه وحثّه الدائم لهم على ضرورة الاهتمام بالدروس ومطالعتها، وأنهم يجب أن يحصلوا علامات متقدمه، وذلك انطلاقاً من قناعته، أن المستوى التعليمي، والتفوق في مجالات العلم المختلفة، هي من سمات الشاب المسلم، لأجل هذا كان حريصاً على مستوى طلابه، بل وبلغ من حرصه أنه كان يتتبع أحوال بعضهم في مدارسهم ومعاهدهم، بل وكان يطالع معهم الدروس أحيانًا، وإني في هذا الموقف أتذكر أنه– رحمه الله - طالع معي كتابي **(العقيدة، وأصول الفقه)**، مطالعة منهجية، بصبر وأناة، أثناء تقديمي للامتحانات الجامعية.

4. القدوة الحسنة في التواضع والرجوع للحق في مذاكرة المسائل، وتأصيل الأحكام ومراجعة الأحاديث النبوية الشريفة، وكثيراً ما كان يطلب منا مراجعة بعض المسائل والوقوف على أقوال العلماء فيها، ويقول يا أبنائي أنا مازلت أطلب العلم، ويستشهد بالأثر القائل" أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد" وكذلك بالقول القائل ميمان لا يتعلمان المتكبر والمستحيي.

---

1 - الدكتور شعبان عوض، رواية شفوية، 13- 3- 2010م.

5- كان لا يعاتب أحداً سواء من الطلبة أم الأقران والأصدقاء، ومن الأمثلة على ذلك، موقفه من صديقه محمد رضوان الذي وصفه بقوله: **(لقد كان كريماً وطيباً، ولكنه كان مدلّلاً)**، وهو من زملائه في الصف، ومن أعز أصدقائه، وقد كانا يطالعان المواد الدراسية معاً، علم الشيخ بعد فترة أنه زميله محمد رضوان لا يرغب في المطالعة معه، وقاطع الشيخ فترة الامتحانات، ممّا أدى إلى رسوب الشيخ في دراسته من هذه السنة، نتيجةً لعدم وجود من يطالع له، ولم ينجح إلا من الدور الثاني، بل بلغ من مقاطعته له أنه كان لا يلقي عليه السلام، مما اضطر الشيخ إلى البحث عمن يطالع له، ولما حضر محمد رضوان من العام التالي، طلب الشيخ من أقرانه أن ينبهوه عندما يحضر إلى الفصل، فكان إذا حضر نبَّهه الطلبة، فيقوم الشيخ إليه ويصبِّحه بالسلام، وقال: هذا عتاب لطيف مني، فما لبث بعد فترة أن عاد من جديد للمطالعة مع الشيخ وترجَّاه أن يصفح عنه، قال فقلت له: أنت تعلم ما صنعت معي، فقال: نعم، ولكني أطلب منك المسامحة، وأن ترجع للمطالعة معي، فقال له الشيخ: أوافق ولكن بشرطين:

الشرط الأول: أن تستأذن من باقي الطلبة الذين بقوا معي بعدما تركتني، وساعدوني في المطالعة، وتستسْمحهم في أن أطالع معك .

الشرط الثاني: أن لا تمانع في انضمام أي واحد منهم في المطالعة معنا .

فوافق على ذلك، وعادت الأمور إلى طبيعتها وصارا يطالعان معاً، وهذا الموقف، ينبئ عن خلقه الرفيع، وحسن عشرته، ومن هذا نعلم أيضاً أنه كان لا ينسى الجميل، ولا ينكر المعروف، بل عرف الفضل لأهله

وإخوانه الذين ساعدوه ووقفوا معه بعدما تنكر له صديقه، كذلك لم يعنفه ولم يعاتبه، بل صار كلما يلقاه يفشي عليه السلام ويصبح عليه .

وهذا يذكرنا بقول الحق جل وعلا: ﴿**ادْفَعْ بالّتي هِيَ أَحسَنُ فإذا الذي بيْنَك وبينهُ عداوةٌ كَأنه وليٌّ حميمٌ**﴾[1] وكذلك بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم)**[2]، فأين نحن من هذه الأخلاق العالية الرفيعة؟ ويمكن أن نستفيد من هذه المواقف، فوائد جمَّةً في كيفية التعامل مع الأصحاب والأهل والأبناء والإخوان، بل وحتى طريقة التعامل مع طلبة العلم .

أما الدروس والفتاوى، فقد كان له منهجه الخاص في هذا الشأن ويمكن أن نقسم دروسه إلى قسمين :

أولاً ـ الدروس والفتاوى العامة.

ثانياً ـ حلق العلم ومجالس الطلاب.

أولاً ـ الدروس العامة :

• كان الشيخ يلقي هذه الدروس في الاجتماعات الكبيرة، ومواعيد أو مجالس الصلح بين المتخاصمين، وهذه تكون على هيئة مواعظ

---

1 ـ سورة فصلت ، الآية 24 .

2. صحيح مسلم، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سببا لحصولها، حديث رقم/81، وفي سنن أبي داوود، من حديث أبي هريرة باب، في إفشاء السلام، حديث رقم/4519 .

مختصرة، أو دروس قصيرة، يبدؤها بالحمد والثناء على الله، والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم بموعظة قصيرة بآيات قرآنية وأحاديث للنبي صلى الله عليه وسلم، وفي أحيان كثيرة لا يتم الصلح حتى يكون الشيخ حاضراً .

وهذا يشترطه كثيرٌ من المتخاصمين، لما كان يتميز به ـ رحمه الله ـ من روح مرحة، ومعرفة بالأنساب[1] وإنزال الناس منازلها وربما تم الصلح **(بغنَّاوة علم)**[2] يلقيها الشيخ، وتكون ذات معنى، وفي نفس الوقت يطرب لها الحاضرون، وتنزل من أنفسهم منزلاً حسناً، ينتهي الأمر بعدها بصفاء القلوب، ومسامحة الفريقين، كما حصل مرةً في مدينة شحات بين بيتين من قبيلة الحاسة، حيث كان بينهما خصومة على موضوع **(أرض أو نحو من هذا)** والمشكلة قد طالت، وتعمَّق الخلاف بينهما، فسمع الشيخ بالقصة، والموضوع قد وصل إلى القاضي، وكان من قرناء الشيخ فدعا القاضي كل من الفريقين من أجل حسم الخلاف، وكان قد طلب مدعي الحق اليمين من الطرف الآخر كما هي العادة في مثل هذه الخلافات، فجاء الفريقان للقاضي وفى هذه الأثناء استأذن الشيخ على القاضي فأذن

---

1 ـ رواية شفوية ، الدكتور: شعبان عوض ، 15 ـ 2 ـ 2008م .

2 ـ (غنَّاوة العلم): نوع من الأدب الشعبي ينتشر في أجزاء من ليبيا، ولاسيما في شرق ليبيا، وهي لا تتعدى البيت الواحد، يستعمل لضرب الأمثال، وفي المواعظ والعبر والجهاد، وتجمع من الحكم ما لا تجمعه كثير من القصائد المطولة، وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ موسوعة فيه، وأهل البادية يؤثر فيهم هذا النوع من الشعر كثيراً، وفي أحيان كثيرة، وبحسب الحاجة وما يتطلبه الموقف، كان الشيخ ـ رحمه الله ـ يستخدم هذا النوع من الشعر في الدعوة والإصلاح بين المتخاصمين.

له، فدخل وجلس بجوار القاضي والنقاش محتدم لتخلف أحد المُحلَّفين من الطرف الآخر، والشيخ مطرق يستمع واللَّغط قائم بينهما .

فاقتطع الحديث بكل أدب وقال: بعد إذن القاضي والمستمعين من الوجوه الخيِّرة، هنا انتهز القاضي الفرصة، وعرّف الجماعة على الشيخ وقال لهم: هذا الشيخ عيسى الفاخري، عالم من علماء الدين وذكره بما يعرف عنه، فحمد الشيخ الله عز وجل وأثنى عليه ثم قال لهم وباللهجة العامية: **(اللي فهمته إنكم كلكم حاسة، والعرب يقولوا فيها حاسة ماي منهاسة)** كما كانت عادته بذكر مناقب الناس ومدحهم بما فيهم من الخير، وهذا يقصد منه إيقاظ الهمة وصحوة الضمير وإحياء العزيمة على الحق والخير، ثم قال: وأنا بعد إذنكم وإذن القاضي، وباللهجة العامية أيضاً: **نبِّي نحلف مكان الشخص اللّي تخلف [1] ولكن أنتم لا تعرفونني، وعلى رأي القائل: (ما ايخيل صوب العين إلا ياعلم في ابلادها)** فسكت الحضور قليلاً يرددون هذه الغنَّاوة، ثم تكلم وجاهة أولياء الحق وقال: "**يا حضرة القاضي نحن سامحنا لأجل خاطر هالشيخ**" علق الشيخ على هذا فقال: لو قلت لهم قال الله قال الرسول، فلن يستمعوا إلي، وضحك ـ رحمه الله ـ[2] .

وهذا الكلام من الشيخ يعدُّ من الحكمة في الدعوة إلى الله، وهذا يذكرنا بحديث علي رضي الله عنه وهو في صحيح البخاري:(**حدثوا الناس**

---

1 ـ يقصد الشيخ ـ رحمه الله ـ أن يستعمل معهم سيف الحياء لإصلاح ذات البين، وهذا من الحكمة، لأنه ليس من عادة أولياء الحق قبول اليمين من أي شخص إلا من المسمى اسمه في قائمة المحلفين .

2 ـ رواية شفوية ،الشريف الشارف ، 1 ـ 4 ـ 2008م .

بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله)[1].

لأجل هذا كان شيخنا ـ رحمه الله ـ يخاطب الناس على قدر عقولهم، ويحاورهم بحجتهم التي يفهمونها، ويوجه الأمثال والأشعار، وفق ما كان متأصِّلاً عنده من العلم الشرعي، وعلى هذا يمكن القول إن أسباباً هي التي جعلته يستحسن هذه الطريقة، ويتخذ هذا الأسلوب، في توجيهه لغناوة العلم، واستنباط المعاني اللائقة، التي يحتملها هذا النوع من الأدب الشعبي، ويتجلى ذلك فيما يلي:

• لم يستعمل الشيخ هذا اللون من الشعر محبة فيه، أو لهوًى وطرافةً، ولكن لأنه خبر أهل برقة الذين تغلب عليهم الأمية وتتبع الأمثال والأشعار، وتأثرهم بها، ووصول المعاني إلى قلوبهم وفهمها، أكثر من فهمهم للآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، فاتخذ الشيخ من هذا النوع من الأمثال العامية وسيلةً لتفهيم هؤلاء العوام بعض المعاني التي نصَّت عليها الشريعة، وهذا ليس بدعاً من القول، فقد جاء في السنة، ما ينص على أن الحكمة في بعض الشعر وأقوال العرب، ومن ذلك ما جاء في صحيح البخاري أن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث أخبره أن أبي بن كعب أخبره: أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: " **إن من الشعر حكمة**"[2].

---

1 ـ صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا، حديث رقم(124) (بما يعرفون) أي يفهمون، وزاد آدم بن أبي إياس في كتاب العلم له عن عبد الله بن داود عن معروف و في آخره(ودعوا ما ينكرون) أي يشتبه عليهم فهمه، وكذا رواه أبو نعيم في المستخرج، وفيه دليل على أن المتشابه، لا ينبغي أن يذكر عند العامة، انظر فتح الباري ج1، ص200 .

2 ـ صحيح البخاري، باب ما يجوز من الشعر والرجز، حديث رقم / 5679 .

وفي رواية أبي داوود " **وإن من الشعر حكماً**" قال صعصعة بن صوحان: وأما قوله: "**إن من الشعر حكما**" فهي هذه المواعظ والأمثال التي يتعظ بها الناس[1] .

• إن هذا النوع من الأدب الشعبي "**غناوة العلم**" يحتمل وجوهاً من التأويل، يفهمها قائلها، والسامع بحسب الموقف، لهذا كان الشيخ يوجهها إلى معاني سامية، ويستخدمها لغايات نبيلة، ونضرب مثالاً لذلك ما ذكره لنا الحاج **عمر ارحيم** في مقابلة مسجلة، نقلاً عن الحاج **أحمد حسين** ـ رحمه الله ـ أن الشيخ دُعي لوليمة عرس في أحد النجوع، وحضر الشيخ المناسبة، وبينما هو في وسط البيت، إذ سمع المنشد يحدو في الفرح بغناوةٍ، فأشار إلى الحاضرين أن اسكتوا، وذلك لينصت للغناوة، فاستعظم الحضور هذا الفعل من الشيخ، وقالوا كيف ينصت هذا الشيخ الجليل لهذا الغناوة بكل اهتمام، هذا إذا علمت أن الغناوة تقول: "**مالك سوابق صوب اغليت يا علم غير عن النبا**" وإني لأجزم أخي القارئ الكريم أنك ستفهمها بكل بساطة كما فهمتها أنا لأول مرة، أنها غناوة عاطفية، يقولها عاشق لمحبوبته، ولن يتجلَّى لك المعنى الذي فهمه الشيخ من هذا البيت، أتدري أخي القارئ، أي توجيهٍ راقٍ وجَّهه الشيخ لمعنى هذه الغناوة ؟

ذلك أنك إذا عرفت أن الشيخ صار يقول عند سماع هذه الغناوة "**لاإله إلا الله محمد رسول الله**" مرتين أو ثلاثاً ثم قال للحاضرين: أتدرون من المقصود بهذه الغناوة ؟ قال الحاضرون، الواضح يا شيخ، أن هذا رجل يتغنى بمحبوبته، قال: بل هذا تصوير لعلاقتنا بالنبي ـ صلى اله عليه وسلم ـ فنحن آمنَّا به ولم نره، وصدقنا بما سمعناه من الوحي، وآمنا به

---

1 ـ سنن أبي داوود، باب ما جاء في الشعر، حديث رقم / 4359 .

وأحببناه، وفي كل يوم تزداد محبتنا له بذكر شمائله، وسماع سيرته العطرة[1].

هنا أدرك الحضور أنهم أمام شخصية عامرة وراوية من الأخلاق والحكمة، ورجاحة العقل، وسلامة النية، وصفاء السريرة .

ويحضرني أيضاً الغناوة التي كان يعاتبنا بها الشيخ عتاباً أدبياً، عندما نستكثر من الأعذار، ونجتهد في طلبها بعد غياب يطول عن مجلس الشيخ، ذاكرين له محبتنا للعلم، غير أننا لا نجد فرصةً نظراً لتقلبنا في مشاغل الحياة، ونقول له: يا شيخ إننا نريد العلم ولكننا لم نجد الوقت لطلبه!!، فيمازحنا قائلاً: **"ارسم غلاه وان اشغال العلم ما افضينا لمقعده"** ثم ندرك أن الشيخ وجه هذه الغناوة توجيهاً محكماً، لتدلَّ على معنىً في نفسه، يحب إن يوصله إلينا بنوعٍ من التلطف والتودد، وهو أنكم قد أضعتم أوقات الفراغ، فيما تكلفتم لطلب العلم بعد الانشغال، وهذا يذكر بحديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو في شعب الإيمان للبيهقي، من حديث عمرو بن ميمون ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لرجل: **(اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وشبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك)**[2].

---

1 ـ الحاج عمر ارحيم الفاخري، رواية شفوية، 18 ـ 5 ـ 2008م .

2 ـ شعب الإيمان للبيهقي، باب الانابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل لقاء الموت، ج8ص127، وفي مستدرك الحاكم من رواية عن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه :"اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناءك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، حديث رقم/7957 .

• مثالٌ آخر يصور فهمه العميق لمعاني هذه الأمثال، وتمكنه في سحب معانيها على مواقف نمر بها جميعاً في حياتنا، فتزيد من إيمان المرء وتعلقه بالله تعالى، فقد حدث أن أحد العوام جاءه شاكياً، هموم الحياة، وضيق العيش، وقلة الحيلة، فاكتفى في إجابته بقوله: " **عليكن إن ضاقن الحال اطرن عزيز ياتيكن فرج**"[1]، فقال ذلك الرجل في نفسه، ماذا يقول هذا الشيخ؟!!! أنا أتيته أشاكيه بحالي وهمومي، لأجد عنده حلاً، أو موعظة شافيةً لعلتي، وهو يذكر لي العزيز، الذي هو في مفهوم السامع، المحبوبة والعشيقة، ونسي هذا - صاحب الشكوى - أن العزيز اسمٌ من أسماء الله تعالى، مما اضطر الشيخ أن يوضح له الأمر، ويذكّره بأن ذكر الله تعالى فيه النجاة، والفرج، من الهموم والغموم، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[2] .

تنبيه:

كل هذه المواعظ، وهذه المآثر - إذا صح التعبير - عن الشيخ تدخل تحت إطار الدروس العامة والخاصة، ومن الملاحظ في هذه الدروس العامة، أن الشيخ - رحمه الله - كان لا يتكلم أبداً إلا إذا رأى حكمة في قيامه بالوعظ على هذا النحو، أوطُلِب إليه أن يتحدث في **(المواعيد)**، وهي مجالس الصلح التي تعقد لحل المشاكل القبلية، والعائلية، ويكون

---

1 - أحمد يوسف عقيلة، غناوة العلم قصيدة البيت الواحد، دار الإبل للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، الطبعة الأولى، 2008م، ص119 .

2 - سورة الرعد ، الآية 28 .

حضوره من أجل إصلاح ذات البين، وصلة الرحم .

• ويدخل تحت الدروس العامة: اللقاءات التي كان يجريها الشيخ مع بعض محبيه، وجلسائه الذين كانوا يحرصون على ملاطفته، والحديث إليه، وسؤاله عما يستجد من مسائل، وكانت هذه الدروس تتم بعفوية، وهي أشبه ما يكون بالندوات، أو المنتديات الفكرية اليوم، بالرغم من بساطتها، ومن مثل هذه الحلقات، ما كان يعقده الشيخ من جلساتٍ أمام صيدلية صديقه **(محمد احشاد)**[1]، وبعضها يكون أمام منزل الشيخ، وأحياناً بجانب أحد الحوانيت، أو المحالّ - المهم أن ينعقد المجلس - بحضور الشيخ، تقرأ فيه الجريدة اليومية عليه، ويستمع فيه الحضور إلى بعض تعليقاته، وسرعان ما يتحول المجلس إلى حلقة علم، يقرأ فيها القرآن، ويسأل فيها عن بعض المسائل الفقهية، وفي كثير من الأحيان، يأتي السائل خصيصاً لهذا الملتقى - إذا صح التعبير - لأنه يعلم أنه سيجد الشيخ، فيعرض عليه المسألة، وبحضور جلسائه ومحبيه، وقد يكون هذا السؤال المقدم للشيخ، محور نقاش، ينطلقون منه لعرض تساؤلات، واستفسارات أخرى .

وكان يشترط على الطالب أن يحضر معه كرسيا، ويطلب منهم الكتابة، وتسجيل وتدوين بعض الفوائد والنكت، عند الحاجة للكتابة، ونستطيع أن نسمِّي الشيخ **"بقائد النهضة العلمية في مدينته"**، للقضاء على الجهل ونشر العلم، وذلك بتعليم الناس علوم اللغة العربية، والنحو، والتفسير، مبتدئاً بالقرآن الكريم، ثم بعض مبادئ المعرفة، والقراءة والكتابة، وكذلك تنبيههم وتوعيتهم إلى أهمية العلم .

ومن ضمن المواظبين على هذه الدروس العلمية، والمنضبطين

---

1 - وهي صيدلية قديمة، كانت في وسط السوق في مركز إجدابيا .

بالحضور: محمد احشاد، وموسى حسين الهبري، وعبدالله خالد، وعلي موسى، وعبد الحفيظ الفاخري، وسعد بوحشيشة، ومحمد بوسهل، وغيرهم، وصنف آخر من التلامذة المبتدئين، كان يقيم لهم درس في مكان يسمى: **(الفنطازي)**[1]، ومن بين هؤلاء: محمد الجيلاني، وعبدالكريم الطرابلسي، وعمر بووذن، وسليمان قرقوم، كما كانت هناك دروس أخرى خاصة لكل من السيد محمود بوهدمه، ومحمود بواشريده، ومحمد الغماري، وحسين بالعون، وهذا الأخير الذي وصفه بأنه أوفرهم حظاً في الحضور[2].

• ومن أمثلة الدروس العامة كذلك وإن كانت محدودة العدد، اللقاءات التي كان يقيمها مع أقرانه ومحبيه، كأمثال الحاج صالح حمد المجبري، والحاج صالح عبد المولى المجبري، والحاج صالح فنشه الجبري، أو الحاج ديدح الزوي، وغيرهم ويمكن أن نقول إنها كانت تأخذ طابع العام من وجه، والخاص من وجه آخر، بمعنى أن هؤلاء كانوا من خواص الشيخ وجلسائه، وكان الشيخ يتوسم فيهم الصَّلاح والتقى، ولربما خصهم بذكر بعض الأحداث وتفصيل بعض المسائل، مالا يحدِّث به غيرهم من

---

1 ـ الكلمة أصلها إيطالي، بمعنى الاحتفال، كان يقيم فيه الطليان احتفالاتهم، بانتصاراتهم المزعومة على المجاهدين، ويبتهجون فيه بقتل الأبرياء من أبناء وطننا الحبيب، ثم صار يستعملها العامة، في الإشارة إلى مكان بعينه في ضواحي اجدابيا، وهو موضع صخري به مجموعة من الآبار، كان البادية يتزودون منها، ومما أثر من الشعر العامي في هذا المكان قولهم:

لو كان يا بواقرين ايقربوا بنغازي بين الشباك وعلوة الفنطازي

انظر: حسن المايل، درة الأقصى، ص100 .

2 ـ مذكرات الشيخ ، ص49 .

العامة، وهي في واقع الأمر من قبيل الدروس العامة، لأن المواعظ فيها تكون بنحو من الوعظ العام، وتفسيرٍ لبعض آيات القرآن الكريم، ولم تكن على هيئة دروس منهجية يقرأ فيها كتاباً محدداً، أو تكون من قبيل ما يُلقى لطلبة العلم، كتفصيل أصول المسائل، وتقعيد القواعد ومدارسة العلم على أصوله .

ثانياً: حلق العلم ومجالس الطلاب:

وهذه كانت خاصة بالطلبة، فقد كان يحيطهم بعناية خاصة ويربيهم تربية، كأنما ينشئهم تنشئة الوالد لأولاده، ولكن هذه التربية تكون بالتعاهد، ونستطيع أن نصفه بأنه كان يستعمل طريقة: **(النَّصيحة المُربية)**، أيْ يربي طلبته بواسطة النصيحة، ويذكرك أسلوبه الراقي هذا مع طلبته، بحديث النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو في الصحيحين وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: **(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام مخافة السآمة علينا)**[1].

---

1 ـ صحيح البخاري، باب من جعل لأهل اعلم أياماً معلومة، حديث رقم/ 68، ولفظه عن أبي وائل قال كان عبد الله يذكر الناس في كل خميس فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، قال أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بها مخافة السآمة علينا، ومسلم من رواية الأعمش عن شقيق قال: كنا جلوسا عند باب عبد الله ننتظره فمر بنا يزيد بن معاوية النخعي فقلنا أعلمه بمكاننا فدخل عليه فلم يلبث أن خرج علينا عبد الله فقال إني أخبر بمكانكم فما يمنعني أن أخرج إليكم إلا كراهية أن أملكم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة في الأيام مخافة السآمة علينا حديث رقم/ 5047، وللحديث رواية أخرى في البخاري وغيره، عن عبد الله مسعود رضي الله عنه .

وعندما يأتي طالبٌ ليقرأ أحد الكتب، في أي علم من العلوم، فإنه يشترط عليه، ما يلي:

أولاً: أن لا ينقطع عن المتابعة معه في الكتاب حتى ينتهي منه، ويقرأه عليه كاملاً، بجميع فصوله[1]، فإذا ما تغيب الطالب، فإنه يرسل إليه بطريقة مؤدبة، ولا يتحدث عنه أمام زملائه الآخرين، بل يقول سلموا لي على فلان، وقولوا له إن الشيخ يفتقدك، وهكذا، مع جميع طلبته .

ثانياً: يحثه على الاهتمام ومتابعة الدروس بعناية، وكتابة الفوائد واللطائف، ولكنه لا يجبر الطالب على الكتابة، بل يحثه حثًّا لطيفاً، بضرب الأمثال، والتشجيع من غير إلزام .

وقد كان الشيخ، يثق في طلبته، ويشركهم في البحث، والمدارسة، كأن يقول مثلاً، أبحثوا لي عن الحديث كذا، وكذا، ومدى صحته، أو أريد أن تطالعوا لي كتاب كذا ـ ويسميه ـ في أبواب الفقه، أو السيرة، أو غيرها وتطالعوا لي المسألة ـ بعنوان كذا ـ كما طلب منا مرةً أن نبحث له عن هذا الدعاء وهل ورد بالنَّص في السنة، من حديث صحيح عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أو أثر عن أحد صحابته، وهو قول المسلم: **(أستغفر الله لي ولوالدي ولمن له حق علي)**، فلم نجده بالنصِّ، ولكن كما هو معلومٌ أن هذا دعاء محمود، والمسلم يدعو بما شاء من الخير، رجاء إجابة الدعاء من الباري جل وعلا، ولكن الشيخ كان يريد التأكد من النصِّ، هل هناك نصٌّ، بهذه الصيغة، في الأدعية النبوية، وهذا من حرصه ـ رحمه الله ـ على متابعة السنة حتى في الأذكار، والأوراد، والأدعية، وسنتعرض بمزيد من التوضيح لمعاملته مع الطلاب في الفصل القادم إن شاء الله .

---

1 ـ سالم سليمان الجديد، رواية شفوية، 14 ـ 11 ـ 2009م .

فتاواه الفقهية واجتهاداته :

لقد عرف الشيخ ـ رحمه الله ـ ببشاشته في وجه السائل، والمستفتي، وطالب العلم، وكذلك لم يعرف بالتشدد في الفتوى، بل كان متساهلاً في غير ما تجاوز للشرع، فهو يميل حيث يميل الدليل ولا يفتي بالرأي[1]، قال الدكتور شعبان عوض: إن طريقة الشيخ عيسى الفاخري في الوعظ والدرس والفتوى، تمتاز بالعمق في عرض المسائل، والبساطة في الفتوى، والتيسير على المسلمين، في غير ما تهاونٍ في الأدلة والنصوص، لذلك كان يناقش الأدلة، لأنه ـ رحمه الله ـ كان لا يؤمن بالتعصب لمذهب معين، ولا لرأي إمام بعينه، رغم كونه مالكي المذهب، ولكنه قد يفتيك على المذهب الشافعي، إذا ترجح عنده ورأى أن هذه الفتوى أنسب للناس في هذا الزمان، وكذلك قد يفتي وفق المذهب الحنفي، أو غيره من المذاهب، إذا ترجح عنده، ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

- **رأيه في مسألة الطلاق المعلق الذي لم يُرد منه قائله إلا منع الزوجة من شيء معين**: وقد أخذ في ذلك برأي شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[2] وحدث هذا أمامنا أكثر من مرة، وأفتى الشيخ بمعاملته معاملة اليمين .

ويقول للسائل عليك كفارة يمين ويسأل السائل أولاً ماذا تقصد من

---

1 ـ نصر السنوسي ، رواية شفوية ، 24 ـ 9 ـ 2007م.

2 ـ انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عند باب (الألفاظ التي يتكلم بها الناس)، قال: فقد ثبت عن الصحابة أنهم أوقعوا الطلاق المعلق بالشرط، إذا كان قصده وقوعه عند الشرط، كما ألزموه بالنذر؛ بخلاف من كان قصده اليمين، ج9، ص360.

قولك: إن فعلتِ كذا فأنتِ طالق مثلاً؟ فإن قال لم أقصد به الطلاق ـ ويستوثقه الشيخ من هذا ـ وإنما قصدت منعها من فعل شيء ما، ولم أقصد الطلاق، فإنه يفتيه بأن عليه كفارة يمين وفق ما جاء في كتاب الله، في سورة المائدة في كفارة اليمين، وهو قول الحق تبارك وتعالى:﴿ **لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[1].

وفي هذا مال الشيخ ـ رحمه الله ـ إلى قول العلامة الزجّاج الذي قال: ليس لأحد أن يحرم ما أحل الله ولم يجعل لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يحرم إلا ما حرم الله عليه، فمن قال لزوجته أو أمته: أنت علي حرام، ولم ينوِ طلاقاً ولا ظهاراً، فهذا اللفظ يوجب كفارة اليمين، ولو خاطب بهذا اللفظ جمعاً من الزوجات والإماء فعليه كفارة واحدة[2].

وقال الإمام الشوكاني ـ رحمه الله ـ إن نوى به الطلاق فهو طلاق، وإن لم ينوه كان يميناً، وهو قول طاووس والزهري والشافعي، ورواية عن الحسن، وحكاه أيضاً في الفتح عن النَّخعي وإسحاق وابن مسعود وابن عمر، وحجة هذا القول أنه كناية في الطلاق، فإن نواه كان طلاقاً، وإن لم ينوه كان يميناً لقوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ**

---

1 ـ سورة المائدة ، الآية 89 .

2 ـ تفسير القرطبي، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ سورة التحريم، الآية2، ج18 ، ص230 .

تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[1][2] .

• **إجراء ما زاد عن الثلاث من ألفاظ الطلاق في مجلس واحد طلقة واحدة** [3] ومما ذكره في هذا الباب قوله: قدمت إلى برقة فوجدت أهلها يسرفون في الطلاق، فكان الواحد منهم إذا أراد تطليق زوجته وهو في حال الغضب يقول لها وباللهجة العامية: **(أنتِ طالق على عدِّ التراب والشراب، وآخر يقول لها أنتِ طالق علي بد المثنان[4]، وآخر يقول لها على بد ضوايا ليبيا)**، وغيرها من الأمثلة التي كانت سائدة في المجتمع البدوي كنايةً عن التكثير والزيادة فأقول للسائل عندما كان يأتيني للفتوى، هل قصدت الطلاق، فإذا قال نعم: أقول له نحن لا نريد من طلاقك هذا إلا واحدة فقط، هذا ما يعنينا، والباقي سامحناك فيه، وكما هو معلوم بطبيعة الحال أن الناس أهل بادية، والجهل مطبق، وأغلبهم لا يعرفون الأحكام الشرعية، فكان الشيخ يستغل الفرصة ويوجه الموعظة للسائل بضرورة احترام الزوجة، وأن الله تعالى قد فرض لها حقوقاً في كتابه، وتكون مناسبة طيبة للدعوة إلى الله، وتبيين الأحكام الشرعية، وشرح بعض العقائد التي كانت غائبةً عن الناس، فيذهب السائل وهو مقتنع، أن ما

---

1 ـ سورة التحريم ، الآيتان 1 ـ 2 .

2 ـ نيل الأوطار ، ج3 ، ص231.

3 ـ رواية شفوية ، محمد الصكي ، 23 ـ 5 ـ 2008م.

4 ـ نبات بري معروف عند البادية في برقة، يضربون به المثل للمبالغة في العدد، لكثرته في البراري، وهو ينبت في شمال ليبيا، وبالأخص في شمال برقة.

قام به من تعداد الطلاق، وتكثير الطلقات، إنما هي من أعمال الجاهلية، ومن الغضب الذي نهى عنه الشارع الحكيم [1].

• **السواك قبل الصلاة:** من الفتاوى الفقهية للشيخ واجتهاده في تأويل النصوص، أنه عندما سئل عن المقصود من قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)**[2] قال ليس المقصود أنه عند الإقامة، ولفظ عند في العربية ليس المراد منه دائماً المصاحبة بل قد يقصد به قبل، بدليل قول الله تعالى:﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾[3].

فأخذ الزينة هل المراد منه عند الصلاة أم قبلها؟ بل تكون بالاستعداد لها بأخذ الزينة قبل الدخول إلى المسجد بلا ريب، كذلك قال

---

1 ـ قال الشيخ: هذا قول لشيخ الإسلام ابن تيمية وحورب من أجله وبدع، والآن عامة المحاكم في العالم الإسلامي على هذا القول، رواية شفوية الشريف الشارف 4.5.2009م .

2 ـ الحديث في صحيح البخاري، وفي موطأ مالك، وكلاهما من طريق الأعرج عن أبي هريرة، وله عدة روايات، ولفظ البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لولا أن أشق على أمتي، أو على الناس لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة " رواه البخاري في باب السواك يوم الجمعة، رقم 838، وفي لفظ لمسلم"لولا أن أشق على المؤمنين"، وفي رواية له كذلك"لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة" رواهما مسلم، في باب السواك، حديث رقم/43، وحديث رقم/ 370 .

3 سورة الأعراف، الآية 29 .

إن المستاك إذا استاك بعد الإقامة وقبيل الصلاة فلربما فاته من الخشوع والتهيؤ للصلاة بهذا التسوك ما فاته، و قد يخرج منه دم أو بقايا من السواك فيشغله ذلك عن الخشوع، ويؤيد هذا الحديث الذي أخرجه ابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالليل ركعتين، ركعتين، ثم ينصرف فيستاك)**[1]، فدل هذا على أنَّ **(عند)** ليس المراد بها المصاحبة، أو قبيل تكبيرة الإحرام، بل عند التمهيد للصلاة، والله أعلم .

• **كفارة قتل الخطأ، لمن لم يستطع الصوم**: حيث لا يوجد عتق رقبة، فماذا يجب عليه ؟ فأفتى ـ رحمه الله ـ أنه يعطي عائلة فقيرة مبلغ من المال ينقذها به من الفقر، وعلل هذا بقوله: **"إنَّ عبودية الفقر أعظم من عبودية الرِّق"**، شريطة أن لا يستطيع الصوم .

تنبيه:

سنذكر فيما يلي بعض الآثار والأحاديث، ونردفها ببعض أقوال أهل العلم التي تناولت هذه المسألة، ونبرز ما ذهبوا إليه، ونذكر اجتهادهم في هذه المسألة، لما رأوا فيه المصلحة عند تعذر القيام بالمنصوص عليه في التنزيل، ويمكن أن نناقش ما ذهب إليه الشيخ، من خلال استعراضنا لأقوال أهل العلم في الكفارات الشرعية، وحكم من لم يستطع القيام بالكفارة، وهذا ليس من باب الانتصار لرأي الشيخ، ولكن حتى لا نهضم الرجل حقه، وأيضاً لنطلعك أخي القارئ الكريم، سواء من طلبة علم، أو

---

1 ـ سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب السواك، رقم 284، وانظر: فتح الباري ، ج3 ص54.

من محبي الشيخ، وكذلك الذين سمعوا عنه ولم يروه، حتى نكون على دراية جميعاً بسعة علمه ـ رحمه الله تعالى ـ ، وكذلك لأني ناقشت بعض أهل العلم في هذا الرأي، ومنهم من قال إن هذا الرأي لا دليل عليه، لذلك أردنا أن نستعرض أقوال الفقهاء الأوائل، لنعلم أن هذا رأيٌ للشيخ، واجتهاده في هذه المسألة، وذلك مما استنبطه من واقع الناس، وما تقتضيه معاني النصوص من مراعاة مصالحهم، وتحقق معنى العبودية لله تعالى، والتزام التقوى، وهذا هو المقصد الأسمى للشريعة، وما هو مستنده للقول بهذا الرأي، وأقوال أهل العلم في هذه المسالة على النحو الآتي:

أولاً: هناك أحاديث قد وردت عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في بعض الكفارات تفيد تخفيفه عليه الصلاة والسلام على غير القادرين عن الإتيان بالكفارة المنصوص عليها نذكر منها ما يلي :

1. حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري ولفظه: **جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هلكت، فقال: وما ذاك؟ قال: وقعت بأهلي في رمضان، قال: تجد رقبة؟ قال: لا ، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال:لا ، قال: فتستطيع أن تطعم ستين مسكيناً؟ فقال: لا ، قال: فجاء رجل من الأنصار بعرق ـ والعرق المكتل ـ فيه تمر، فقال: اذهب بهذا فتصدق به، قال: أعلى أحوج منا يا رسول الله؟ والذي بعثك بالحق، ما بَين لابتيها أهل بيت أحوج منا، ثم قال: اذهب فأطعمه أهلك**[1].
2. **ورد في سنن الترمذي أن سلمان بن صخر الأنصاري، أحد بني بياضة جعل امرأته عليه كظهر أمه حتى يمضي رمضان، فلما مضى نصف**

---

1 ـ صحيح البخاري، باب من أعان المعسر في الكفارة، حديث رقم /6216.

من رمضان وقع عليها ليلا، فأتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعتق رقبة، قال: لا أجدها، قال فصم شهرين متتابعين، قال: لا أستطيع، قال أطعم ستين مسكينا، قال: لا أجد، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لفروة بن عمرو: أعطه ذلك العرق ـ وهو مكتل يأخذ خمسة عشر صاعا أو ستة عشر صاعا ـ إطعام ستين مسكين[1].

3. في قصة ظهار خولة وأوس كما في مسند الإمام أحمد، وذكر قوله تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ .. الآية**﴾[2]، وفيه.. فقال لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: **مريه فليعتق رقبة، قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق، قال: فليصم شهرين متتابعين، قالت: فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: فإنا سنعينه بعرق من تمر، قالت: فقلت: يا رسول الله سأعينه بعرق آخر، قال: قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي عنه ثم استوصي بابن عمك خيراً، قالت: ففعلت، قال سعد: العرق الصن**[3].

ثانياً: ذكر الشوكاني في كفارة الظهار القول عن الشافعي، وهو مروي عن أبي حنيفة أيضاً: إن الواجب لكل مسكين مد، وتمسكوا بالروايات التي فيها ذكر العرق وتقديره بخمسة عشر صاعاً، ثم قال واختلفت الرواية عن مالك، وظاهر الحديث أن الكفارة لا تسقط بالعجز

---

1 ـ سنن الترمذي، حديث رقم/ 1121 .

2 ـ سورة المجادلة ، الآيات من 1 ـ 4 .

3 ـ مسند الإمام أحمد، باب حديث خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها حديث رقم/26056.

عن جميع أنواعها، لأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعانه بما يكفر به بعد أن أخبره أنه لا يجد رقبة، ولا يتمكن من إطعام، ولا يطيق الصوم، وذلك في حديث أبي هريرة وهو في صحيح البخاري وفيه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هلكت فقال: وما ذاك ؟ قال: ...الحديث) وإليه ذهب الشافعي، وأحمد في رواية عنه، وذهب قوم إلى السقوط، وذهب آخرون إلى التفصيل، فقالوا: تسقط كفارة صوم رمضان، لا غيرها من الكفَّارات[1].

ثالثاً: جاء في الكافي في فقه الإمام أحمد في كفارة قتل الخطأ ما نصه: والكفارة تحرير رقبة مؤمنة، فمن لم يجد، فصيام شهرين متتابعين، الآية... فإن لم يستطع ففيه روايتان :

إحداهما: يلزمه إطعام ستين مسكيناً، لأنها كفارة فيها العتق وصيام شهرين، فوجب فيها إطعام ستين مسكيناً إذا عجز عنهما، ككفارة الظهار، و الجماع في رمضان .

والأخرى: لا يجب فيها الإطعام لأن الله تعالى لم يذكره، وصفة الرقبة والصيام والإطعام، كصفة الواجب في كفارة الظهار على ما ذكر فيه، و من عجز عن الكفارة بقيت في ذمته، لأنها كفارة تجب بالقتل، فلا تسقط بالعجز، ككفارة قتل الصيد الحرمي .

رابعاً: ورد في المغني: وكفارة القتل عتق رقبة مؤمنة بنص الكتاب سواء كان القاتل أو المقتول مسلماً أم كافراً، فإن لم يجدها في ملكه

---

1 ـ نيل الأوطار للشوكاني ، ج3 ، ص 236 .

فاضلة عن حاجته أو يجد ثمنها فاضلاً عن كفايته فصيام شهرين متتابعين توبة من الله، وهذا ثابت بالنص أيضاً فان لم يستطع ففيه روايتان :

إحداهما: يثبت الصيام في ذمته ولا يجب شيء آخر، لأن الله تعالى لم يذكره ولو وجب لذكره .

الثانية: يجب إطعام ستين مسكيناً لأنها كفارة فيها عتق وصيام شهرين متتابعين، فكان فيها إطعام ستين مسكيناً عند عدمها ككفارة الظهار والفطر في رمضان، وان لم يكن مذكوراً في نص القرآن فقد ذكر ذلك في نظيره فيقاس عليه، فعلى هذه الرواية إن عجز عن الإطعام ثبت في ذمته حتى يقدر عليه وللشافعي قولان في هذا كالروايتين، والله أعلم.أ.هـ[1].

خامساً: يوجد تماثل بين كفارة القتل الخطأ وكفارة الظهار أن في كل منهما استوجب الشارع صيام شهرين متتابعين، فهما متساويان من حيث مقدار الصوم ومن حيث التتابع .

وعلى هذا نقول إن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ قال بإغناء عائلة فقيرة، وإخراجها من رق الفقر، وعبودية الحاجة، وهذا أولى من أن نقول إنه لا يلزمه شيء، كما مر علينا من قول الإمام الشوكاني، **"إن الكفارة لا تسقط بالعجز عن جميع أنواعها"** وهو ما اختاره الشيخ ـ رحمه الله ـ لما في القول بأنه لا يلزمه شيء، من فوات التقرب إلى الله تعالى بالصدقة، وضياع مصلحة الفقير، وقد كان يرى ـ رحمه الله ـ أن ذل الفقر كذل العبودية،

---

1 ـ المغني، عبدالله بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، ج10 ، ص344 .

بل لعله أمرٌ في بعض الأحيان[1]، لذلك اختار أن يفتي بإنقاذ عائلةٍ من الفقر علامةً على التوبةِ إلى الله لغير القادر على الصوم [2].

وكان يعدُّ آية سورة التوبة أصلاً من أصول الدين في توبة المؤمن، وهي قوله تعالى: **(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)**[3] ويرى أن للصدقة أثراً كبيراً في حسن توبة العبد واستمراره على الاستقامة ، والله تعالى يقول في آخر آية كفارة القتل الخطأ: **(تَوْبَةً مِّنَ اللّهِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً)**[4] .

---

1 ـ حدثني الدكتور سعد حماد بأنه ناقش الشيخ في فتواه، فقال: يا شيخ هل هذا المبلغ يحل محل الإطعام؟ فقال: لا ، ليس إطعاماً ، وإنما هو إنقاذ للنفس من ذل الفقر ، فليس بعد الفقر إذلال، وهي لا تحدد بمبلغ معين، إنما يزيد المبلغ وينقص، بحسب حال الفقير، وقدرة من وجبت عليه الكفارة، وقد قال الشيخ عيسى الفاخري أيضاً: إن أول من أفتيته بهذه الفتوى، رجل من قبيلة المجابرة، وكان المبلغ الذي حددته له آن ذاك، 350 ديناراً ، وقال الشيخ أيضاً: لقد ناقشت في اجتهادي هذا عالماً يسمى الصفراني، فأقرني على ذلك، واستحسن هذا الاجتهاد .(رواية شفوية للدكتور سعد حماد ، 17ـ2ـ2010م).

2 ـ علق الدكتور غيث الفاخري، على فتوى الشيخ بقوله: إن هذا رأي للشيخ، على خلاف ما عليه جماهير أهل العلم، فالحنفية والمالكية لا يرون إطعاماً في كفارة القتل، وإنما هو رأي الشافعية، ورواية عن الحنابلة، أما اعتبار إعانة الفقير يحل محل إعتاق الرقبة، فهذا رأي للشيخ فيما نعلم، رواية شفوية منقولة عن الدكتور غيث الفاخري بتاريخ 5 ـ 11 ـ 2009م، بعد اطلاعه على هذه الفتاوى للشيخ عيسى الفاخري.

3 ـ سورة التوبة ، الآية 103 .

4 ـ سورة التوبة ، الآية 92 .

- **التخلص من المال الحرام:**

كان هناك من السائلين من يأتيه ليسأله عن كيفية التخلص من المال الحرام، فكان الشيخ يسأله كيف كسبت هذا المال، ويطلب منه التفصيل في الأمر، فإذا قال هو من طريق ربوي أو بواسطة التهريب، أو التحايل على الناس، أو مغتصباً، فإنه يأمره بالتخلص منه كليَّةً إما بإرجاعه إلى صاحبه، إذا كان مغتصباً أو بالحيلة أو الخديعة، وإذا تعذر إرجاعه، فإنه يأمره بالتخلص من هذا المال، بإعطائه الفقراء، أو سدٍّ غرم، أو نحو ذلك من الأوجه التي تصرف فيها مثل هذه الأموال، المهم أن يتخلص منه بإنفاقه في مواطن البر، وقد كان ـ رحمه الله ـ يحث على التخلص من مثل هذه الأموال لأنها من كسبٍ خبيث، وقد كان يذكرنا ببعض الآثار الواردة عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، في التحذير من الكسب الحرام والترغيب في الكسب الحلال، نذكر منها:

قوله عليه الصلاة والسلام **(من أمسى وانياً من طلب الحلال بات مغفوراً له)**[1] وقوله وانيا من قولهم ونى إذا تعب.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله من المؤمن؟ (**قال الذي إذا أصبح سأل من أين قرصه وإذا أمسى سأل من أين قرصه**، قالت: يا رسول الله لو علم الناس لتكلفوه قال: **(قد علموا ذلك ولكنهم غشموا المعيشة غشماً)** أي تعسفوا تعسفاً.

---

1 ـ لم أجده في كتب الحديث، راجع مواهب الجليل على مختصر خليل، باب تنبيهات ركوب البحر على ثلاثة أقسام، وجاء في شعب الإيمان للبيهقي بمعناه" عن السكن يرفعه، قال: " طلب الحلال مثل مقارعة الأبطال في سبيل الله، ومن بات عييا من طلب الحلال بات والله عز وجل عنه راض"، حديث رقم 1177 .

وقول ابن عبدوس[1] ـ رحمه الله ـ عماد الدين وقوامه طيب المطعم، فمن طاب كسبه زكا عمله، ومن لم يصحح في طيب مكسبه خيف عليه أن لا تقبل صلاته وصيامه وحجه وجهاده وجميع عمله لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[2] انتهى"[3].

- **المال المختلط:**

إذا كان هذا المال مختلطاً، بحيث إن صاحبه كان يخبط في ماله، ولم يكن يتحرّى الكسب الطيب، ثم بعد ذلك أراد التوبة والرجوع إلى الله بنية صادقة، فإنه لا يأمره بالتخلص من ماله كله، وقد احتج بأن النبي صلى الله عليه وسلم، بُعث وجُلُّ الناس مالهم من الميسر ومن المعاملات الربوية، فلم يأمرهم بترك أموالهم ونبذها، ولكن أمرهم بالتحري فيما يستقبل من معاملات مالية، وقد شرع الله الزكاة تطهيراً للأموال والأنفس[4].

- **أكل المال العام:**

سئل شيخنا عن حكم أكل المال العام، وسرقة مال الدولة، هل هو

---

1 ـ هو من كبار أصحاب سحنون، وأئمة وقته، من أئمة مذهب مالك، لم يجتمع في زمان مثلهم، اثنان مصريان: محمد بن عبد الحكم، وابن المواز، واثنان قرويان: ابن عبدوس، وابن سحنون، ولد سنة 202هـ، وتوفي سنة 261هـ، انظر: ترتيب المدارك، ج1، ص286 .

2 ـ سورة المائدة ، الآية 27 .

3 ـ مواهب الجليل على مختصر خليل، ج4 ، ص186 .

4 ـ رواية شفوية ، نصر السنوسي، 20ـ 4ـ 2009م .

حلال، فقال: **هو حرام**، وهو من **الحرمات المغلظة**، ورد على من احتج بأن المال العام حلال، بكثرة الذين يتخبطون فيه، ويأكلونه بغير وجه حق، فكان يقول: **هو حرام، ثم يقول للسائل ولا معنى لكثرة الذين ينهبون مال الدولة، فإذا رأيت أناساً مجتمعين على جيفةٍ يأكلون منها، أفتجلس لتأكل معهم!؟**، فكذلك إذا أكلوا من حرام فلا تجلس معهم .

- **من كسب مالاً من بيع الدخان، ثم أراد التوبة الصادقة، وليس عنده ما يعتاش منه وأسرته غير هذا المال:**

وسأله آخر كان قد شارك شخصاً في بيع الدخان المحرم، وقد اعترف بخطئه أمام الشيخ، وقال له بلهجةٍ صادقةٍ أريد التوبة، والتخلص من المال الذي كسبته من الحرام، ولكني يا شيخ: إذا تخلصت من مالي هذا كله لا أجد ما أصرف منه أنا وأسرتي، فأفتاه بالتخلص من ثلث المال[1].

قال فضيلة الدكتور غيث الفاخري: لعل الشيخ استأنس في ذلك، بما روي عن مالك، أنه أفتى من نذر التصدق بجميع ماله، أنه يكفيه إخراج الثلث[2].

---

1 ـ رواية شفوية ، للشيخ محمد الصكي، 26 ـ 10 ـ 2008م .

2 ـ تعليق كتب بخط فضيلته على النسخة التي راجعها، في 7 ـ 1 ـ 2010م، جاء في التاج والإكليل لمختصر خليل" قال ابن بشير: لا خلاف عندنا أن من حلف أو نذر الصدقة بجميع ماله، فلا يلزمه جميعه، واختلف ما القدر اللازم له منه، والمشهور أنه الثلث" التاج والإكليل، باب النذر المستحب، ج5 ، ص91 .

• **زكاة النَّعم:**

وفي فتاوى زكاة الماشية والغنم، كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ لا يرى بأساً بإخراج القيمة عوضاً عن الشاة، بمعنى أن صاحب الغنم، أو الإبل، التي تجب فيها الزكاة، لا مانع أن يأخذ الشاة من الغنم، أو الحِقَّة من الإبل، إلى السوق، ويسعِّرها كأحسن ما تقف عليه في السوق، ثم يخرج القيمة من النقود، إذا كان في إخراج القيمة مصلحةً للفقراء، ومراعاة لظروفهم[1].

• **نهيه عن تحجير الأرض[2]:**

كان ينهى عن تحجير الأرض الزراعية الذي يقوم به بعض البادية، لحيازة الأرض، ويمنعون أهل الماشية من الرعي فيها، ويبيعون هذه الأرض التي حجروها، ويقول هذا حرام، والناس شركاء في أربعة" **في الماء، والهواء، والتراب، والنار**" فلا يجوز حبس هذه عن الناس، ويرى أن هذا من الذنوب التي سببت القطيعة بين الناس، من أجل التنافس في عرض الدنيا الزائل، وكان يرفض الهديَّة إذا قُدِّمت له من شخصٍ يتهم بأنه يُحَجِّر الأراضي، ويقول: هذا رزقٌ خبثٌ لا أقبله [3].

---

1 ـ رواية شفوية، الشيخ محمد الصكي، 26ـ 4ـ 2009م .

2 ـ تحجير الشيء: منعه يمنعه منعا، ومنعه فامتنع منه، وتمنع، ورجل منوع ومانع ومناع ضنين ممسك، وفي التنزيل (مناع للخير) وفيه (وإذا مسه الخير منوعا) ومنيع لا يخلص إليه في قوم منعاء، انظر: ابن منظور لسان العرب، باب منع، ج8، ص343 .

3 ـ رواية شفوية، محمد رشيد الطنفاري ،رحمه الله ، 13ـ 9ـ 2007م .

وفي موطأ مالك، وعند البخاري وغيره، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(لا يمنع فضل الماء ليمنع به الكلأ)**[1] .

- **رأي الشيخ في المسائل الخلافية التي أثارت جدلاً بين أوساط الشباب:**

لننصف الشيخ ونعطيه حقه في هذه المسألة، لابد أن نعرف أولاً أن الشيخ كان يكره الجدال بجميع صوره، وإذا جاءه السائل ليسأله عن مسألة ثم يقول بعد إجابة الشيخ كلاماً يفهم منه أنه لم يرد التعلم وإنما أراد المجادلة وضرب العلماء في بعضهم كأن يقول مثلاً:(**كيف تقول هذا الكلام ياشيخ والعالم الفلاني يقول ويقول...**)، يقول الشيخ للسائل - وبلهجة حادة -: أنت جئتني من أجل السؤال لتستفيد، أو جئت من أجل أن تقول **فلان قال؟! وفلان قال؟!**، إن كان كذلك فانصرف من المجلس، فمجلسي هذا مجلس علم.

ولم يجعل للتحريش بين العلماء، مع العلم أن الشيخ - رحمه الله - كان يقرأ للعلماء المعاصرين، كالدكتور يوسف القرضاوي، والعلامة محمد الغزالي - رحمه الله - وكثيراً ما كان يطلب من بعض تلامذته كأمثال الشيخ محمد الشريف والشيخ محمد الصكي[2] والشيخ الشريف

---

1 - موطأ مالك، باب القضاء في المياه، ص227، صحيح البخاري، باب من قال إن صاحب الماء أحق، حديث رقم 2182 .

2 - محمد إسماعيل الصكى: من مواليد 1953م، لزم الشيخ سنة 1984م ، وكان يكثر التردد على الشيخ حيث كان يصحح عليه خطب الجمعة من ذلك التاريخ =

الشارف[1] ، والحاج نصر السنوسي وغيرهم أن يقرؤوا له كتبهم، كما قرأ عليه الشيخ محمد الشريف كتاب: **(فقه الزكاة)**، للقرضاوي وهو رسالة دكتوراه، وكتاب: **(الحلال والحرام)**، له، وكتاب **(فتاوى معاصرة)**، وكان الشيخ معجباً بمنهجه لأنه يدعو إلى الوسطية والاعتدال والتيسير[2] .

ومن العلماء كذلك الذين كان الشيخ يحبهم ويطلب أن تقرأ عليه كتبهم العلامة الشيخ محمد صالح العثيمين ـ رحمه الله ـ ، وكان يبعث بالسلام إليه، وقد قرئت عليه بعض كتبه، وكان معجباً بعلمه وبطريقة عرضه للفتاوى، وكان ينصت إلى فتاويه باهتمام، وقد يعلّق أحياناً على

= مخصِصاً لها يوم الخميس، وقال الشيخ في ذلك بعدما مرض في تسعينيات القرن الماضي ولم يستطع الذهاب إلى المسجد يوم الجمعة (منعت من الذهاب إلى المسجد وشاء الله أن تأتيني خطبة الجمعة إلى البيت)، قرأ عليه عدة كتب منها كتاب رياض الصالحين، وبعض الرسائل العلمية القصيرة مثل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، وغيرها .

1 ـ الشريف الشارف الحرنة: ولد يوم الجمعة الموافق 28ـ12ـ1961م بدأت علاقته بالشيخ سنة 1984م عن طريق الشيخ محمد أبو رواش المصرى، والشيخ الزين السودانى، ويعتبر الشيخ الشريف الشارف، أحد المعلمين الأوائل للقرآن الكريم في مدينة إجدابيا، على رواية الإمام حفص عن عاصم الكوفي، وهو أحد الأساتذة والمشائخ الفضلاء، واشتهر بالشعر الشعبى، ويمتاز شعره بالحكم والمواعظ الدينية، قرأ على الشيخ عدة كتب، منها كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي، ومن بعض التفاسير، كتفسير ابن كثير وبعض الرسائل العلمية، كما كان الشيخ يحب الاستماع إلى تلاوته للقرآن الكريم .

2 ـ رواية شفوية ، للشيخ محمد الشريف، 13 ـ 10 ـ 2007م.

بعض الفتاوى، ويقول هذه فتوى تتناسب مع واقع الناس في بلادنا، وهذه لا تتناسب فلا تذيعوها في الناس، كبعض الفتاوى التي أثارت نقاشاً حاداً بين بعض الشباب والشيوخ المتقدمين في السن، وغيرهم من العوام الذين لم يكونوا على دراية بهذه الفتاوى، حتى إن بعضهم ليقول: ـ نظراً لأنه لم يسمع بهذه الفتاوى من قبل، وباللهجة العامية ـ:(**أيش هالدين الجديد، اللي جبتوه لنا)**، وهم في هذا معذورون، لأنهم لم يعرفوا بالمسائل الخلافية بين الفقهاء، وليس عندهم علم ومعرفة بأدبيات الخلاف، فيكون هذا الطعن، وهذا التجريح في الشباب، مما تعم به البلوى، وفي أحيانٍ كثيرةٍ أدى إلى مشاحنات ومطاحنات، على غير هدىً من الله، مما أثبت بعد وقتٍ، سعة علمه، وبعد نظره، في تبيين هذه المسائل، والحكمة في تقديمها، كما سيأتي بيانه إن شاء الله .

أما إذا تعلق الأمر بالجدل العقيم، الذي لا طائل منه ولا ينتظر من ورائه طلب العلم والمعرفة، وإنما غاية صاحبه الانتصار للنفس، فقد كان الشيخ بعيداً عنه كل البعد، ويحذر من أهله، ولقد حضرت بنفسي شاباً قدم إليه ليسأله عن مسائل خلافية، وليتكلم أمامه بتجريح العلماء، فقال له بالحرف الواحد، وباللهجة العامية، وبحدة شديدة، لم نعهدها عن الشيخ: (**ثاني مرة ما عاد اتجيني، أنا اللي ايجيني هنا، يطلب العلم يقرأ القرآن، أو يسأل عن مسألة فقهية، أما الجدال فبيتي مش للجدال**) .

- **الختمة وقراءة القرآن على الأموات:**

أولا: يجب أن نعلم أن الختمة المقصودة، هي التي تعارف عليها العامة في بلادنا، وهي أن يجتمع بضع نفرٍ من الناس، ممن يُظن أنهم من أهل القرآن، بدعوةٍ من أهل الميت، ويكون حضورهم بموعد محدد، وفي

الغالب، فإنهم يأتون بشروط معينة، إما مصرَّحٌ بها، ومتفق عليها سلفاً، أو جرت العادة بها عند من يستضيفون هؤلاء الجماعة من القراء، بأن يجعل لهم جُعل[1]، وهذه كان الشيخ لا يراها، وينكِّر على من يقوم بها، ويعرِّض بمن يقوم بمثل هذا في مجلسه .

ثانياً: قراءة القرآن، من ولي الميت أو من محبيه، أو جيرانه وأقاربه، بنية الدعاء والترحم عليه، وهذه القراءة كان الشيخ لا يرى بها بأساً، أما القول بوصول ثوابها، فقد فوض أمر ذلك لله تعالى، والمسألة كما حققها بعض أهل العلم كما يأتي:

لقد نص الحنفية والمالكية ـ على أنه يكره قراءة القرآن على الميت بعد موته وقبل غسله، وذهب الحنابلة إلى أنه يستحب أن يقرأ عند الميت سورة يس وكذا الفاتحة[2].

جاء في نيل الأوطار للشوكاني تفصيل هذه المسألة فقال: وقد اختلف هل في غير الصدقة من أعمال البر يصل إلى الميت ؟ فذهبت المعتزلة إلى أنه لا يصل إليه شيءٌ، واستدلوا بعموم قوله تعالى:﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى**﴾[3]، ثم قال وجاء في شرح الكنز: إن للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره، صلاة كان أو صوماً أو حجاً أو صدقة أو قراءة قرآن، أو غير ذلك، من جميع أنواع البر، ويصل ذلك إلى الميت، وينفعه عند أهل السنة، انتهى.

---

1 ـ الجعل، وهو المبلغ من المال الذي يتفقوا عليه مع أهل الميت، أو المكافأة أياً كان نوعها .

2 ـ الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، تاريخ الطباعة (1404 ـ 1427هـ) ج39 ، ص416.

3 ـ سورة النجم ، الآية 39.

ونقل الرواية عن النووي في الأذكار وغيره، أن جماعة من علماء الشافعية، ورواية عن الشافعي، والإمام أحمد، أن قراءة القرآن تصل إلى الميت، كما نقل الرواية المشهورة عن الشافعي، بأنه لا يصل[1].

وقال القرافي: والذي يظهر، حصول بركة القرآن للأموات كحصولها بمجاورة الرجل الصالح، وبالجملة فلا ينبغي إهمال أمر الموتى من القراءة، ولا من التهليل الذي يفعل عند الدفن، والاعتماد في ذلك كله على الله تعالى وسعة رحمته، وذكر صاحب المدخل أن من أراد حصول بركة قراءته وثوابها للميت بلا خلاف فليجعل ذلك دعاء فيقول: اللهم أوصل ثواب ما أقرؤه لفلان أو ما قرأته، وحينئذ يحصل للميت ثواب القراءة وللقارئ ثواب الدعاء[2].

إذاً فمما لا يخفى أن المسألة خلافية بين أهل العلم، من حيث وصول ثواب القراءة للميت أم لا، قال الشيخ عطية صقر، مفتي الديار المصرية: فى قراءة القرآن للميت خلاف للعلماء بين المنع من استفادته بها بناء على أنها عبادة بدنية لا تقبل النيابة، وبين الجواز بناء على رجاء رحمة اللَّه وما ورد من بعض النصوص[3].

ومن خلال تتبعنا للشيخ في هذا الموضوع بالذات، وسؤالنا له أكثر من مرة عنه، كان يصدِّر كلامه أول ما يصدِّره بقوله: إنه لم يردنا أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعلها، ولا أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ مع

---

1 نيل الأوطار للشوكاني، ج4 ص130 .

2. الفواكه الدواني، على شرح رسالة أبي زيد القيرواني، باب ما يفعل بالمحتضر وفي تغسيل الميت، ج2 ، ص233 .

3 ـ www.alkalemat.com(4-1-2009)

كثرة من مات في زمنه عليه الصلاة والسلام، ولم يبلغنا أنه كان يأمر سيدنا أبا بكر وعمر وعثمان وغيرهم من الصحابة[1] أن يجتمعوا لقراءة القرآن على ميتٍ مات من الصحابة، ومع هذا، ومراعاة لهذا الخلاف، كان شيخنا ـ رحمه الله ـ يأخذ في هذه المسألة المسلك الوسط، فقد أجازها بشروط، وفوَّض في أمر وصول ثوابها لله تعالى، من غير تصريحٍ به، فإنه كان يقول: **إذا قرئ القرآن بشروطه، وبخشوع، وبأدب، ومن دون هذه الاشتراطات، وهذه البدع التي يشترطها بعض المرتزقين بقراءة القرآن، فإنه لا بأس بها، ونرجو أن يصل ثوابها بإذن الله تعالى، أما إذا كان في قراءتها مخالفة، وتشويش، فإننا نقول بمنعها.**

ومن المسائل التي أثارت جدلاً بين كثيرٍ من الشباب وبعض الشيوخ أيضاً، وكان قول الشيخ فيها فصلاً يُحتَكم إليه وحاسماً لكثيرٍ من الجدال، نورد منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- **مسألة رفع الإزار:**

هذه المسألة قد أثارت جدلاً واسعاً في أوساط الشباب، وبخاصة الذين يحرصون على الخير فيما نعلم، لكونها قد وردت فيها أحاديث صحاح عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ منها ما يأتي:

جاء في صحيح مسلم عن أبي ذرعن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: **(ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم** قال: فقرأها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاث مراتٍ، قال أبو ذر: خابوا وخسروا، من هم يا رسول الله ؟ قال المسبل، والمنان، والمنفق

---

1 ـ الشريف الشارف، 4 ـ 10 ـ 2009م .

سلعته بالحلف الكاذب)[1].

1. في رواية الموطأ من حديث الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرَّ إزاره بطراً**)[2].
2. ومنها أيضاً ما جاء في صحيح مسلم عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه قال أتيت أبا سعيد الخدري فقلت أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الإزار شيئا، قال نعم سمعته يقول: **(أزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما أسفل من ذلك ففي النار لا ينظر الله إلى من جر إزاره بطراً**)[3].

والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ، حتى إنها لتبلغ بمجموع طرقها درجة التواتر، وقد فصَّل في حكم رفع الإزار، وإسباله، علماءُ كثيرون تتبعاً لهذه الأحاديث، وتفصيلاً يغني عن تتبعها هنا، فتمسك بعض الشباب بأن رفع الإزار الواجب إلى منتصف الساقين، وذلك حرصاً على تطبيق السنة، كما في حديث أبي سعيد الخدري السابق، وقامت مناظرات ومجادلات، وصار الشيوخ الكبار يعيبون على الشباب رفعهم الإزار إلى أنصاف الساقين، والشباب يخاطبون الكبار بكل جرأةٍ، وبعضهم قد يسيء الأدب وفي ظنه أنه يدافع عن سنَّة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم

---

1 ـ صحيح مسلم، بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، حديث رقم/154 .

2 ـ موطأ مالك ،رواية سويد بن سعيد الحدثاني، تحقيق: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م، باب ما جاء في إسبال الرجل ثوبه، وإسبال المرأة ثوبها، ص492 .

3 ـ صحيح مسلم، رقم الحديث/5446.

إنما يريدون الخير فيما نعتقد، وبعد أن استفحل الخلاف، ونتج عن سوء الفهم سوء فعلٍ عند بعضهم، فأعقب ذلك القطيعة، والتنكير على من يخالف في الرأي، متناسين أن في الإسلام ما يغني عن ذلك، وأن الاختلاف في فهم النصوص وارد، وهو أصلٌ في الشريعة، دال على سعة هذا الدين، وأنه صالح لكل زمانٍ ومكانٍ، وكما يقول بعض أهل العلم **(لا ينكر المختلف فيه)** كما جاء في قول سفيان الثوري **(إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي اختلف فيه، وأنت ترى غيره، فلا تنهه)**[1].

بعد هذه الخلافات الحادة حول هذه القضية، أحيل الموضوع للشيخ ليقول فيه رأيه ويحسم هذا الخلاف سدًّا للمشاكل وقفلاً لباب الشقاق، لأن الشيخ لا يختلف عليه اثنان، وقوله مقبول عند الجميع ولا يستطيع أحدٌ أن يطعن في علمه وفي بصيرته، إلا جاهلٌ، فكان الشيخ يقول: يا أبنائي في مثل هذه المسائل عليكم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: **(سدِّدُوا وقاربُوا)**[2] ولنكتف بالرفع فوق الكعبين، وكان يشير بيده ـ رحمه الله ـ ويمسك بكعب رجله اليسرى، ويقول اكتفوا بهذا، ولا تجعلوا هذا الموضوع شغلكم الشاغل، هناك مسائل يجب على الشاب أن يعنى بها، مثل طاعة الوالدين والحرص على رضاهما، وعدم التغيض عليهما، وإذا قدمت لهم النصح فبرفق ودعةٍ، كذلك ينبغي عليكم أن تعنوا بما هو فوق

---

1 ـ انظر: الصادق الغرياني، أساسيات الثقافة الإسلامية ، ص60 .

2 ـ صحيح البخاري، كتاب الإيمان وشرائعه، من رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا ويسروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"، حديث رقم/ 38.

ذلك ـ طلب العلم النافع، وإصلاح ذات البين.

لأنه نقل إلى مسامعه ما حصل بين الشيب والشباب، وقول بعض الشيوخ الكبار في السن وبلهجة عاميةٍ: **(هالعيال اللي جابوا لنا هالدين الجديد)** وغير هذا من الكلام، وأيضاً في نصحه بهذا درءٌ لمفسدة عظيمة، حيث انقسم الناس فريقين، طائفة متمسكةٌ بظاهر النصوص، وطائفةٌ أخرى مستهزئةٌ، وتقول بغير علم، لكن كليهما له ما يبرره، نظراً لأن المسألة لم تعرض كما ينبغي، ولم يقدمها أصحابها بحكمةٍ ورويَّةٍ، بل أخذ الموضوع منحًى آخر، كاد يعصف ببعض ضعفاء الإيمان، على مسألةٍ لا تعد من الأولويات في الدين، بالرغم من كونها تنطلق من أصول ونصوصٍ لا يختلف عليها، والعلم بها من الفقه في الدين .

- **مسألة التشريع والقبض في الصلاة:**

كما هو معلومٌ ـ فإن المذهب السائد في ليبيا هو المذهب المالكي، والمشهور من المذهب ما قرّرَ في المدونة، من عدم استحباب القبض والتشريع في غير تكبيرة الإحرام، والمدونة في هذا قد خالفت ما رواه مالك في الموطأ، وتفصيل المسألة كما يلي :

جاء في الموطأ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، **(أن رسول صلى الله عليه وسلم إذا افتتح الصلاة رفع يديه حذو منكبيه، وإذا رفع رأسه من الركوع، رفعهما كذلك، وقال: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد وكان لا يفعل ذالك في السجود)**[1].

---

1 ـ موطأ مالك ، رواية الحدثاني ، تحقيق التركي ، ص81 .

قال ابن عبد البر: إن معنى رفع اليدين تعظيم لله، وتسليم، وابتهال له، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول لكل شيءٍ زينةٌ، وزينةُ الصلاة التكبير ورفع اليدين [1].

وجاء في صحيح مسلم في باب ـ إثبات التكبير في كل خفضٍ ورفعٍ في الصلاة حديثان ـ الأول: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه: **(كان يكبر كلما خفض ورفع، ويحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك)** الثاني: حديث مطرِّفٍ، قال صليت أنا وعمران بن حصين خلف علي بن أبي طالب فكان إذا سجد كبَّر، وإذا رفع رأسه كبَّر، وإذا نهض من الركعتين كبَّر، فلما انصرفنا من الصلاة قال: **أخذ عمران بيدي ثم قال: لقد صلى بنا هذا، صلاة محمد صلى الله عليه وسلم، أو قال ذكَّرَني هذا، صلاة محمد صلى الله عليه وسلم)**[2].

هذا وقد علمنا أن مالكًا ـ رحمه الله ـ كان مذهبه ما صح من حديث رسول الله ـ صلى عليه وسلم ـ وما كان عليه العمل في المدينة .

وما نقل من المدوَّنة من أنَّ مالكاً ـ رحمه الله ـ كان لا يرفع إلا عند تكبيرة الإحرام [3] يحتاج إلى تفصيل[4]، حيث إنه من غير المعقول، أن يكون مالك ـ رحمه الله ـ قد ترك هذه السنَّة عن قصدٍ، أو مخالفاً لهدي

---

1 ـ شرح الزرقاني على الموطأ ، ج1، ص228 .

2 ـ صحيح مسلم بمختصر المنذري ، ص67.

3 ـ المدونة الكبرى ، ص107.

4 ـ يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية تعليقاً على المدونة فقال: ومعلوم أن مدونة ابن القاسم أصلها مسائل أسد بن الفرات التي فرعها أهل العراق، ثم سأل عنها أسد بن القاسم فأجابه بالنقل عن مالك، وتارة بالقياس على أقواله، ثم أصَلها في رواية سحنون، لهذا يقع في كلام ابن القاسم طائفة من الميل إلى أقوال أهل العراق، وإن لم يكن ذلك في أصول أهل المدينة. (صحة أصول أهل المدينة ، ص38) .

المصطفى صلى الله عليه وسلم، فهذا لا قائل به، ولا يرد أي شكٍّ في كون الإمام مالك ـ رحمه الله ـ كان متقيداً بالسنة، عاملاً بما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والأمر لا يخلو إما أن تكون الرواية التي نقلت عن الإمام، كان قد استند فيها لعمل واحدٍ من الصحابة، أو أنَّ الحديث لم يصح عنده في بادئ الأمر، ثم بعد ذلك ثبت عنده، وقد مر علينا حديث ابن عمر في الموطأ، فكيف يروي الإمام هذا الحديث ثم يخالفه؟ الأمر ليس كذلك ـ والمسألة أراها والله أعلم، كما ذكرها ابن عبد البر وصحَّحها، فقد نقلت عن جماعة منهم ابن وهب، وابن القاسم، وابن نافع، وأثبتوها في الموطأ، وقد استفاض النَّقل عن مالك بالرَّفع في الركوع، والرَّفع منه، وبه قال الأوزاعي، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، والطبري، وجماعة الحديث، في حين لم ينقل أحد عن مالك ترك الرَّفع إلاَّ ابن القاسم، وهو ما سبب الإشكال في هذه المسألة[1].

والحق أن مالكاً ـ رحمه الله ـ ما كان ليترك سنَّةً ثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهوَ منْ هُوَ في التمسك بالسُّنَّة، واحترامها وتعظيمه لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أو قد يكون ـ رحمه الله ـ كان لا يرفع في بادئ الأمر ثم بعد أن صحَّ عنده الحديث واظب عليه (والله اعلم).

لذالك كان شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ يرى باستحباب التشريع في الركوع والرفع منه والقيام من التشهد الوسط، لما سبق من الأدلة.

المسألة الأخرى من المستحبات: وهي وضع اليدين إحداهما على

---

1 ـ شرح الزرقاني للموطأ ، ص229 .

الأخرى في الصلاة، وهي من المسائل التي يذهب أغلب المالكية إلى أن الإرسال هو المقدم في الصلاة، وذلك لأنها كذلك نقلت عن ابن القاسم عن مالك، ولكن المقرر في المذهب غير ذلك لعدم موافقتها للنَّص، وما عليه الجمهور ولأن مالكاً - رحمه الله - ما كان ليروي حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يخالفه، وفي هذه المسألة حديثان في الموطأ، وهما كما يلي:

- **الأول:** حديث ابن المخارقة البصري، قال:**"من كلام النبوة إذا لم تستح فافعل ما شئت، ووضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة، يضع اليمنى على اليسرى، وتعجيل الفطر، والاستيناء بالسحور"**[1] .

- **الثاني:** حديث سهل بن سعد قال:**" كان الناس يؤمرون أن يضع الرَّجل اليد اليُمنى على ذراعه اليُسرى في الصلاة " قال أبو حازم: لا أعلم إلاَّ أنه يَنْمي[2] ذلك".**

ويذكر بعض العلماء أنّ الحكمة من هذه الهيئة، أنها صفة السائل الذليل، وأنها أبعد عن العبث، وأقرب للخشوع، وهو الواقع حقيقة، إذْ هي أظهر في التأدب مع الله تبارك وتعالى، فلو أردنا المقارنة: أيهما أولى، وأخشع في التأدب مع الله تبارك وتعالى، قبض اليدين ووضع اليمنى على اليسرى، كما وردت السنة بها، أو إسدال اليدين - فلا شك أنَّ الأفضل والأحسن هو القبض، وهو المروي عن مالك، كما رواه ابن عبد البر وغيره.

قال ابن عبد البر: "لم يأت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه خلاف

---

1 - موطأ مالك، باب وضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة ، ج1، ص159 .

2 - ينمي ذلك : أي يرفع ذلك ويسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وهو قول جمهور الصحابة، والتابعين، ولم يحك عن مالك غيره" [1]، وعدَّ ابن رشد[•] من مستحبَّات الصلاة "وضع اليمنى على اليسرى في الصلاة"[2].

أما رواية ابن القاسم الإسدال عن مالك، فمن العلماء من يحملها على النافلة عند طول القيام، كما في صلاة التهجد والتراويح، كذلك منهم من علَّله بأن ذالك بعد مرور مالك بالمحنة على أيدي العباسيين، وتعرضه للتعذيب والأذى بعد أنْ أفتى الإمام بعدم وقوع طلاق المكره[3]، أما الإسدال بدون عذر، فقد نقل عن مالك كراهته [4]، والمشهور في المذهب أن القبض مستحبٌ إذا قصد به اتباع السنة، وفي بلغة السالك لأقرب المسالك لمذهب مالك قال:" فإن لم يقصد به الاعتماد، وإنما قصد التَّسَنُّنَ فمندوب"[5].

---

1 ـ شرح الزرقاني للموطأ ، ج1 ، ص454 .

• ـ ويعتبر بن رشد من جهابذة علماء المالكية ولد سنة 450 هـ ، له عدة مؤلفات منها: المقدمات والممهدات، والبيان والتحصيل، وهو جد ابن رشد الفيلسوف ، توفي سنة 520هـ.

2 ـ محمد بن أحمد المعروف بن رشد ، المقدمات الممهدات لابن رشد ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، مصر ص78.

3 ـ وكان مالك قد جلد وعذب على أيدي أحد الولاة العباسيين، بسبب فتواه في عدم وقوع طلاق المكره، بسبب وشاية وشاها به أحد الحساد ،المدونة ج1ص10 ، وانظر مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ج1 ، ص29.

4 ـ شرح الزرقاني ، ج1 ، ص454 .

5 ـ أحمد بن محمد الصاوي المالكي، بلغة السالك لأقرب المسالك لمذهب الإمام مالك،على شرح أحمد بن محمد بن أحمد الدردير ، دار النهضة، القاهرة، مصر، الطبعة الأخيرة، 1952م ج1 ص118 .

والشيخ كما سبق وعرفنا في أكثر من موضع مالكي المذهب، لكنه مع هذا لم يكن يتعصب لرأي معين، إنما كان معوَّله على الدليل، من أجل هذا كان يرى أن الأصح من مذهب مالك، القول باستحباب القبض، والتشريع .

• **مسألة المسح على الجوربين:**

المسح على الخفين، من السنن والرخص التي لا جدال فيها، والأحاديث التي وردت في المسح على الخفين، وأفضليته بلغت درجة التواتر، وهذا ما جعل علماء الحديث يستشهدون على الأحاديث المتواترة، ويضربون لها بالأمثلة أول ما يضربون بأحاديث ـ من كذب عليَّ، ومن بنى لله بيتاً، والخفين .. الخ .

ومنه قولهم:

مما تواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتاً واحتسب

ورؤية شفاعة والحوض ومسح خفين وهاذي بعض[1]

فالمسح على الخفين لا جدال فيه، وليس هو موضوع النِّقاش، ولكن المسألة التي عدها الناس جديدةً، وأثارت جدالاً في أوساط المتعلِّمين، وكذلك الشيب المتقدمين في السِّن، وغيرهم من العوام، ممَّن لا يعلمون الحكم الشرعي للمسح على الجوربين، ممَّا أدى إلى إحالة الموضوع إلى الشيخ، لكونه محطَّ ثقة الجميع، الشباب والشيب، فكان رأيه في هذه المسألة، أن المسح على الجوربين يكون للحاجة، مع توفر الشروط

---

1 ـ متن الشيخ التاودي، في حواشيه على الصحيح، راجع: نظم المتناثر من الحديث المتواتر للإمام محمد بن جعفر الكتاني، المكتبة الوقفية، 2007م، ص11.

المعروفة، وهي أن يلبس على طهارة، وللمسافر مسافة ثلاثة أيام، وللمقيم يوم وليلة، بزيادة أن يكون الجورب غليظاً، لا يشف، وأن يكون الدافع للمسح الحاجة، أما أن يسرف في المسح على الجوربين، بحيث يكون المسح في كل الأوقات، أو تكون الجوارب متسخةً، نتنة الرائحة، ممزقة، ففي هذه الحالة كان يرى بمنع المسح عليهما، مع ملاحظة أنه كان لا يمسح على الجوربين .

• **بيع الذهب بالدين:**

والعمدة في هذا حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في موطأ مالك وغيره، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(لا تبيعوا الذهب بالذهب إلا مثلاً بمثل، ولا تَشِفُّوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا الورِق بالورِق إلا مثلاً بمثل ولا تَشِفُّوا بعضها على بعض، ولا تبيعوا منها شيئاً غائباً بناجز)**[1] .

وقد أجاز شيخنا الدين في حلي المرأة خاصةً، معللاً ذلك بأنه لا يقصد منه الربح، وإنما قصد به المعروف والرفق بالناس، وتأجيل البائع لقبض الثمن من المشتري، لحاجته، فهذا التأجيل لا يقصد به الربح، وإنما قصد به الإرفاق، ومساعدة الناس، وإنما جوز شيخنا ـ رحمه الله ـ مثل هذه المعاملة تيسيراً على الناس[2] .

جاء في مواهب الجليل: ورأوا أن قصد المعروف يخصِّص العمومات، كما في القرض، ألا ترى أن بيع الذهب بالذهب نسيئة ممتنعٌ، فإذا كان

---

1 ـ موطأ الإمام مالك، باب بيع الذهب بالفضة تبراً وعيناً ، ج2 ، ص632 .

2 ـ رواية شفوية ، الحاج نصر السنوسي، 25 ـ 4 ـ 2009م.

على وجه القرض فجائز"[1].

• **ما يتعلق بالنذور:**

وفيما يتعلَّق بالنذر، فقد أفتى ـ رحمه الله ـ بجواز تغيير النَّذر، وتبديله، وذلك مراعاة للمصلحة، كأن ينذر أن يتصدق بشاة، فيجوز له أن يخرج عوضاً عنها مالاً، وذلك مراعاةً لمصلحة الفقير[2]، واستشهد بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في مسند الإمام أحمد، من حديث عَطَاءٍ عَنْ جَابِرٍ (أَنَّ رَجُلا قَالَ يوم الْفَتْحِ يَا رسُولَ اللَّهِ إِنِّي نذرْتُ إِن فتحَ اللَّهُ عليك مكةَ أَنْ أُصليَ فِي بَيت الْمقدسِ فقَال: **صَلِّ هَاهُنَا فَسأَلهُ فقال صَل هَاهنا فسَأَله فقال شَأْنُك إِذًا)**[3] .

---

1 ـ مواهب الجليل على مختصر خليل، ج6 ص459 .

2 ـ رواية شفوية، للشيخ محمد الصكي، 26 ـ 4 ـ 2009م، وقد علق الدكتور غيث الفاخري قائلاً: إن هذا مخالف لما عليه الجمهور.

3 ـ مسند الإمام أحمد، حديث رقم (2875)، وفي سنن أبي داوود، ومستدرك الحاكم، ولفظ أبي داوود رُوِيَ نَحْوُهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا مَخْلَدُ بْنُ خَالِدٍ حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ و حَدثَنَا عَبَاسٌ الْعَنبَرِيُّ الْمَعْنَى حَدَّثَنَا رَوْحٌ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي يُوسُفُ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَنَّهُ سَمِعَ حَفْصَ بْنَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَعَمْرٌو وَقَالَ عَبَّاسٌ ابْنُ حَنَّةَ أَخْبَرَاهُ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَوْفٍ عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْخَبَرِ زَادَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ لَوْ صَلَّيْتَ هَاهُنَا لَأَجْزَأَ عَنْكَ صَلَاةً فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَالَ أَبُو دَاوُد رَوَاهُ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ فَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ عُمَرَ وَقَالَ عَمْرُو بْنُ حَيَّةَ وَقَالَ أَخْبَرَاهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَعَنْ رِجَالٍ مَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَن (سنن أبي داوود ، حديث رقم/2875).

• **صيام ستة أيام من شوال، لمن عليه قضاء من رمضان:**

سئل شيخنا ـ رحمه الله تعالى ـ عن صيام ستة أيام من شوال لمن عليه قضاءٌ من رمضان، هل يجمع بين القضاء، وصيام ستة أيام من شوال، فأفتى أنه لا يجوز الجمع بين القضاء، وصيام ست أيام من شوال، ومن كان عليه قضاء من رمضان فيجب عليه القضاء أولاً، ثم يتطوع بصيام الست، إلا المرأة النفساء، التي يكون عليها قضاء شهر رمضان كاملاً، أو أكثر الشهر، فإنه يجوز لها أن تصوم الستة أولاً، ثم تقضي ما عليها، حتى لا يفوتها فضل الصيام في شوال[1].

وسئل شيخنا كذلك عن جواز إظهار صور الموتى في الجرائد، فأفتى بأن هذا لا يجوز، لما فيه من المباهاة بين الناس، وأن الميت لا يستفيد من هذا، وقال: إن الثمن الذي يدفع للجريدة لإظهار صورة الميت، الأولى أن يتصدَّق به على عائلةٍ فقيرةٍ، ويصل ثواب ذلك للميت إن شاء الله.

وكان ينهى عن اجتماع بعض الناس في بيت المريض، ويقرأ القرآن(**ختمة**) ثم بعد ذلك يؤتي بالوليمة للقرَّاء، قال إن هذا ليس من هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان من هديه عليه الصلاة والسلام، إذا دخل على المريض، يقول: **لا بأس طهور إن شاء الله، اللهم رب الناس أذهب البأس، .. الحديث**) ويمكن أن يقرأ للمريض في ماء، ويقصد الرقية الشرعية ـ ثم يشرب منه المريض، وما يريد دفعه للقراء من مال، يعطى صدقة تقسم على الفقراء، لقوله عليه الصلاة والسلام: **(داووا مرضاكم**

---

1 ـ رواية شفوية، للشيخ محمد الصكي، 20ـ 4ـ 2009م .

بالصدقة)[1].

• مصافحة النساء:

وسئل شيخنا، هل يجوزمصافحة النساء الأجانب، فقال: لا يجوز، وهي حرام [2]، واستشهد بالأثر الوارد عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

1 ـ الحديث أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط والكبير، وروايته في الأوسط، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، وأعدوا للبلاء الدعاء) معجم الطبراني الأوسط حديث رقم(2037) وقال : لم يرو هذا الحديث عن الحكم إلا موسى بن عمير، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان، من طريق فيه فضال بن جبير، وقال البيهقي: فضال صاحب مناكير، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، 487/7 وقال ضعيف جداً .

ـ نقول: إن معنى هذا الحديث صحيح، فقد ورد الحض على الصدقة في غير ما موضع من كتاب الله، وكذلك في الصدقة وفضلها وردت أحاديث كثيرةٌ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن النصوص القرآنية العامة الدالة على فضل الصدقة عموماً، وأنها تطهير للبدن، وتزكية للنفس، قوله تعالى: ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ وقوله: ﴿ وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾. وأورد الألبانى في كتابه صحيح الترغيب والترهيب، باب الترغيب في أداء الزكاة، من حديث الحسن رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "داووا مرضاكم بالصدقة "، وقال :(حسن لغيره) حديث رقم/744.

2 ـ رواية شفوية، سالم سليمان الجديد، 14ـ 11ـ 2009م، (سالم سليمان، أحد طلبة الشيخ المجتهدين، وقد قرأ على الشيخ عدة كتب ورسائل، منها كتاب، سبل السلام للصنعاني).

(إني لا أصافح النساء.. الحديث)[1].

وقد استشرت هذه العادة في البادية، وأسرف الناس فيها كثيراً، حتى إن بعض النساء تحرَّجن من هذا، وبالذات في الأعياد والمناسبات، وقد كان هذا قبل انتشارالعلم في البلد، حتى إن بعض العامة، استهجن فتوى الشيخ بتحريم المصافحة، ولكن مع الوقت، وانتشار العلم، صار هذا معلوماً، ولم ينكره أحد .

• اقتناء التلفاز:

من المسائل التي أثارت جدلاً بين الناس كما يحدّث الشيخ ـ رحمه الله ـ **مسألة اقتناء التلفاز قديماً**، وكان هذا في أول ظهوره في ليبيا في

---

1 ـ الحديث في موطأ مالك، باب ما جاء في البيعة، وسنن النسائي، باب بيعة النساء، حديث رقم/4110، وفي سنن ابن ماجة، وفي مسند الإمام أحمد، وغيرهم، وكلهم من رواية أميمة بنت رقية ـ رضي الله عنها ـ أما في صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وفي سنن ابن ماجة، و عند غيرهم، من رواية عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها، ولفظه كما في البخاري عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى النبي صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ إلى آخر الآية ، قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات فقد أقر بالمحنة (تشير إلى شرط الإيمان ـ انظر: فتح الباري، ج7 ، ص122)، فكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا أقررن بذلك من قولهن، قال لهن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ انطلقن فقد بايعتكن لا والله ما مست يد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يد امرأة قط، غير أنه بايعهن بالكلام، والله ما أخذ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على النساء إلا بما أمره الله يقول لهن، إذا أخذ عليهن قد بايعتكن كلاماً، صحيح البخاري، باب إذا أسلمت المشركة، حديث رقم/4879.

أواخر الستينيات وبداية السبعينيات من القرن الماضي ، قال الشيخ وقد أثار جدلاً واسعاً وبخاصة بعد اقتنائي له، حتى أنَّه ذكر أنَّ أحد الخطباء كان يتحدث ويقول: **(الشيخ عيسى يريد نفسه عالم وهو قد أدخل الشيطان في بيته ـ يعني التلفاز)**.

وقد روى لنا الشيخ هذا القول بالنَّص، قال: ونقل إليَّ أنه صار يتحدث على المنبر بهذا ، وقال لي أحد الأصحاب ألا ترد عليه يا شيخ؟ فقلت له دعه، سيأتيه يوم ويقتنيه هو أيضاً ـ يعني التلفاز ـ وهذا ما حصل، كما ذكر لنا الشيخ: فلم يمض زمن، إذ بذلك الرجل يكون من السباقين لاقتناء التلفاز في المدينة.

وهذا يذكرني بالجدل الذي حدث في أيامنا ، بعد ظهور أجهزة الاستقبال من الأقمار الاصطناعية "الستلايت" وحدث حولها جدلٌ كبيرٌ، وتناولها خطباءُ على منابرهم تحذيراً من اقتنائها ، وتفسيقاً ، وتجريماً لمستخدمها ، ورفع الموضوع للشيخ فقال: يا أبنائي لا تكثروا من الجدال حول هذا الموضوع، هذه الأجهزة لا علاقة لها بحلٍّ ولا تحريم، بل هي تعتمد على مستخدمها ، إن استخدمها في الحلال وفي ما ينفع ـ فهي من الحلال، ولا بأس في استعمالها ، وإن استخدمها فيما يضر وفي معصية الله، فهي كذلك، كالسكين يستعمل في الخير ويستعمل في الشر، وكالعنب تأكله طيباً رزقاً حلالاً ، أو تحوله خمراً مسكراً خبيثاً ، فأنت وما تختار .

وفاته ومآثره :

بعد عمر ناهز الرابعة والتسعين، وسنين كانت حافلة بالدعوة إلى الله تعالى، وصبر جميلٍ على الأذى وتحمل للمشاق في صمت وحلم يقل وجودهما في زماننا اليوم، توفي الشيخ عيسى الفاخري عصر يوم الجمعة الثاني من رمضان لسنة1420هـ الموافق 10 ـ 12 ـ 1999م .

يذكر الحاج نصر السنوسي، أن الشيخ ـ رحمه الله ـ كان قد حدثه عن رؤيا رآها قبل وفاته بنحو عام، وبالتحديد في عيد الفطر، فقال له الشيخ: رأيت في المنام، أن شخصاً دخل عليه، وأن هذا الشخص غريب لا أعرفه، ولم يكن من المترددين على، فوجه اللوم لى قائلاً: إن الناس غير مستقيمين، فلماذا لم تعظهم؟ فقلت له: إني رجل كبير في السن، ومريض، ومن يأتيني، أعظه وأوجِّهه، قال: فخرج من عندي ثم عاد مرة أخرى، وأدخل عليَّ فاكهة طيبة كثيرة مختلفة الأنواع، كأحسن ما تكون الفاكهة نضارةً، ورائحةً، لم أعهدها من قبل، وأخذ يدخلها عليَّ، ثم استيقظت من النوم[1].

وذكر لي كذلك أن هناك شخصًا يدعى طارق دقاش المجبري، كان يسمع عن الشيخ ولم يعرفه من قبل إلا عن طريق السَّماع، قال طارق: فعزمت في نفسي أن أذهب إليه، وفي نفس الليلة التي عزمت فيها على

---

1 ـ رواية شفوية للحاج نصر السنوسي، سألت الحاج نصر السنوسي، هل أوَّل لك الشيخ هذه الرؤيا؟ فقال لي، لا، ولكنِّي أولتها، أن أجل الشيخ قد دنا، وإن هذه الفاكهة ما هي إلا ثمار الجنة، نسأل الله أن يمتعه بثمار الجنة، وأن يجعله من أهلها، وأن يجمعنا به في أعلى عليين، آمين .

الذَّهاب للشيخ، رأيت في المنام، وكأن قائلاً يقول لي، الشمس قاربت على الغروب، قال فلما أصبحت، ذهبت إلى الشيخ وتعرفت عليه وواظبت على زيارته، ثم لم تمض ثلاثة أشهر على هذه الرؤيا حتى توفي الشيخ ، رحمه الله تعالى[1].

وبهذا نكون قد عرفنا ولو بشكل وجيز، ومجمل عن سيرة شيخنا عيسى بن بلقاسم بن إبراهيم الفاخري ، رحمه الله تعالى رحمة واسعةً وجمعنا به في الفردوس الأعلى ، آمين .

ونحن على يقينٍ أن ما ذُكر هو غيض من فيض، ونقطة في بحر، ولكن هذا جهدي المتواضع، الذي حاولت من خلاله التعريف بشَيْخي، وبعلمه ومنهجه، ولا يخلوا عمل من قصور، فإن أكن أحسنت فمن الله وحده، وإن تكن الأخرى، فأسأل الله تعالى معافاته، وأرجو من كل أخ كريم يقرأ هذا العمل، أن لا يبخل عليَّ بالنصح والتوجيه، " **فالدين النصيحة**" وليلتمس لي العذر إن زلَّ قلمي، أو تاه تعبيري عن المعنى المراد، فالخير أردت، وختاماً، أسأل الله من فضله، فهو بكل جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

1 ـ رواية شفوية للحاج نصر السنوسي، 25ـ 4ـ 2009م .

- **الأسباب التي ساهمت في عدم تدوين علم الشيخ عيسى الفاخري :**

لقد ساهمت عدة عوامل في عدم تدوين علم الشيخ عيسى الفاخري، وهي كذلك أدت إلى قلة ما نقل عنه، من فتاوى ودروس نذكر منها ما يلي:

1 ـ تقصير الطلبة والمترددين على الشيخ في هذا الجانب، لأنه والحق يُقال: إن الشيخ كان لا يمانع أن نكتب عنه، وندوِّن فتاويه وآراءه، بل وكان يحثنا على ذلك، من غير إلزام لنا، أوالتشديد علينا في هذا الجانب، بل كان يذكر لنا أهمية الكتابة وتقييد العلم بها، ويستشهد بالأبيات :

العلم صيد والكتابة قيده قيد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتفكّها بين الخلائق طالقة[1]

قال الدكتور سعد حماد: نعتقد أن عدم تدوين علم الشيخ، يرجع بالدرجة الأولى إلى تقصيرمنا ـ وأنا من بين المقصرين ـ في الاهتمام بهذا العلم الفريد في مجالات الفقه العديدة، وسبحان الله، فإننا لم نشعر بهذا التقصير في جنبه، حتى نستفيد من علم الشيخ يوم أن كان بيننا[2].

2 ـ لم يكن الشيخ ـ رحمه الله ـ يحب الشهرة، بل كان جلُّ اهتمامه، أن يجيب السائلين، وأن يوجه الطلبة والدَّارسين، وكان في كل هذا بعيداً عن الأضواء والإعلام، بل نعتقد أنه كان مبالغاً في هذا الجانب، من

---

1 ـ إعانة الطالبين، أبوبكر محمد الدمياطي، مكتبة الحلبي، سوريا، 1997م، ج4 ص5 .

2 ـ الدكتور سعد حماد، إجابة عن أسئلة في منهجية الشيخ، 7 ـ 2ـ 2008م .

هذه الناحية بالذات، حتى إنَّني أذكر مرةً أنه طلب مني الأستاذ مدير المعهد العالي للمعلمين إجدابيا، سنة 1996م أن أدعو الشيخ لحفل يقيمه المعهد، ويريدون في هذا الحفل تكريم الشيخ، وأن يلقي لهم كلمةً بالمناسبة، فلم يتحمس الشيخ للفكرة، وفضَّل عدم الذهاب، واعتذر لي بمرضه وبكبر سنه .

3 ـ إقامة الشيخ في مدينة ينحدر أغلب أهلها من البدو الذين تغلب عليهم الأميَّة، فلم تكن لهم اهتمامات واسعة بالعلم، ولا التفات للعلماء، ومن الشواهد على ذلك، قصة الشيخ مع ذلك الأعمى الذي جاءه مرة ليرى ما عنده من بضاعة، فقال الشيخ: إذا كنت تريد مجلس الشعر، فذاك عمي حسن يقصد**(حسن الاقطع)** وإن كنت تريد المنازعات وشؤون الأراضي، فذاك عمي سعد، وإن كنت تحب العلم، فأقبل إليَّ، والرجل بطبيعة الحال اختار الشعر، وترك العلم[1].

وهذه هي طبيعة معظم الناس في برقة إلا من أنار الله دروبهم بالعلم والعمل، حتى إن الشيخ اشتكى لي مرةً من تفريط الناس في العلم، وقلة زيارتهم له، والتردد عليه، حتى تجده يمرُّ عليه اليوم واليومان ولا يزوره أحد، وقال: غالبية الناس لا يأتونني إلا من أجل السؤال، ومنهم من يسألني وهو واقف، حتى إنه لا يخلع نعله من استعجاله، يريد مسألته فقط، ثم ينصرف، وأحياناً يقول السائل إني مستعجل!! ويقول عن بعض تلامذته الذين ينقطعون عنه مدة طويلة، عندما يُسأل عن أحدهم، أين فلان يا شيخ؟ فيقول: تخرَّج !.

---

1 ـ انظر: حسن المايل، درة الأقصى وذكريات لا تنسى، ص26 .

4 ـ أن السائلين الذين كانوا يأتون للشيخ، كانوا يأتونه من أجل السؤال عن مسائلهم فقط، ولم يهتموا بتدوين الإجابات، والردود التي كانوا يتلقونها منه[1].

5 ـ نعتقد كذلك أن الشيخ قد قصّر في حقِّ نفسه من هذه الناحية، فلم يعمل برنامجاً خاصّاً به يشرف عليه بنفسه، ويحضُّ علينا فيه بالتدوين في مجالٍ معين، من مجالات العلوم الشرعية التي كان ضليعاً فيها، قال الأستاذ علي المصراتي: لقد كان من أكبر عيوب هؤلاء ـ ويقصد العلماء الليبيين الذين طواهم الزمن دون أن يدون علمهم ـ أنهم كانوا لا يسجلون، ولا يكتبون، ولا حتى ينظمون أحاديثهم، ومغامراتهم أثناء الروايات والذكريات، فضاعت وراحت تسفوها رياح الزمن، وأعاصير الحياة[2].

6 ـ قلة الإمكانيات في الوقت الذي كان فيه الشيخ عيسى الفاخري شاباً وعنده مقدرة وتحمل للدرس واستعداد أكثر، فلم يكن في البلد من إمكانات للتدوين والتسجيل، كما وُجِد بعد، لمَّا كبر الشيخ وتقدمت به السنُّ، ولم يكن عطاؤه كما كان من قبل، فلم يعد يستطيع الخروج للدرس، ولا إقامة الندوات والمحاضرات كما كان من قبل، في الوقت الذي وجد فيه بعض طلبة العلم المترددين على الشيخ والمستعدين للتدوين، ولكن عمر الشيخ، وصحته، لم يعودا يسمحان بمكث الطلاب عنده لأوقات طويلة لغرض التدوين والكتابة، حتى أذكر مرة أنِّي جئت للشيخ بألفية ابن مالك في النحو والصرف، رجاء أن يسمح لي

---

1 ـ رواية شفوية للشيخ مفتاح، 14 ـ 8 ـ 2008م .

2 ـ نماذج في الظل، علي مصطفى المصراتي، ص197 .

بمطالعتها معه، وتدوين شرحٍ مختصرٍ للطلاب، فقال لي يا بني، جئتني الآن وقد تجاوزت الثمانين من العمر، ولا قدرة لي على ذلك، واعتذر رحمه الله .

الوظائف والأوراد والرقاق:

لم يكن شيخنا ـ رحمه الله ـ يحب اطلاعنا على وظائفه وأوراده، على الرغم من أنَّنا كنا نلح عليه أن يطلعنا على هذه الأوراد والرقائق، لكي يكون ذلك حافزاً لنا على الاجتهاد، ومشجعاً على تنظيم الأوقات في العبادة، وطلب العلم، سألته مرةً، في كم تختم القرآن يا شيخ؟ فقال لي، في كل يوم أقرأ (عشرة أحزاب)، بمعنى أنه كان يختم كل ستة أيام .

أذكر أني قرأت عليه كتاب الرحيق المختوم في السيرة، وعكفنا على دراسته مدةً تزيد عن شهرين، يستوقفني الشيخ فيها على الأحداث والمشاهد التي مر بها النبيِّ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى إذا وصلنا إلى ختام سيرته العطرة، وانتقال روحه الطاهرة إلى الرفيق الأعلى، نظرت إلى شيخنا فإذ عيناه تذرفان، وهو يقول عليك الصلاة والسلام يا رسول الله .

كذلك كنا عندما نجلس عنده في الدرس، سواءٌ كان في درسٍ منفردٍ، أو مع جماعةٍ من الطلبة، فإذا فرغنا من المجلس، كان يذكرنا بكفارة المجلس، ويقرؤها علينا بصوتٍ مرتفعٍ، ويحثنا عليها، وما فهمنا مقصده ـ رحمه الله ـ من ذلك إلا بعد زمنٍ من وفاته، حيث تبين لنا أنه كان يجهر بكفارة المجلس، مع أن المجلس عنده لم يكن إلا مجلس علم، ولكنه كان يعلمنا ضرورة الحرص والمحافظة على هذا الذكر القيم بعد

كل مجلس[1][2].

وفي الثبات على الدعوة، وتحمل الشدائد، والصبر على العوام، عندما قدم الشيخ من مصر، وكان شاباً متحمِّساً، والناس أهل بادية، يميلون للشعراء أكثر من ميلهم للخطباء، وللقصاص أكثر منهم للوعاظ، فاشتكى بعض المتذمرين من خطبه المليئة بالعلم الصحيح، والبعيدة عن البدع والخرافات، وكان قد قدم الشكوى لوالد الشيخ، الحاج بلقاسم، فقال الحاج بلقاسم لابنه عيسى: يا بني هؤلاء الناس يريدون الشِّعر، ولا يريدون هذا الوعظ، وما معك أحد غير الله! فقال له الشيخ، أهذا الذي ذكرته معي؟ - يقصد الله عز وجل - فقال نعم، قال فإذاً، لا أبالي بما سواه.

---

1 - الشريف الشارف، 3- 5- 2009م .

2 - وردت أحاديث في كفارة المجلس، منها ما جاء في سنن أبي داوود وغيره، ورواية أبي داوود ، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، كلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلسه عند قيامه ثلاث مرات إلا كفر بهن عنه، ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر إلا ختم له بهن عليه كما يختم على الصحيفة، سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)(أخرجه أبوداوود في سننه، حديث رقم/4216)، وفي رواية الطبراني، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: كفارة المجلس أن لا يقوم، حتى يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، تب عليَّ، واغفر لي، يقولها ثلاث مرات، فإن كان في مجلس لغط كانت كفارة له، وإن كان مجلس ذكر، كانت طابعاً عليه)(أخرجه الطبراني في الكبير، حديث رقم/1566) .

أقوال الناس فيه، ورثائهم له، وذكرهم شمائله:

قصيدة رثاء قيلت في الشيخ، وهي من إعداد الأستاذ الشاعر، والأديب الكاتب، جمعة الفاخري، يقول فيها:

سلامٌ أيها الشيخُ المسجَّى

في رثاءِ الشَّيخِ الجليلِ العلاَّمَةِ عيسى الفاخري

هَدَأتَ فَنِمْتَ ، عَنْكَ الْكَوْنُ ضَجَّا ... سَـــلامٌ أَيُّهَـــا الشَّـــيْخُ المسَـــجَّى

وَقَـــرَّتْ روحُـــكَ الأنْقَـــى وآبَـــتْ ... إلى الـــرَّحمنِ قـــد بلَغَـــتْ مَحَجَّـــا

سَـــلامٌ دائـــمٌ مَـــا قـــامَ عبـــدٌ ... يرتِّـــلُ خَاشِـــعًا ذِكْـــرًا ويلجـــا

أَحَـــيٌّ أنـــتَ أَمْ مَيْـــتٌ أَجِـــبْني ... قلـــوبُ العـــارفينَ تـــذوبُ لهجـــا

رَضِـيًّا في جنـانِ الخلـدِ تخطـو ... وتقطـفُ شـاكِرًا مـا كـانَ يُرجـى

تجـوبُ رِحابَهـا الفيحَـاءَ زهـوًا ... تـــرودُ جنَانَهَـــا نهجًـــا فنَهْجَـــا

وَتَرْفُـــلُ في فـــراديسٍ وَنُعْمَـــى ... تُعَـــانِقُ راضـــيًا دَوْحًـــا وَمَرْجَـــا

وتغـرفُ مـن معـينِ الخلـدِ عَبًّـا ... وتختَـــارُ الْحِسَـــانَ الغيـــدَ دُعْجَـــا

أَرَاعَ النَّـاسَ أن سمعـوا بخطـبٍ ... أَسَـــالَ مَـــدَامِعًا وَأَذَابُ مُهْجـــا

تَنَـادَى الخلـقُ وازدحـمَ المصـلَّى ... أَثَـــارَ نَحِيْـــبُهُم صَـــخَبًا وَهَرْجـــا

أذاكَ الشَّـيْخُ حَـلَّ اليـومَ ضـيفًا ... علـى مـولاهُ ؟ كـم صـلَّى وَحَجَّـا

سِرَاجًا كُنْتَ لِلْحَـيرَانِ هَـدْيٌ ... لمـن يبغـي هُـدَى الإِسْـلامِ نهجـا

فكـم هـدَّأتَ مـن مهـجٍ حيـارى ... وقلـبٍ فيـه سُـوْءُ الظَّـنِّ ضَـجَّا

وكـم أشـعَلْتَ للفتـوى فتـيلاً ... وكـم أَسْـرَجْتَ للحـيرَانِ سُـرْجا

إليـكَ رِحَـالُهُم شُـدَّت حَيَـارَى ... فكـمْ قَطَـعَ الأنـامُ إليـكَ فَجَّـا

تَبِعْـتَ الحـقَّ تبيانًـا وَدِينًـا ... بلغَـتْ بعلمِـكَ المحمـودِ أَوْجـا

صَـعَدْتَ منـابرًا للحـقِّ تـدعو ... فَرَجَّـتْ رغـمَ وَهْـنِ الصَّـوْتِ رَجَّـا
رُزِقْـتَ بصـيرةً وَهُـديْتَ علمًـا ... أَخَـيرًا كـانَ بعـدَهما فيرجـى؟
دَعَـاكَ المـوتُ لم تجـزعْ لخطـبٍ ... فَمَـا فِي الْعُمْـرِ مـن شَـيْءٍ يُرَجَّـى
أَفِي التِّسْـعِينَ آمـالٌ لحـيٍّ ... وطعـمُ العـيشِ صـارَ اليـومَ فجًّـا
فَمَـا فَتَتَـكَ ذِي الـدُّنيا بشـيءٍ ... وَإِنْ أَغرَتْـكَ كـي تُبْـدِيكَ وَهْجَـا
تَقِيًّـا عِشْـتَ فِي الـدُّنيا بِزُهْـدٍ ... فَكَـانَ الزُّهْـدُ فيهـا خـيرَ مَنْجَـى
وَإِنْ عُـدَّ الْهُـدَاةُ ذُكِـرْتَ فـيهم ... بحسُـنِ الـذِّكْرِ مـن أولى وأحجـى
فَـذِكْرُكَ لم يَـزَلْ عَطِـرًا زَكِيًّـا ... علـى ذِكْـرَاكَ فَـاحَ الكـونُ أَرْجـا
وَوَجْهُـكَ لم يَـزَلْ طَلِـقَ المُحَيَّـا ... وَنَهْجُـكَ لم يَـزَلْ يَـزدَادُ وَهْجـا
قَرِيْـرَ العـينِ نمْ واهنـأْ بعلـمٍ ... رفيـعِ القـدْرِ راقَ الْعِلْـمُ مَنْجَـى
بَكَتْـكَ مَـدِينتي عَلَمًـا فَقِيْهًـا ... أَفَـادَ بِعِلْمِـهِ فوجًـا ففوجـا
بَكَيْتُـكَ رَاثِيًـا فَبَكيْـتُ نفسـي ... مَزَجْـتُ مَـدَامِعِي بالـدَّمِّ مزجـا
بَكَيْتُـكَ صَـادِقًا فَنَعَيْـتُ بَحْـرًا ... سَـلامٌ أيُّهـا الْعَلَـمُ المسَـجَّى

ومن المآثر التي قيلت فيه، وفي الإشادة به وبعلمه، وهو شعرٌ عاميٌّ، من الشاعر المعروف، حسن **(الاقطع)** رحمه الله ـ قوله :

الله ايشرفك، شرفت جملة ناسك

جمعت المذاهب الاربعة في راسك[1]

1ـ رواية شفوية، الشيخ مفتاح الفاخري، 14 ـ 8 ـ 2008م .

ورثاه الحاج موسى عمر الهبري
وهو أحد تلامذته وجلسائه القدامى،
كما مر علينا، بقصيدة عاميةٍ فقال:

موسى ايعزي في الفواخر كلهم ... وجملة اللي في اجدابيا ايعزيه
في الشيخ عيسى مات والله يرحمه ... جميع الفضايل ربنا عاطيه
نظيف عفيف قنوع ربي خالقه ... صادق وماودك امغير اتجيه
ما ايقول لك كلمة خبيثة اتوجعك ... مبسوط تمشي وين ما تاتيه
جميع من ايجيه وايحضر مجلسه ... ايدله على القران ويوريه
شيخ علم متواضع اخلاقة فاضله ... القرآن كله يحفظه يرويه
ويحفظ اعلوم الدين فاهم مذاهبه ... والنحو والتاريخ بارع فيه
افضاله على اجدابيا كثيرة فايضة ... كل من ايشوف الشيخ يفخر بيه
كثير من الطلاب منه حصلوا ... اعلوم نافعة ما فيه حد ناسيه
شهادات من الازهر تفوق جابهن ... وهو بصير لكن ربنا مقويه
استاذي ايعز علي وانا انقدره ... ولهو ايعزني واجد عزيز عليه
قريب خمسين عام وانا نعرفه ... والزين ديما يمدحه ماضيه
شيخي فقدته دوم ما عاد ننظره ... لو ينفدى بالمال نا نفديه
في ثلاث في ارمضان كانت الخاتمة ... في يوم جمعة يوم متمنيه[1]

---

1 ـ الحاج موسى عمر الهبري، 11 ـ 12 ـ 1999م .

ورثاه الشيخ الشاعر الشريف الشارف فقال:

في رثاء العالم الجليل

الشيخ عيسى الفاخري رحمه الله تعالى

يـا شيـخ عيـسى غيبتـك موعرهـا ... لْحق في القريب وفْ البعيد آثرها

يا فـــــقيه بلادي ... يـا اللّـي مْرضّيـها حضـر وبـوادي

تفهّـم اللّـي نـاشي ودوبـه بـادي ... نـين الطريـق الواضحـه يَخبرهـا

وتـرشد الْخايـب نـين يبـقى هـادي ... اللّي تْهاب فيه النـاس ومـذعّرهـا

يا ولـــــد بلقاسم ... يـا شـيخ ميعـاد العـلوم الراسـم

ديْمـا جوابـك للمسـايل حـاسم ... بْعلـم ودلايـل فتـوتك تصدرهـا

وإن جاك شخص متكدّر يْعاود باسم ... ترفـّه علـي نفسـه يْـزول غثرهـا

النـاس لاهيـه فِ الفانيـه اتّقـاسم ... وأنـتَ في مجالـس علمهـا نوَّرهـا

حكـــــمتك مفيده ... الله يرحمك بصَّرت نـاس عديده

مـا مـن اللّـي صححَّـت لْـه العقيـده ... نصحتـه بْقـولة فكرتـك غيِّرهـا

ادعـي الله لا تشـرك معـاه عـبيده ... حتى لو يكونوا هم خْيار بشرها

وباطـل يْمينـك مـن لسانـك حـيده ... حلوفتك بْغير اللّي نشاك اهجرها

وإن كـان قلتـه عفـوًا بـلا تعـميده ... وحـــدّ المـولى زلّتـــك يغفرهـــا

ولا بْجـاه خلـقه تطلبـه تأييـده ... ادعـوني ونـا مُجيـب جـاك خبرهـا

تعـالى الخالـق مـا هنـاك نديـده ... اقـرا الفاتحـة بْخشـوع وادّبـَّرها

إيَّاك نعبدوا عَ الفهم ميش مكيده ... وإيَّاك نستعين وضوحهـا فسَّـرها

ولا إن درت قـبر تعـول في تشـييده ... القبَّه علي الميِّت الشرع أنكرهـا

عفـــــيف وصابر ... شديد عزم ديما عَ الهموم اتكابر

اربـاوة ألـواح محـاذيـات مَحابـر نواجـع اقـرا وآذان في موكرهـا
فقيرهن علـى الذكر الحكيم مثابر خالـد ارميلـه قبلنـا ذاكرهـا
ويامـا خطـبت بْعلـم فـوق منـابر مـا مـن نصيحـه طيِّبـه ناشـرها
وإن جاك من خصيص قْطاف يهلب عابر نين سكتك يردي عليه ضررها
ومْعَ العلم فاهم فِ الْحياه وخـابر مْعايش نصيب أحداث ومعـاصرها
سـريبه عجـيب ثْـراب هـالمقابر مـا مـن طميره عامـره طامرهـا
البيت ما يخيـل إن طـاح منَّا جابر ولـبلاد شيـخ العلـم هـو جابرهـا
اجدابيـه اللّي بالقـدر فيها كابـر سبيل عادتك عصران كيف عصرها
مدينـة وفـا مـن وقـت عهـده غابـر يَموت شهمها ويخلَّده شاعرهـا
يـا شـيخ عيسـى غيبتـك مـوعرها لْحق في القـريب وفِ البعيد آثـرها

ورقة بيضاء

(نهاية الفصل الثالث وقبل ورقة عنوان الملاحق)

لتبدأ الملاحق برقم فردي

ملاحـــق

ورقة بيضاء

(ظهر عنوان الملاحـق)

(هذه صورة التقطت للشيخ في بيته، سنة 1997م)

هـذه الصـورة التقطـت سـنة 1997م للشـيخ، وعـن يمينـه أحـد تلامذتـه القدامى، والمترددين الأوائل على الشيخ، وهـو الحـاج محمـد اجريـو، وقـد أخـذت هذه اللقطة، من مجلس العلم الذي كان يقام في بيت الشيخ كل صباح، وهذا بعد أن تقدمت به السن، ولم يعد يستطيع الخروج إلى المسجد، فكان السائلون والمستفتون وذوو الحوائج، يأتون للشيخ في بيته، في الفترتين، كما سبق وأشرنا ـ الفترة الصباحية، والفترة المسائية ـ وكان الشيخ قد أوقف نفسه لطلبة العلم والمستفتين وطلبة القرآن على مدار العام، باستثناء يوم الجمعة في الفترة الصباحية، فالمعروف أن الشيخ لا يخرج إلى الدرس في يوم الجمعة، صباحاً، إلا إذا كان هناك مسألة عاجلة، فإنه كان لا يرد أحداً .

هذه الصورة كذلك، التقطت للشيخ في درس العلم، في منزله، وكانت في الفترة الصباحية، وكان للشيخ جلستان في بيته، واحدة لطلبة العلم، والأخرى للدُّروس الخاصة، ففي بعض الأحيان يأتي بعض السائلين ليسألوا الشيخ أسئلة خاصة، تتعلق أحياناً بالمعاملات، أو الأسئلة التي تكون في الأمور الاجتماعية، فكان الشيخ يستأذننا ليخلوَ به السائل في المجلس الخاص، أما المجالس العامة الخاصة بالطلبة كهذا المجلس، فيجتمع فيه الطلبة، بمختلف تخصُّصاتهم، وانتقائهم من العلوم الشرعية، والعلمية،

وعندما يَكثر الطلبة على الشيخ في الحلقة، وكل منهم يريد قراءة كتاب متخصص، فقد كان الشيخ - رحمه الله تعالى - ، يقيم دروسه لهم، إما بالتناوب واحداً بعد واحد، فإذا فرغ هذا من درس القرآن مثلاً، ينتقل إلى درس الحديث مع الآخر، ثم العقيدة، فاللغة العربية، وهكذا، بحيث يأخذ كل منهم دوره، وتكون فرصة للجالس في درس القرآن من طلبة الحديث، ليتقوى في القرآن، ومن طلبة العقيدة ليتقوّى في الحديث، وهكذا، وأحياناً، كان يرتب لكل واحد من الطلبة موعداً مستقلاً، ليتفرغ له في الشرح، وتوضيح جزئيات الدرس، والأسئلة، وغيرها، أو يحدد لكل واحد يومًا معينًا، ليتفرغ تفرغاً تامًا لكل طالب على حده .

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية

الشهادة الأولية

استحق هذه الشهادة الشيخ عيسى أبو القاسم إبراهيم المالكي المذهب ابن أبي القاسم إبراهيم من ناحية العزبة بمديرية الغربية التابعة لمركز (أو قسم) ميت البصل بمديرية أو محافظة الإسكندرية ومن طلبة العلم الشريف بمعهد الإسكندرية بعد أن أدى الامتحان بنجاح في علوم الشهادة الأولية . وقد صدق مجلس الأزهر الأعلى على نتيجة هذا الامتحان في جلسة ٢٥ رجب سنة ١٣٥٠ هـ

(٥ ديسمبر سنة ١٩٣١ م)

شيخ الجامع الأزهر
ورئيس مجلسه الأعلى

مبصر أو كفيف	الترتيب	عدد الناجحين	امضاء صاحب الشهادة
كفيف	٢	٢٨	

سجل مشيخة الإسكندرية
برقم ٤٠

المطبعة الأميرية ١٠٤٢ - ١٩٣١ - ١٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة المصرية

الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية

الشهادة الثانوية (القسم الأول)

تستحق هذه الشهادة عيسى أبو القاسم إبراهيم بن أبي القاسم إبراهيم المولود سنة ١٩١١ في الإسكندرية بقسم الرمل بمحافظة الإسكندرية المالكي المذهب بعد أن نجح في امتحانها المنعقد سنة ١٣٥٣ هجرية (سنة ١٩٣٤ ميلادية) وكان ترتيبه فيه الناس م من مجموع الناجحين وعددهم ناجحون من المكفوفين المنتسبين

والله تعالى نسأل أن يوفقه لخدمة العلم والدين

شيخ الجامع الأزهر

القاهرة في ١٥ شوال سنة ١٣٥٣ هـ ٢٠ يناير سنة ١٩٣٥ م

توقيع صاحب الشهادة بخط يده

كل كشط أو تغيير في هذه الشهادة يلغيها

سجلت في معهد الإسكندرية (رقم)

بسم الله الرحمن الرحيم

الشهادة العالمية

للمعاهد الأزهرية المعترف بها من الدولة العلمية والأكاديمية

الشهادة الثانوية (القسم الثاني)

تشهد مشيخة الأزهر بأن الطالب أبو القاسم البصير بن المرحوم الحاج عيسى البصير من مواليد مدينة غدامس سنة ١٩١١م

المقيد بالسنة الثالثة بالمعهد الديني بمدينة طرابلس الغرب قد نجح في امتحانها النهائي المعقود سنة ١٣٥٥هـ

بجهة (طرابلس الغرب) وكان ترتيبه فيها العاشر من مجموع الناجحين

وعددهم ثمانية عشر من مختلف الجهات

والله نسأل أن يوفقه لخدمة العلم والدين

تحريراً في ٢٥ رمضان سنة ١٣٥٦هـ الموافق ٢٩ مارس سنة ١٩٣٧م

شيخ الجامع الأزهر

(محمد مصطفى المراغي)

سجلت في معهد الأزهر بمصر (رقم ٢٨)

توقيع صاحب الشهادة بخطه

(أبو القاسم البصير)

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة المصرية

الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية

الشهادة العالية لكلية الشريعة

استحق هذه الشهادة الشيخ عيسى أبو هاشم إبراهيم بن أبو هاشم إبراهيم به إبراهيم
المولود سنة اثنتين وثمانين ومائتين وألف هجرية في مديرية قنا من أعمال محافظة قنا على المذهب
بعد أن نجح في امتحانها المنعقد سنة ١٣٥٩ هجرية (سنة ١٩٤٠ ميلادية) وكان
ترتيبه فيه الثالث من مجموع الناجحين وعددهم
ثمانية من المتقدمين للامتحان

والله تعالى نسأل أن يوفقه لخدمة العلم والدين

القاهرة في ذي القعدة سنة ١٣٥٩ هـ وفي ديسمبر سنة ١٩٤٠ م شيخ الجامع الأزهر

توقيع صاحب الشهادة بخط يده

لا يكتب أو تغيير في هذه الشهادة بلغها

سجلت بالكلية (رقم ٤)

صورة الشهادة العالية التي تحصل عليها الشيخ من الأزهر،
وكانت في ذي القعدة سنة 1359هـ، الموافق ديسمبر سنة 1940م .

أجزاء من مخطوطة لنسب وفروع قبيلة الفواخر، وذكر أصولهم وتثبيت الروايات التي ترجع نسبهم إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفق النسب الذي أملاه الشيخ في سبعينيات القرن الماضي، وكتبته ابنته خديجة بخط يدها .

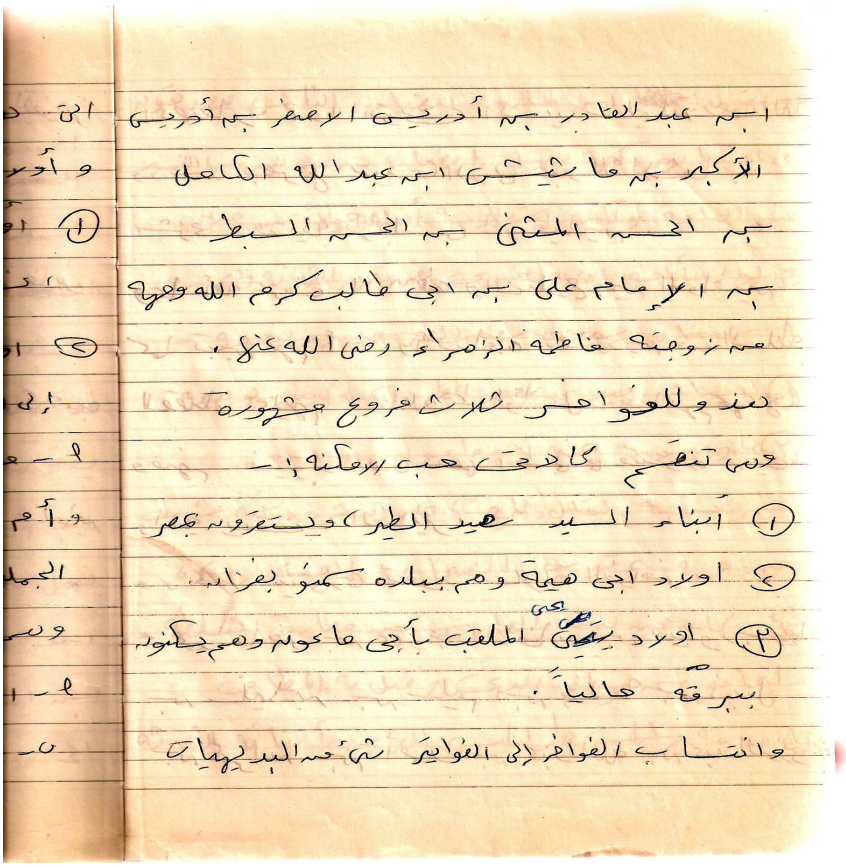

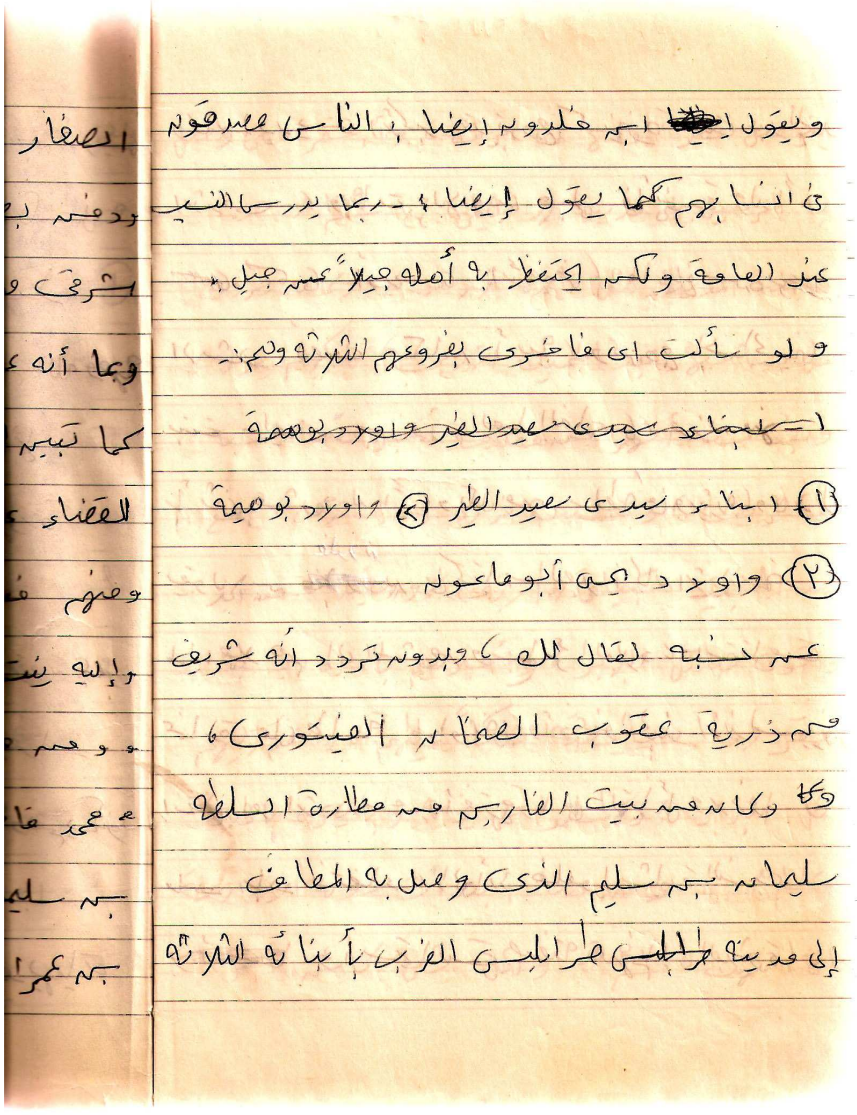

ويقول ابن خلدون أيضا : الناس مصدقون
في أنسابهم كما يقول أيضا : ربما يدرس النسب
عن الطاعة ولكم اعتنوا بأصلهم جيلا عن جيل .
ولو سألت أي فاخري بفروعهم الثلاثة وهم :
(1) أبناء سيدي سعيد الطير (2) وأولاد بوصبعة
(1) أبناء سيدي سعيد الطير (2) وأولاد بوصبعة
(2) وأولاد جدهم أبو عاصم
عن نسبه لقال لك وبدون تردد أنه شريف
من ذرية عقبة الصحابي الفهري ،
وكان من بيت الفارس من مطاردة السلطان
سليمان بن سليم الذي وصل به الطاف
إلى مدينة الجلفة طرابلس الغرب بأبنائه الثلاثة

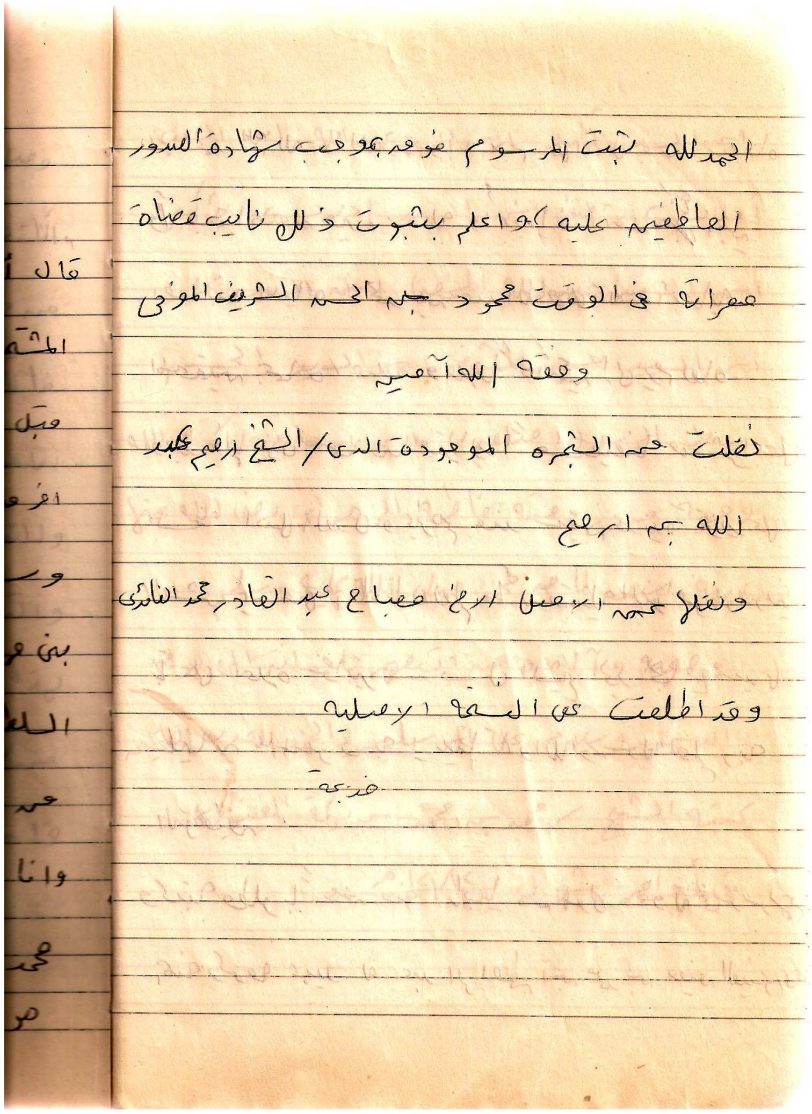

الحمد لله ثبت الرسوم فوقه بموجب شهادة السور
العاطفيه عليه كواعلم بثبوت ذلك نائب قضاة
صفراتة في الوقت محمود حمد الحسن الشريف المؤرخ
وفقه الله آمين
نقلت هذه الشجره الموجوده لدى الشيخ رحيم محمد
الله بن ارحيم
ونقلها محمد ابن عثمان ارحيم صباغ عبد القادر محمد الفاخري
وقد اطلعت على النسخه الاصليه
فرجعه

الـرِّفاق والأصـحَاب

الحاج صالح فنشة المجبري:

اسمه: صالح محمد عبدالله فنشه، من مواليد 1916م، وفنشه هي أمه، وتوفي والده وعمره 6 سنوات، تولت رعايته أمه التي سمي بها، فصار يقال **(صالح فنشه)** ثم ما لبثت أن لحقت بأبيه بعد ثلاث سنوات، ليصير صالح يتيم الأب والأم، تأثر الصبي بفقد أمه كثيراً، ولكنه كعادة الشبان في ذلك الزمان، فقد كانوا يمتازون بالهمة والشجاعة، والصبر على الشدائد والمصائب، حتى في أحلك الظروف، فقد كان لهم جلدٌ وتحمل، والحاج صالح فنشه في صباه لم يكن إلا واحداً من هؤلاء المثابرين والمكافحين في هذه الحياة .

اتجه إلى قراءة القرآن في تلك السن، وسعى إلى قراءته وحفظه على رواية ورش في مدينة جالو، التي تمتاز بالحفظة على رواية ورش في ذلك الزمان، وكان قد قرأ القرآن على يد الشيخ: محمد فتيتة الذي كان فاقد البصر .

اقتضت منه ضرورات الحياة أن يحترف مهنة التجارة، فاحترفها وهو ابن أربع عشرة سنة، ليكون أصغر الرَّاحلين في القوافل التجارية التي تجوب صحراء ليبيا، والشمال الأفريقي .

تزوَّج الحاج صالح في سن مبكرة ورزق الأبناء والبنات، ودفعه حبه للقرآن أن يعلم أبناءه جميعاً القرآن الكريم، فكان منهم الحفظة المتقنون، والأساتذة، والتجار، وأهل الخير، والصلاح، والتقوى[1].

كان زواج الحاج صالح فنشه سنة 1955م وبالتحديد يوم الخميس الموافق 1955/3/24م، **(وهذا هو كرت دعوة الزفاف في ذلك الزمان)**.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاج صالح محمد و الشيخ يونس الشرداخ

يتشرفان بدعوة حضرتكم لحضور الاحتفال بعقد قران الاول على كريمة الثاني وذلك في يوم الخميس ٢٩ رجب ١٣٧٤ هـ الموافق ٢٤ مارس ١٩٥٥ م. الساعة الخامسة بمنزل الثاني

والعاقبة عندكم في المرات

كانت مناسبة زواج الحاج صالح فنشة مناسبة ليظهر فيها محبته

1. رواية موثقة على صالح فنشة، 2008/6/1م .

للشيخ عيسى، وتفانيه في خدمته ومودته له، فأقام دعوة خاصة للشيخ، على وجبة (**افتات**) وهي أكلة المفْخَرة التي اشتهر بها المجابرة في البلد، وقد روى القصة الحاج صالح حمد فقال: فلما قدم الطعام للشيخ، صار الشيخ (**ايقذر**)[1] ويقول: حال غايتي بالحيل هي العصيدة❖❖ وْحتى المقطع والدهان انريدة❖❖ حال غايتي قراصة[2]، وْلقمة كبيرة تعجب الغطاسة❖❖وْكسكسوا برَّامته قرناصة[3] في كل لقمة اتجيك قديدة❖❖ اوحال غايتي ووْدادي❖❖ اصويحب علي قصعة طعام اينادي❖❖ انجيها وْنا مبرد وْجلدي نادي❖❖ نبدا انقدع كيف راعي جيدة[4] اوعلي ايسارك اقداح اشهوبه ❖❖ في نهار حامي في عقاب حصيدة[5].

قال: والشيخ من طبعه قليل الأكل، لقيمات فقط هذا جل أكله،

---

1 ـ التقذير، باللهجة العامية، هو كلام من قبيل الشعر، أبيات قليلة، يغلب عليها طابع الفكاهة، أو المواساة والتعزية، ومما ذكره صاحب القاموس المحيط، عن التقذير، أنه يأتي بمعنى كثرة الكلام، ومنه ـ يابن آدم قد أقذرتنا ـ أي أكثرت الكلام. انظر: القاموس المحيط ج3 ، ص576 .

2 ـ القراصة نوع من الخبز، أشبه ما يكون بالخبز العربي، متعارف عليه عند أهل البادية في برقة وضواحيها .

3 ـ القرناصة يقصد بها هنا المرأة الحرة النشيطة، والمتفانية في تجهيز الطعام .

4 ـ المعنى المقصود: أن يدعوه أخص خلانه إلى مأدبة طعام، وتكون في أحسن أحواله، في مكان بارد منتعش ببرودته وطراوة جسده، ويصف نفسه في هذه الحال أنه سيبلي بلاء حسناً في تناول هذه الوجبة، كما يبذل الراعي جهدا طيباً في رعايته للأجاويد من الإبل.

5 ـ المعنى أيضاً متعلق بما قبله، فبعد تلك الوجبة الشهية، يكون عن يساره قدح من اللبن البارد، في نهار حامي في وقت حصاد الزرع في نهاية الربيع وبداية الصيف .

ثم بعد الغداء استلقى الشيخ كما هي عادته بين الظهر العصر، قال: فقال الحاج صالح فنشه في نفسه، وكان قد سمع قدّارة الشيخ، لابد أن الشيخ لم يعجبه الأكل، فأمر أهله بتجهيز مأدبة عصيدة للشيخ، فما استيقظ الشيخ من غفوته حتى وجد العصيدة جاهزة، والشيخ لا يستطيع تناول العصيدة ولا غيرها، فكانت المأدبة من نصيب الحاج محمد بوالجاذرة، الذي قدم وقت نضجها وتجهيزها .

عرف عن الحاج صالح الكرم والسخاء، وتتبع أحوال الفقراء، حتى إنه كان يقرض الناس العام والعامين، وينذر المعسر، ويقصد على الموسر، وعرف بتوسيعه على الفقراء والمحتاجين، وقد قام بتزويج بعض الشبَّان من ماله، وبناء البيوت لآخرين حسبة لله تعالى.

كان الحاج صالح من رفقاء الشيخ والمداومين على صحبته، ولقد تأثر بهذه الصحبة، حتى إنه كان يستحثه ويوقد من شعلة الإيمان التي كان يحملها في حنايا صدره، وتنقاد إليه روحه، فلم تجد محفلاً من محافل الخير إلا وله يد سابقةٌ فيه، وكان يغتنم أوقاته في الذكر وقراءة القرآن، ولم يكن يعرف مجلسه بالحديث عن الدنيا، إنما كان يطرب بالحديث عن الآخرة، وتتبع أخبار القرآن وأهله، وبلغ من حبه لكتاب الله والمداومة عليه أنه كان يقرؤه في جميع الأوقات والحالات، حتى إنك لتعرفه في دكانه بجلوسه على كتاب الله الساعات الطوال، وقل أن تجد تاجراً يمسك بالمصحف غير منشغل عنه بأمور التجارة وهمومها.

كما قلنا إن صحبته للشيخ كان لها أثرٌ كبيرٌ في نفسه، ولقد أثنى عليه الشيخ مراراً، وكان يذكره بالحب والودِّ الذي يجمع بينهما على كتاب الله تعالى، وكثيراً ما كان يقول عنه الشيخ عيسى الفاخري:

(الحاج صالح من الناس الخيرين، ومن خيرة من عرفت)[1].

ومن مآثر الحاج صالح فنشه أنه لما قدم الشيخ من مصر، كان في استقباله، وكانت الدار التي يسكنها مضافةً للشيخ وأهله، إلى أن انتقل الشيخ عيسى إلى داره الجديدة، بعد إقامة عند الحاج صالح فنشه في خير جوار وفي أحسن استقبال .

تأثر الحاج صالح فنشه بعقيدة الشيخ، فكان من الدعاة لتصحيح العقيدة عند العوام، وكثيراً ما نقل عنه النهي عن الزيارات البدعية للقبور، والنهي عن اتخاذها مزارات، واتخاذ أصحابها وسيلة للتَّقرب إلى الله تعالى، بل كان يحث على التوجه إلى الله تعالى في صغير الأمر وجليله.

وفاته: كانت وفاة الحاج صالح فنشة، في عاشوراء، ليلة الجمعة، الموافق 17 ـ 2 ـ 2005م، حيث ووري الثرى، بعد عصر الجمعة، فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنانه[2].

---

1 ـ روايات شفوية، سمعتها من الشيخ مباشرة .

2 ـ أخرج الترمذي في فضل من مات يوم الجمعة، من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر، حديث رقم /993، وفي مسند الإمام أحمد، حديثان كلاهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث رقم / 6359، وحديث رقم / 6753 ،وفي مصنف عبد الرزاق، من حديث ابن شهاب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة برئ من فتنة القبر، أو قال : وقي فتنة القبر، وكتب شهيداً، حديث رقم/ 5595.

الحاج صالح عبد المولى المجبري:

اسمه: صالح عبد المولى علي البطران المجبري، ولد بجالو سنة1915م .

درس الحاج صالح القرآن، وحفظه على يد والده الحاج عبد المولى البطران، وكذلك على يد شيخه الحافظ ـ الشيخ السنوسي بن جنينة ،

وهو أحد الشيوخ المعروفين المحفظين القدامى، في واحة جالو [1].

كان الشيخ صالح عبدالمولى، قد حفظ القرآن فرشاً، وعرضاً، على رواية الإمام ورش عن نافع المدني، وحذق في حفظه، وتدريسه، ونظراً لحرصه الشديد على طلب العلم، فقد حفظ كذلك كثيراً من المتون، في القرآن، وعلومه وفي اللغة والفقه.

عمل الشيخ صالح عبدالمولى، مدرساً للقرآن الكريم، في مدينة بنغازي في أربعينيات القرن الماضي، وقد كان انتقاله إلى بنغازي سعياً وراء الرزق، وطلباً للعلم بصنوفه المتعددة .

رجع الشيخ صالح عبد المولى، إلى جالو في أواسط الخمسينات، يدفعه حبه لوالده، وشيوخه الذين أمضى عقداً من الزمان بعيداً عنهم، وهناك استمر في تحفيظ القرآن الكريم، مع رفيق دربه في رحلة تعليم القرآن الكريم، الشيخ **اهويدي رجب** وذلك في زاوية العِرِق، تطوعاً، ومن دون مقابل[2].

بدأت علاقة الشيخ صالح عبدالمولى، بالشيخ عيسى الفاخري، في البيضاء عندما كان الشيخ عيسى أستاذاً في المعهد الديني، وتوطدت هذه العلاقة، وقويت بعد انتقال الشيخ إلى إجدابيا، واستقرار الحاج صالح عبد المولى في إجدابيا، هنا صار الحاج صالح عبد المولى، من التلامذة والرفقاء المقربين للشيخ، حيث كانا يتدارسان القرآن الكريم قراءةً، وتفسيراً، ولقد حضرت بنفسي بعضاً من تلك المجالس، التي تُحسُّ فيها بنفحات

---

1 ـ السيرة الذاتية، للشيخ صالح عبدالمولى علي البطران المجبري، جمع وترتيب: الأستاذ:علي صالح عبدالمولى 1 ـ 10 ـ 2008م ، ص1.

2 ـ السيرة الذاتي، للحاج صالح عبدالمولى، ص2 .

العلم، وطيب المجالسة، وتذلُّل الطلاَّب، وتواضع الشيخ، حتى انه ليعتريك شعورٌ أنك في وسط مدرسةٍ من القرآن والتفسير، يعزُّ نظيرها في زماننا اليوم .

تُوفي الحاج صالح عبد المولى، بعد عصر يوم الجمعة، الموافق5 ـ 9 ـ 2003م، بعد رحلة طويلة مع كتاب الله تعالى، حفظاً، وتدريساً، وتفسيراً، فرحمه الله رحمةً واسعة، وأسكنه فسيح جنانه .

الحاج : صالح حمد صالح حمد المجبري:

ولد صالح حمد، سنة 1926م، في مدينة جالو، وذلك قبل أن تسقط في يد الاحتلال الإيطالي بسنتين .

كانت مصاحبة الحاج صالح حمد للشيخ قديماً، وبالتحديد بعد

قدوم الشيخ من مصر[1]، وقويت علاقته بالشيخ بعد زواج الشيخ الثاني من الحاجة فاطمة، لتقوم بينهما علاقة عائلية، عن طريق التزاور الأسري بين عائلة الشيخ، وعائلة الحاج صالح حمد.

كان الحاج صالح حمد مواظباً على دروس الشيخ، سواء منها ما كان في المسجد، أو الملتقيات التي كانت تقام في منزل الشيخ، أو بيوت أحد الأصدقاء، وكذلك كان محافظاً على حضور الندوات والمحاضرات، التي كانت تعقد أمام بيت الشيخ، وهو والشيخ صالح عبد المولى، لنواة الأولى لحلقة التفسير التي كان يقيمها الشيخ في بيته، ونحن وغيرنا من التلامذة، استفدنا من بركة هذه الحلقات ومن نفحاتها المعطرة بالسكينة والوقار، وكانت لنا على الدوام، دروساً مستفادة، تعلمنا منها كيفية التعامل مع التلامذة، وطلاب العلم، فجزاهم الله عنا خيراً .

من مساهمات الحاج صالح في خمسينيات القرن الماضي، أنه أشرف على إنشاء نادي العمال، وكان نادي ثقافي اجتماعي، يقوم على توعية الشباب، ورفع كفاءاتهم، فنيّاً، واجتماعياً، ورياضياً، وكان في هذا النادي في بداياته، فلم يكن لهم مقر يجتمعون فيه فكانوا يجتمعون في بيت الحاج صالح حمد، وكان من ضمن المنتسبين لهذا النادي الثقافي ـ علي عاشور، ومحمد صالح احويج، واتويب الحيطاني، وعوض عبدالجليل، وعبد الرحمن الشريدي، وغيرهم[2].

كان الحاج صالح حمد، من أخص أصدقاء الشيخ، حتى إن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ قال: **(من أحب أن يصلني فليزُر الحاج صالح**

---

1 ـ رواية شفوية، الحاج صالح حمد، 20ـ 4ـ 2009م .

2 ـ الدكتور صالح الشريدي، 27ـ 4ـ 2009م .

حمد)[1].

ولما عزم الشيخ على الحج سنة 1960م، كان الحاج صالح برفقة الشيخ إلى البادية، لإقامة مراسم التوديع في نجع عائلة الشيخ، وقال الحاج صالح أذكر ذلك التاريخ جيداً، وقد سافر الشيخ للحج برفقة زوجته الحاجة فطوم، وكان برفقة الشيخ، كل من الحاج: محمد لحمر، والحاج: سالم ضبوح، والحاج الصديق الدلح .

ومن المآثر التي ذكرها الحاج صالح حمد عن الشيخ، قال: كان الشيخ قليل الأكل ـ لقيمات فقط هذا جلُّ أكله ـ فإذا ما دعانا إلى طعام، فإنه يمضي معظم الوقت في الحديث، وضرب الأمثال، ونحن نأكل ونستمع، فينفد الطعام والشيخ مازال يتحدث!.

انتهى بحمد الله .

1 ـ رواية شفوية: علي بوزريبة ، 13 ـ 8 ـ 2009م .

تقريظ: الدكتور سعد حماد القبائلي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من اتبع هديه إلى يوم الدين .

وبعد :

فلقد أطلعني الأخ الأستاذ: سالم فرج رحيل، على شيء من مؤلفه" الشيخ عيسى الفاخري، حياته ومنهجه" (1904 ـ 1999م)، وطلب مني تقديمه، بعد أن قرأ علي بنفسه بعض المواضع الهامة من هذا المؤلف، ولم يتسع الوقت للاطلاع على المؤلف كله، وذلك لانشغال المؤلف بوضع اللمسات الأخيرة اللازمة لإخراج مؤلفه بالشكل المطلوب، والذي ينتظره الكثيرون باشتياق كبير منذ وقت طويل، ولقد كنت أجد في نفسي رغبة ملحة للكتابة في حياة شيخنا الكريم"الشيخ عيسى الفاخري" الذي كانت حياته حافلة بالكفاح الفعال، قاطعاً آلاف الأميال، لتحقيق الآمال، وصولاً إلى أعلى المنال، ثم تعليم ذلك للأجيال عقب الأجيال، حتى آخر حياته، فالأمل أن يكون أجر ذلك قد نال من ربه المتعال.

غير أنني قد وجدت ضالتي المنشودة في هذا المؤلف القيم، الذي تصدر لتأليفه القارئ الماهر، والكاتب الواعد، سالم رحيل، الذي لا شك أنه قد أجاد وأفاد بهذه المعلومات القيمة التي جمعها بكل دقة، رغم قلة المصادر عن حياة شيخنا التاريخية، والعلمية، والوعظية، وأثرها على الأجيال ماضياً، وحاضراً، ومستقبلاً، إن شاء الله.

ولعل المؤلف قد عانى كثيراً في تجميع المعلومات، ولكن كل ذلك يهون، عندما يرى الباحث، أنه قد ناب عن أبناء مدينته"إجدابيا" ـ وأنا من

بينهم ـ في أداء جزء من الواجب لهذا الشيخ الجليل، الذي وقف حياته بهذه المدينة خطيباً، وواعظاً، وفقيهاً، فجراه الله خير الجزاء، ونفعنا بعلمه، كما نسأله تعالى "أن يلحقنا به على الإيمان، ويجمعنا به في أعلى الجنان". آمين ...

والله أسأل لمؤلف هذا الكتاب، ولكل من ساهم فيه أن يثيبهم أعظم الثواب، وأن يجزيهم عن عملهم خير الجزاء، إنه ولي ذلك القادر عليه، والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل، ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (10/10).

الدكتور: سعد حماد صالح القبائلي
الأستاذ/بجامعة قاريونس/قسم القانون
خطيب وواعظ/بالهيئة العامة للأوقاف إجدابيا

كلمةُ حقٍّ

جمعة الفاخري

إنَّ الاهتمامَ بسيَرِ الصَّالحينَ، وَتَنَاوُلَ حياتِهِم المقصورَةِ على طلبِ العلمِ وتعليمِهِ، وتولّي أمرِ العبَادِ إرشادًا ووعظًا ونصحًا، لهو أمرٌ جليلٌ مقدَّرٌ، وَمحمدَةٌ كبيرَةٌ، ومأثرةٌ حميدةٌ من نعمِ اللّهِ على العبدِ، إذ تبيِّنُ للنَّاسِ أَهميَّةَ العلمَاءِ، وتوضحُ مكانتَهُمُ العظيمةَ بينَ الخلقِ، وتُظْهِرُ جُهودَهُم المضنيَةَ المثمرَةَ دعوةً إلى اللّهِ، وخِدْمَةً لِلدِّينِ القويمِ ،ونهيًا عنِ المروقِ والفسوقِ والعصيانِ. وهذا ما كانَ منَ الأستاذِ سالم رحيل وهو يتأبَّطُ عَزْمَ البَاحِثِ الدَّؤوبِ مُؤَرِّخًا لحيَاةِ هذا العَلَمِ العلاَّمَةِ ، الشَّيخِ الموقَّرِ عيسى أبو القاسم الفاخري ـ رحمَهُ اللّهُ، فتتبَّعَ سيرَتَهُ العطرَةَ من مُبْتَدَإِ حَيَاتِهِ حتى مُنْتَهَاهَا، عَارِضًا كِفَاحَهُ الطَّويلَ لأجلِ العلمِ، مُجليًا تَضْحِيَاتِهِ الكبيرَةَ لِتَحْصِيلِهِ وَنيلِهِ، مُبرِزًا جُهُودَهُ الظَّافِرَةَ لِلتَّزَوُّدِ مِنْهُ، والانتفَاعِ بِهِ ، وهوَ على ما هوَ عليهِ من كَفِّ الْبَصَرِ والمرضِ واليتمِ وضيقِ ذاتِ اليدِ، والتشرُّدِ الذي كانَ المستعْمِرُ البغيضُ قد أَحَالَهُ إليهِ، فضلاً عَنِ الاغترَابِ عَنِ الوطنِ والأهلِ والأحبابِ، سَارِدًا منهجَهُ في الفتوى، مُبيِّنًا طَرَائِقَهُ في تعليمِ تلاميْذِهِ، وفي التَّيسيرِ على النَّاسِ في فتاويهِ دونَ تشدُّدٍ منفِّرٍ، ولا تساهُلٍ مُضيِّعٍ، حتى في التَّعَامُلِ معَ مُخَالِفِيْهِ الَّذينَ يتحوَّلُونَ بسهولةٍ إلى أصدقاءَ وَمحبِّينَ ومريدينَ حينَ يقفونَ على طِيْبَةِ نفسِهِ وَصِدْقِ نيَّاتِهِ، مُعْرِّجًا على تواضُعِهِ الجمِّ معَ عِلْمِهِ الوَاسِعِ بعلومِ الدِّينِ ، وعلومِ اللُّغَةِ، والأنسَابِ والشِّعْرِ بقسميهِ العربيِّ والعاميّ، إذْ كانَ ـ غالبًا ـ ما يَستشهِدُ ببيتِ شعرٍ من هذا أو ذاكَ لتبيانِ مقصدٍ، أو لشرحِ معنًى بعينِهِ، أو لتأكيدِ غَايَةٍ

معرفيَّةٍ يرمي إليها، أو لإبرازِ حكمٍ شرعيٍّ يستعْصِي فهمُهُ على الإنسَانِ الأُمِّيِّ البسيطِ، مُخَاطِبًا النَّاسَ على قَدْرِ فَهْمِهِم، ومستوى إِدْرَاكِهِم دَوْنَ تَعَالٍ أو تحذلُقٍ أو تَفَيْهُقٍ.

كما يبرزُ الكاتبُ ظُرْفَ الشيخِ وَخِفَّةَ رُوْحِهِ، ونزوعَهُ إلى مُمَازَحَةِ جُلاَّسِهِ من تلاميذِهِ وأصدقائِهِ وَعارفيْهِ، مما يؤكِّدُ أَنَّ في دينِنَا العظيمِ الحنيفِ سِعَةً للمرحِ والتَّفَكُّهِ، مؤكِدًا على وفاءِ الشيخِ لأصدقائِهِ وأهلِهِ، وقبلَ هذا وذاكَ حُبِّهِ لوطنِهِ ووفائِهِ لَهُ، وجهادِهِ بالكلمَةِ من أجلِهِ وهو الذي قاسَى بسببِهِ عذابَ الاغترَابِ، ومرارَةَ البعادِ عَنْهُ، وَفداحةَ فِرَاقِ أهلِهِ وَأَحِبَّتِهِ، مُحْتملاً ألَمَ النوى، وَقَسَاوَةَ النَّأي، وَمَرَاراتِ الكيدِ لَهُ حتى وهو بعيدٌ عنْهُ في مغتربِهِ وَمُرَاغَمِهِ.

ولقد أحسنَ الكَاتِبُ سَرْدَ جُلِّ هذهِ الأَحْدَاثِ وسلسَلتَهَا بتشويقٍ بالغٍ، وإثارَةٍ محكمَةٍ، مُتَوَغِّلاً في حياةِ الشيخِ الحافِلَةِ بأحداثٍ كثيرةٍ متشعِّبَةٍ تتنازعَ الأهمَّيَّةَ من بعضِهَا بعضًا، ولم يكنِ الكاتِبُ مُجرَّدَ ساردٍ لأحداثٍ، أو راوٍ لقصصٍ وحكاياتٍ فحسبُ، بل قد كانَ يُؤرِّخُ عبرَهَا لحياةِ وَطَنٍ يئنُّ تحتَ نيرِ الاستعمارِ البئيسِ، ويرسمُ ملامحَ الحيَاةِ الاجتماعيَّةِ والثقافيَّةِ والسِّيَاسِيَّةِ لليبيا إبَّانَ تلكُمُ الفترَةِ السَّوداءِ المفزِعَةِ، مُتَعدِّيًا الحدودَ إلى مصرَ الملكيَّةِ، مُبيِّنًا المرحلَةَ التي عاشَهَا الفقيهُ العلاَّمَة رِدْحًا منَ الزَّمَنْ طالبًا للعلمِ في مدارسِها ومعاهدِها وأزْهَرِها الشَّرِيْفِ، مُتَنَقِّلاً بَينَ الإِسْكَندَريَّةِ وَالقَاهِرَةِ، عَارِضًا كلَّ ذلكَ بأسلوبٍ شَائِقٍ، وَسَرْدٍ رَائِقٍ بِلُغَةٍ عَفْوِيَّةٍ جَيِّدَةٍ تتجَافى عَنِ التَّكَلُّفِ، وَتَنْأَى عَنِ الصَّنْعَةِ اللُّغَوِيَّةِ، وَالفذْلَكَةِ اللَّفظيَّةِ، مُسْتَشْهِدًا بالآيَاتِ وَالأَحَادِيْثِ وَالأَشْعَارِ حينمَا يكونُ الاستشهَادُ لائقًا، مبتعدًا عنِ التَّزْوِيْقِ وَالتَّمْيِقِ الْعَمْدِيِّينِ، مُظْهِرًا محبَّتَهُ

لشيخِهِ الَّذِي لازمَهُ فترةً مِنَ الزَّمَنِ طِالبًا من عِلْمِهِ الغزِيرِ، مُتَتَلْمِذًا على يَدِيْهِ، ضَارِبًا مَثَلاً رَائِعًا في الوفَاءِ المحمودِ، والوَاجِبِ لأَعْلامِنَا وَمَشَايخِنَا، مؤكِّدًا على أهمِّيَّةِ الاهتمَامِ بمثلِ هذا الرَّجُلِ الصَّالِحِ، وَحَثًّا على التَّأَسِي به زاهِدًا وَمُتَوَاضِعًا، وَالاقتدَاءِ بهِ طِالِبًا للعلمِ، وَمُعَلِّمًا لَهُ. فضلاً عن مَكْرَمَةِ التَّرْجَمَةِ لَهُ في كِتَابٍ أَعُدُّهُ إِضَافَةً مُهِمَّةً لِلْمَكْتَبَةِ الثَّقافيَّةِ لافتقارِهَا لسيرِ الأعْلامِ الأَفذَاذِ الَّذينَ تَصْلُحُ بهمُ البلادُ والعبادُ، ويعمُّ بهمُ الخيرُ وَالصَّلاحُ.

جزَاهُ اللهُ عنهُ وَعَنَّا خيرًا، وَأَسْكنَ اللهُ هَذَا الفقيهَ العالمَ العابدِ الزَّاهِدَ فسيحَ جِنانِهِ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا.

ورقة بيضاء

(نهاية الملاحق وقبل المصادر والمراجع

لتبدأ قائمة المصادر والمراجع برقم فردي)

قائمة بأهم المصادر والمراجع

أولاً . القرآن الكريم.

ثانياً . الكتب، والرسائل، والمواقع العلمية:

1. ابن جرير الطبري المسمى (جامع البيان في تفسير القرآن) محمد بن جرير الطبري، أعيد طبعها في دار المعرفة، بيروت، لبنان 1980م، الطبعة الأولى في اثني عشر مجلداً، كانت بالمطبعة الأميرية ببولاق، مصر 1329هـ.
2. ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، الطبعة الأولى، مصر، 1325هـ.
3. ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، المكتبة الإسلامية عين شمس ، رقم الإيداع، 20570/ 2000 .
4. أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي، الأسماء والصفات، تحقيق: عبدالله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي للتوزيع ،جدة، الطبعة الأولى، 1993م.
5. أبوبكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي، المجالسة وجواهر العلم تحقيق: أبوعبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، تاريخ النشر، 1419.
6. أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، ديوان الإمام الشافعي، دار بن خلدون، الإسكندرية (بدون تاريخ طباعة).

7. أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1995م .
8. أبو إسحاق الشيرازي الشافعي، طبقات الفقهاء، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1981م .
9. أبوبكر محمد الدمياطي، إعانة الطالبين، مكتبة الحلبي، سوريا، 1997م .
10. أبو عبدالله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجة ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، مصطفى محمد حسين ، دار الحديث، القاهرة، مصر الطبعة الأولى ، 1998م .
11. أبو عبدالله التاودي، المتن في الحواشي على الصحيح، (نظم المتناثر من الحديث المتواتر)، للإمام محمد بن جعفر الكتاني، المكتبة الوقفية، 2007م .
12. أبو عمر يوسف بن عبد البَرِّ، الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء، عناية: عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، سوريا، الطبعة الأولى، 1997م .
13. أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م.
14. إتوري روسي، ترجمة: خليفة محمد التليسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911، الدار العربية للكتاب، 1974م .
15. أحمد بن حنبل، مسند الإمَام أحمد، دار الحديث القاهرة، مصر، 1999م .

16 ـ أحمد بن محمد الصاوي المالكي، بلغة السالك لأقرب المسالك لمذهب الإمام مالك، على شرح أحمد بن محمد بن أحمد الدردير، دار النهضة، القاهرة، مصر، الطبعة الأخيرة، 1952م .
17 ـ إدريس فضيل، ذكريات عن الشيخ عيسى الفاخري، 15 ـ 7 ـ 2008.
18 ـ إسماعيل بن عمر ابن كثير، المسمى (تفسير القرآن العظيم)، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة الحديثة، القاهرة، مصر1965م، الطبعة الخامسة، دار الأندلس، بيروت، 1984م.
19 ـ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، (شيخ الإسلام)، تعليق: زكريا علي يوسف، صحة أصول أهل المدينة، (بدون تاريخ طباعة).
20 ـ أحمد بن غنيم النفراوي المَالِكي، الفواكه الدواني، على رسالة أبي زيد القيرواني، دار المعرفة، بيروت، لبنان (بدون تاريخ الطباعة) .
21 ـ الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، أساسيات الثقافة الإسلامية.
22 ـ الطاهر أحمد الزاوي، مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1984م.
23 ـ الطاهر الزاوي، ترتيب القاموس المحيط، للفيروزآبادي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1980م .
24 ـ القاسم بن فره الشاطبي الرعيني، متن الشاطبية، دار الآثار، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004م.
25 ـ االقاضي عياض اليحصبي، الشفا، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الصفا، القاهرة، 2002م .
26 ـ القاضي عِيَاض بن موسى بن عِيَاض، ترتيب المدارك، تحقيق: عبدالقادر الصحراوي، وزارة الأوقاف بالمغرب، الطبعة الأولى 1983م.

27. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، تاريخ الطباعة (1404 ـ 1427هـ).
28. جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق: حامد أحمد طاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، 2005م.
29. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة الجيل بيروت، الطبعة الثالثة .
30. حسن محمد المايل، درة الأقصى وذكريات لا تنسى، دار الأندلس، الإسكندرية، مصر، 2004م.
31. سحنون بن سعيد التنوخي، المدونة الكبرى، رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخى عن الإمام عبد الرحمن بن القاسم، ضبط وتخريج: محمد تامر، كلية دار العلوم، قسم الشريعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، 2004م .
32. سعد حماد القبايلي، إجابة تساؤلات طرحت حول منهجية الشيخ عيسى الفاخري، 7 ـ 2 ـ 2008م.
33. صالح السبع، مقالة في جريدة الوسطى، إجدابيا، العدد السادس، السنة الأولى، 21 ـ ناصر ـ 1925ميلادية .
34. صالح بن فوزان الفوزان، إجابة عن أسئلة في العقيدة والمنهج، http://www.salafyoun.com/showthread.php?t=17
35. www.alkalemat.com4-1-2009 دار الإفتاء المصرية.
36. عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي، الطبعة الثانية 1994م.
37. عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد، درا الفكر، القاهرة، 2002م .

38. عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، مكتبة الفكر العربي، لبنان، الطبعة الأولى، 1977م.
39. عبدالله بن محمد بن قدامة المقدسي، الشرح الكبير على متن المقنع في فقه الإمام أحمد، مكتبة المدينة المنورة، 2001م .
40. عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، المُسمَّى (الجامع لأحكام القرآن)، تحقيق: عبد الرازق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .
41. عبد الله بن قدامة المقدسي، دار العلم، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.
42. عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (المتوفى سنة 1422هـ)، موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان الطبعة: الثلاثون، المكتبة الوقفية، 1424 هـ.
43. علي بن نايف الشحود، موسوعة الشعر الإسلامي، مطابع المكتبة الوقفية، السعودية .
44. علي صالح عبد المولى، السيرة الذاتية، للشيخ صالح عبدالمولى علي البطران المجبري، (جمع وترتيب)، 1 ـ 10 ـ 2008م.
45. علي محمد الصلابي، عمر المختار نشأته وأعماله واستشهاده، المكتبة العصرية، بيروت 2007م .
46. علي مصطفى المصراتي، نماذج في الظل، اللجنة الشعبية العامة للإعلام، الطبعة الأولى، 1978م.
47. فاتح محمد زقلام، العقيدة للسنة الثانية بمعاهد العلوم الشرعية، طرابلس، ليبيا، 2000م.

48 ـ لسان العرب ، لابن منظور الإفريقي ، دار صادر بيروت، 2000م .
49 ـ مالك بن أنس الأصبحي، **(الإمام)**، موطأ مالك، رواية: سويد بن سعيد الحدثاني، تحقيق: عبدالمجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1994م .
50 ـ محمد أبوزهرة، مالك حياته وعصره، دار الثقافة العربية للطباعة بمصر، 1947م.
51 ـ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبة الجعفي البخاري، صحيح البخاري، طبعة جديدة منقحة، موافقة لترقيم الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي، عناية: محمود بن الجميل، مكاتبة الصفا، الطبعة الأولى، 2003م .
52 ـ محمد بن أحمد المعروف بن رشد، المقدمات الممهدات لابن رشد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر (بدون تاريخ الطباعة).
53 ـ محمد بن إدريس الشافعي، مسند الإمام الشافعي، مطبعة الآثار، القاهرة، 1988م .
54 ـ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، نيل الأوطار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2005م.
55 ـ محمد بن علي الشوكاني ، تفسير فتح القدير، المكتبة الوقفية، السعودية، 2004م .
56 ـ محمد بن علي الشوكاني، مجموعة رسائل (شرح الصدور بتحريم رفع القبور، رفع الريبة عما يجوز ومالا يجوز من الغيبة، الدواء العاجل لدفع العدو الصائل) الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة السادسة، 1411هـ .

57. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، دار المعارف، مصر، 1973م .
58. مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث، (بدون تاريخ طباعة) .
59. محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، دار العنان القاهرة، الطبعة الأولى، 2001م .
60. محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني، شرح الزرقاني على موطأ مَالِك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (بدون تاريخ نشر).
61. مخطوط ، مذكرات خاصة بحياة الشيخ، جمعها: مفتاح محمد عثمان الفاخري، وعبد الله بوهدمه، 1991م .
62. مخطوط ، سلالة نسب الفواخر نقلاً من الشجرة التي وجدت عند الشيخ محمد بشير الشامخ الملقب بالعبد، نقلها عنه الشيخ/ مصباح عبد القادر محمد الفايدي، ليلة الأربعاء، 1979/9/17م .
63. مخطوط ، سلالة نسب قبائل الفواخر، أملاها الشيخ عيسى الفاخري، وكتبتها : ابنته خديجة عيسى بلقاسم، (بدون تاريخ) .
64. مصطفى السعيطي، اجدابيا مدينة من مدن الشمس تاريخها وأعلامها، دار البيان للنشر والتوزيع، بنغازي، الطبعة الأولى، 2003م.
65. موقع الشيخ عيسى الفاخري، مقالة الدكتور فرج نجم .
66. ناصر العمر، فقه الواقع، المكتبة الوقفية، السعودية، 2007م .
67. ناصر رحيل، مقالة في جريدة إجدابيا بعنوان:(مشاهير علماء إجدابيا) العدد 435، 24 ناصر 2007م .

68 ـ نيكولاي ابليتش بروشن، ترجمة: عماد حاتم، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت ، لبنان ، 2001م .

69 ـ يوسف سالم البرغثي، المعتقلات الفاشية بليبيا دراسة تاريخية، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ليبيا، 1985م .

ثالثاً ـ الروايات الشفوية:

1. الحاج: امهيدي الفاخري، رواية شفوية، 2 ـ 2 ـ 2008م .
2. الحاج ابن ادريس، رواية شفوية، 9 ـ 12 ـ 2009م .
3. الحاج: محمد بوتبر الفاخري، رواية شفوية ، 2008/5/2 م .
4. الحاج: صالح حمد صالح حمد، روايات شفوية، 5 ـ 9 ـ 2007م، 20 ـ 4 ـ 2009.
5. الحاج: خطاب الفاخري رواية شفوية ، 1. ـ 11 ـ 2007م.
6. الحاج: صالح محمد إبراهيم بوالعبد، رواية شفوية، 5 ـ 1 ـ 2009م .
7. الحاج: محمد اجريو المجبري، رواية شفوية، 4 ـ 7 ـ 2007م.
8. الحاج: نصر السنوسي، رواية شفوية، 24 ـ 9 ـ 2007م، 24 ـ 9 ـ 2008م، 10 ـ 1 ـ 2009م، 20 ـ 4 ـ 2009م، 25 ـ 4 ـ 2009، 26 ـ 4 ـ 2009م، 4 ـ 5 ـ 2009م.
9. الحاج: علي بوزريبة، 13 ـ 8 ـ 2009م .
10. الحاج ابن احميد فرج ابن احميد الجهاني، رواية شفوية، 2008.10.26م .
11. الحاج: بلحسن حمد الزوي، 28 ـ 9 ـ 2009م .
12. الدكتور: شعبان عوض العبيدي، رواية شفوية 15 ـ 2 ـ 2008م.

13. الدكتور: غيث الفاخري، رواية شفوية 5 ـ 11 ـ 2009م .
14. الدكتور: صالح محمود الشريدي، رواية شفوية، 2008/12/23م.
15. الأستاذ: ناصر محمود مطرود، رواية شفوية 21 ـ 5 ـ 2008م .
16. الأستاذ: سالم سليمان الجديد، رواية شفوية، 14 ـ 11 ـ 2009م .
17. الأستاذ: علي صالح فنشه، رواية شفوية، 5 ـ 5 ـ 2008 م .
18. الشيخ: محمد حيفان المجبري، رواية شفوية، 1 ـ 4 ـ 2008م .
19. الشيخ: محمد الشريف سليمان، رواية شفوية، 13 ـ 10 ـ 2007 م .
20. الشيخ : الشريف الشارف الحرنة، رواية شفوية، 5 ـ 10 ـ 2007م، 1 ـ 4 ـ 2008م ، 21 ـ 5 ـ 2008م، 4 ـ 5 ـ 2009م.
21. الشيخ: مفتاح الفاخري، روايات شفوية، 5 ـ 1 ـ 2009م، 14 ـ 8 ـ 2008م .
22. الشيخ: محمد إسماعيل الصكي، رواية شفوية، 23 ـ 5 ـ 2008 م، 26 ـ 10 ـ 2008م، 20 ـ 4 ـ 2009م، 26 ـ 4 ـ 2009م.

فهـرس الموضوعـات

الموضوع..... الصفحة

تصدير : بقلم الدكتور شعبان عوض العبيدي 7
تقديم : بقلم الدكتور غيث محمود الفاخري 11
أولاً : التقديم للكتاب باللغة الإنجليزية..... 16
ثانياً : المقدمة باللغة العربية..... 19

الفصل الأول: الشيخ عيسى حياته وعصره

المبحث الأول: موطنه ونشأته..... 31
القبائل الليبية قديماً..... 32
القبائل التي سكنت برقة..... 33
ذكر قبيلته ونسبه..... 34
المبحث الثاني: الطفولة والشباب..... 38
مولده ونشأته..... 38
المحنة وعوامل الثبات..... 40
مرارة العمى..... 40
وفاة الإخوة وحياة المعتقل..... 42
أعوام من التيه والتشرد..... 47
ذكر عائلته وأولاده..... 51
شيوخه..... 56
تلامذته..... 57

الفصل الثاني: الحياة العلمية

المبحث الأول: العلم والرحلة في طلبه والتماس الشيوخ..... 62
قبل الهجرة إلى مصر..... 63
الالتحاق بالأزهر..... 67
حياة طالب العلم..... 70
الحياة في مصر، وأيام الدراسة..... 73
الطالب المتفوق، والمناضل، والجندي المجهول..... 78
المبحث الثاني: الدعوة وتبليغ العلم الشرعي..... 86
الرجوع من مصر والاستقرار في إجدابيا..... 86
الإقامة في سلوق في ضيافة الشيخ عبدالنبي بوخطاب..... 89
الأستاذ والمربي والموجه..... 91

الفصل الثالث: الطريقة والمنهج

الطريقة والمنهج..... 97
المبحث الأول الأخلاق والمعاملات والمدارس التربوية التي ورثها..... 99
سمته وأخلاقه..... 99
عفته وكرمه..... 106
العوامل التي ساهمت في بناء شخصيته..... 108
الشيخ وقضايا النصح الاجتماعي..... 114
سؤاله عن الطلاب وتتبع أحوالهم 120
المبحث الثاني: منهج الشيخ وطريقته في التدريس والفتوى..... 123
منهجه في العقيدة..... 123
تعريف المنهج والعقيدة..... 126

اجتهادات الشيخ لتصحيح العقيدة عند العوام..... 127
الدعوة بالحسنى..... 127
موقف الشيخ من زيارة القبور..... 131
كلامه في مسائل التوحيد..... 138
سمته ومنهجه في الدرس..... 140
الدروس العامة..... 145
حلق العلم ومجالس الطلاب..... 154
فتاواه الفقهية واجتهاداته..... 156
الطلاق المعلق..... 156
ما زاد عن الثلاث من الطلاق في مجلس واحد..... 158
السواك قبل الصلاة..... 159
كفارة قتل الخطأ لغير القادر على الصوم..... 160
التخلص من المال الحرام..... 166
المال المختلط.....167
أكل المال العام.....167
زكاة النعم.....169
رأي الشيخ في المسائل الخلافية..... 170
الختمة وقراءة القرآن على الأموات..... 172
مسألة رفع الإزار.....175
مسألة التشريع والقبض في الصلاة..... 178
مسألة المسح على الجوربين..... 183
بيع الذهب بالدين.....184

ما يتعلق بالنذور.....185
صيام ست أيام من شوال لمن عليه قضاء..... 186
مصافحة النساء.....187
اقتناء التلفاز.....188
وفاته ومآثره.....190
الأسباب التي ساهمت في عدم تدوين علم الشيخ..... 192
الوظائف والأوراد.....195
الملاحق.....203

صُفَّ هذا الكتاب بطريق الجمع الضوئي
في مكتب الشحومي (الصابري . بنغازي)